الجامعة الإسلامية-غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية الآداب-قسم التاريخ

العلماء الشهداء في الأندلس

(400-897هـ =1009-1492م)

إعداد الطالب:

عبد القادر علي أحمد الدرة

إشراف

د. خالد يونس الخالدي

قدّم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير (بحث تكميلي) في قسم التاريخ بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية-غزة

العام الدراسي
1430هـ - 2009م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

قال رسول الله ﷺ (من لم يشكر الناس لم يشكر الله)([1]).

إنه لمن دواعي العرفان بعد شكر الله عز وجل أن أتقدم بوافر الشكر والتقدير إلى الدكتور خالد يونس الخالدي لحسن إشرافه على هذه الرسالة.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل للعاملين في مكتبة الجامعة الإسلامية على ما قدموه لي من خدمات أفادت هذا البحث.

كذلك أتقدم بالشكر لكل من أسهم في إخراج هذه الرسالة.

---

[1] الترمذي، سنن، ج4، ص339، رقم الحديث1954.

الإهـــداء

إلى أمي الغالية

إلى زوجتي وأولادي

إلى العلمـاء الشهـداء

إلى المؤمنين الذين يعملون الصالحات

إلى الذين هداهم الله إلى الحق وإلي الطريق المستقيم

إلى الذين ينادون مخلصين بأن الإسلام هو الحل لكل مشكلات الإنسان

قائمة الرموز والمختصرات

أشير إلى الرموز في الهوامش حسب النمط التالي :

ت	توفي
تح	تحقيق
ج	جزء
د . ت	دون تاريخ
ر. ن	المرجع نفسه
س	سفر
ص	صفحة
ق	قسم
ع	عدد
م	ميلادي
مج	مجلد
م . ن	المصدر نفسه
هـ	هجري

ملخص الدراسة

تناولت هذه الدراسة العلماء الشهداء في الأندلس(400-897هـ=1009-1492م)، وهدفت الى معرفة مدى مشاركة العلماء في المعارك و الحروب في الأندلس، ومعرفة النتائج التي تعود على الأمة عندما يقوم العلماء بدورهم في الجهاد و الاستشهاد، ومعرفة مدى إسهامات العلماء الشهداء في صمود الأندلس في وجه النصارى.

ولتحقيق أهداف هذه الدراسة تم إتباع منهج البحث التاريخي، وهو المنهج الذي يعتمد على تجميع الحقائق والمعلومات ثم مقارنتها وتحليلها وتفسيرها، للوصول إلى تعميمات في تناوله للعلماء الشهداء في الأندلس.

وقد بينت الدراسة مكانة كل من الشهداء والعلماء عند المسلمين عامة وعند أهل الأندلس خاصة، كما بينت إسهامات العلماء الشهداء في ميادين الجهاد من خلال دوافعهم للجهاد والاستشهاد والتي تمثلت في نشر الدعوة الإسلامية، ورد العدوان، ودرء الفتنة، ونصرة المظلومين، ودورهم في تحريض الحكام والناس على القتال لصد الغزو الصليبي لبلادهم، ومشاركتهم في القتال ضد النصارى.

كما أوضحت الدراسة إسهامات العلماء الشهداء في ميدان السياسة، وعالجت موقف العلماء الشهداء من السلطة الحاكمة وخاصة في فترات الضعف والانحلال عن طريق النصح و الإرشاد للحكام والمحكومين بواسطة الكتب والرسائل والخطب التي تشمل الوعظ والإرشاد، ومشاركتهم في الحكم والإدارة وخاصة الوزارة والقضاء والكتابة، ودورهم في تحقيق الوحدة والاستقرار السلسي، ونبذ الخصومات السياسية، والتنبيه إلى الخطر الكامن من وراء الصراعات الداخلية.

كما بينت الدراسة دور العلماء الشهداء في ميدان العلم والدعوة لتحقيق الفائدة المرجوة لطلبتهم، مبينة جهود العلماء الشهداء في الدعوة ونشر العلم، وأهم الطرق التي اتبعوها لتوصيل هذه الرسالة، وأظهرت انجازاتهم العلمية، وقسمت العلوم التي برعوا فيها إلى علوم عقلية وعلوم نقلية، وتحدثت عن رحلات العلماء الشهداء التي استمرت لسنوات عديدة وأماكن بعيدة لتحصيل العلم على أيدي علماء مشهورين .

Summary

This study is abaut Martyers Scientists in ELAndalos
(400-897H=1009-1492M)

It aims to know the Knowledge and participation of Scientists in battles and wars in ELAndalos and know the result which refer to nations when Rolesin battles and get at agood knowledge the Scientists play the big about their participation in battles and their scarficies against Christians.

And to achieve agools of this study we follow histroy research Curriculum, This Curriculum depends upon collect Knpwledge and compares and anylysis it, To arrive to the results which acceptable in its study for Martyers Scientists in ELAndalos.

This study appears the positions of Martyers and Scientists in Mualims in general, especially in ELAndalos, and explains the participation of martyes in buttles through their motivation for atruggles, This appear through spread the Islamic ideas and fights against enemies, and conspiry, and stands besides weakned people on Earth, and encourage the governer and leaders to fight against Christiansinvasions to theircountries and fight againstChristians.

The study shows that the role of martyrs scientists in the field of science and advice to realise the usefulness for their students, It shows the martyrs scientists efforts in beliefs and spreading science, The most important methods they follow to convey their message and show their scientific contribution as well as dviding the science that they were ereatine in it to mental science and tradition one . It also talked about the martyr scientists journeys which belong to severat years and for places,to get science on the hand of the scientist martyrs .

As the study reveals, the contribution of the myrtered scientists in the field of policy,Accordingly it treated their attitndes toword the disestablishmentisim duration,by giving advice and appropriate gnidance to both the governers and the governed vin books, meneges and addrenes which contain proper sermonizing and gnidance and their contribution in leader ship and administration espically minsters and court, and their roles in achieving unity and political stebilizing, discarding the political dispute warning to the hidden danger behind the internal conflicts.

المحتويات

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

تميزت الأندلس بعلمها وعلمائها، وقد لعب علماء الأندلس دوراً مهماً في تاريخ الأندلس، فعلى أيديهم قامت حضارته الرائعة، وبجهودهم انتشر الإسلام ورسخ في قلوب معظم السكان، وبتحريضهم وجهادهم صمدت دولة الإسلام في وجه أوروبا النصرانية نحو ثمانية قرون، وقد بذل العلماء في سبيل ذلك جهودهم وأوقاتهم وأموالهم وحتى أرواحهم، حيث استشهد كثير منهم، وقد سجلت مصادرنا معلومات مهمة عن سير بعض هؤلاء العلماء الشهداء، قرر الباحث جمعها وتحليلها وإخراجها في دراسة خاصة، تحفظ تاريخ هذه الثلّة المؤمنة التي خصّها الله تعالى فاختارها لأعلى مراتب الآخرة، وتقدّم للأجيال الحاضرة واللاحقة سيرهم العطرة، وتجاربهم الجهادية المفيدة، لكي يقتدوا بهم ويسيروا على دربهم، فما أحوج أمتنا اليوم إلى علماء يؤدون واجبهم، فيدعوا وينصحوا ويحرضوا ويعلموا ويربوا ويجاهدوا ويشروا نفوسهم لله تعالى.

أ_ مشكلة البحث وتساؤلاته:

يجيء هذا البحث محاولة للإجابة على التساؤلات الآتية:

1- ما دوافع العلماء الشهداء للجهاد ؟ وما الأساليب التي استخدموها لتحريض الحكام لصد الغزاة ؟
2- ما المعارك الحربية التي شارك فيها العلماء الشهداء ؟ وما دورهم في المعركة ؟
3- ما الآثار المترتبة على استشهاد العلماء ؟
4- ما الطرق والأساليب التي استخدمها العلماء الشهداء في نشر العلم ؟ وما أهم إنجازاتهم العلمية ؟
5- ما مدى أهمية الرحلة في تحصيل العلم لدى العلماء الشهداء ؟
6- هل تصدى العلماء الشهداء للظواهر السلبية ؟ وما الطرق التي اتبعوها ؟
7- ما موقف العلماء الشهداء من السلطة الحاكمة؟ وما النتائج المترتبة على هذا الموقف؟
8- هل شارك العلماء الشهداء في الحكم والإدارة ؟ وما المناصب التي تقلدوها ؟
9- كيف استطاع العلماء الشهداء تحقيق الوحدة والاستقرار ؟
10- ما موقف العلماء الشهداء من الصراعات الداخلية ؟

ب- أهمية البحث ومبرراته:

هناك أسباب عديدة دفعت الباحث إلى اختيار هذا الموضوع وأهم هذه الأسباب:

1- ندرة الدراسات العلمية الأكاديمية الجادة التي تغطي هذا الموضوع بالرغم من أهميته.
2- حاجة المجتمعات الإسلامية وخاصة مجتمعنا إلى نماذج من العلماء الذين ضحوا بأنفسهم؛ لإحياء الأمة.

3- دفع علماء عصرنا إلى القيام بواجبهم في النصح والدعوة والجهاد؛ لتحرير الأرض و المقدسات.
4- استلهام الدروس والعبر من شخصيات وتضحيات هؤلاء العلماء.
5- رفد المكتبة العربية التاريخية بدراسة متخصصة حول العلماء الشهداء في الأندلس.
6- الأندلس أرض رباط وجهاد؛ ولابد من الوقوف على الفعاليات الجهادية للعلماء، وخاصة الذين نالوا شرف الشهادة.
7- يقدم للقارئ العربي، ولصانع القرار في الوطن العربي صورة مشرقة عن العالم العامل المضحي بنفسه في سبيل رفعة دينه ووطنه.
8- يمكن أن يفيد هذا البحث المؤسسات التربوية؛ لتطوير مناهجها التعليمية وخاصة في مجال التربية الإسلامية والوطنية.
9- يوفر هذا البحث الفرصة لباحثين آخرين للقيام بدراسة موازية في أماكن أخرى من الدولة الإسلامية.

ت - أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى ما يلي :

1- معرفة هل شارك العلماء في المعارك والحروب في الأندلس؟ وهل سقط منهم شهداء؟
2- إظهار النتائج الإيجابية التي تعود على الأمة عندما يقوم العلماء بدورهم في الجهاد والاستشهاد، والنتائج السلبية التي تحل بها عندما يغيبون أو يتقاعسون.
3- محاولة جمع ما تفرق من تاريخ العلماء الشهداء في الأندلس في المصادر التاريخية المتعددة.
4- التعرف على مدى إسهامات العلماء الشهداء في صمود الأندلس في وجه النصارى.
5- بيان أثر مشاركة العلماء واستشهادهم في تحقيق النصر للمسلمين في الأندلس.
6- بيان أثر استشهاد العلماء عند المسلمين بشكل عام وفي الأندلس بشكل خاص.

ث - حدود البحث:

يتم تناول هذا البحث ضمن الحدود الآتية:

الحدود الموضوعية:

حيث يقتصر هذا البحث على دراسة العلماء الشهداء في الأندلس، وتضم هذه الحقبة عدداً كبيراً من هؤلاء العلماء الذين فازوا بخيري الدنيا والآخرة.

الحدود الزمانية:

يتناول هذه البحث حقبة زمنية تمتد من عـــام(400-897هـــــ = 1009-1492م)، حيث شملت المدة التي مكثها المسلمون في الأندلس من عــصر ملــوك الطوائــف حتـــى السقوط، أي أنها شملت عهد ملوك الطوائف، وعهد المرابطين وعهدالموحــدين ومملكــة غرناطة.

الحدود المكانية:

مساحة الأرض الإسلامية التي حكمها المسلمون في الأندلس، وهي شبه جزيرة إيبريا، والتي تضم أسبانيا والبرتغال حالياً والجزر التابعة لها.

ج- الدراسات السابقة:

بعد المراجعة والبحث تبين أن الموضوع لم يطرق من قبل، ولم تكتــب فيــه دراســة علمية متخصصة، اللهم إلا من دراسة علمية بعنوان " الدور الجهــادي لعلمــاء الأنــدلس" للباحث محمود أبوندي، حيث تناول في أحد المباحث علماء استشهدوا في ميــادين القتــال بالأندلس.

وتتميز هذه الدراسة عن الدراسة السابقة بأنها تتصدى لإسهامات العلمــاء الــشهداء فـــي ميادين الجهاد والعلم والدعوة والسياسة.

ولم يعثر الباحث في حدود علمه على أي بحث، أو دراسة سابقة تناولت العلماء الــشهداء في الأندلس.

ح- منهج البحث:

تعتمد الدراسة منهج البحث التاريخي، وهو المنهج الذي يعتمد على تجميــع الحقــائق والمعلومات ثم مقارنتها وتحليلها وتفسيرها؛ للوصول إلى تعميمات مقبولــة فـــي تناولـــه للعلماء الشهداء في الأندلس.

وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، أما المقدمـــة فقــد تــضمنت لمحة موجزة عن الموضوع والأسباب التي دفعت الباحث لدراسته.

وتناول التمهيد مكانة كل من الشهداء والعلماء عند المسلمين عامة، وعند أهل الأندلس خاصة، وأما الفصل الأول فقد أشار إلى إسهامات العلماء الشهداء في ميادين الجهاد، وقــد قسمه الباحث إلى ثلاثة مباحث، تناولت دوافع الجهاد عند العلماء الشهداء، ودورهــم فـــي التحريض على القتال، ومشاركتهم في القتال ضد النصارى.

وقدم الفصل الثاني دور العلماء في ميدان العلم والدعوة، وقسمه إلى ثلاثة مباحــث؛ مبيناً جهود العلماء الشهداء في الدعوة ونشر العلم، وإنجازاتهم العلمية، ورحلاتهم.

وأبرز الفصل الثالث إسهامات العلماء الشهداء في ميدان السياسة، وقسمه الباحث إلى ثلاثة مباحث؛ تعالج موقف العلماء من السلطة الحاكمة، ومشاركتهم في الحكم والإدارة، ودورهم في تحقيق الوحدة والاستقرار السياسي.

وختم الباحث دراسته بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها، كذلك التوصيات التي يوصي بها.

ومن الصعوبات التي واجهت الباحث أن معظم المصادر التاريخية اقتصرت في حديثها عن العالم على جوانب محددة، وأهملت كيفية استشهاده، كما أن هناك عدد كبير من العلماء لم تُذكر أسماؤهم في المصادر التاريخية، وجاءت تحت اسم "وسقط في المعركة علماء كثيرون".

واعتمد الباحث بشكل أساسي على المصادر الإسلامية، وأبرزها كتب التاريخ، والآدب، والتراجم، والأنساب، والمعاجم.

وفي الختام أرجو من الله أن أكون قد وفقت في إبراز جوانب هذا البحث، إنه أعظم مسؤول وأكرم مأمول، والحمد لله رب العالمين.

التمهيد

مكانة العلماء :

استمد أهل الأندلس نظرتهم إلى العلم من خلال الدين الإسلامي، الذي يدعو إلى العلـم، حيث دعا المسلمين إلى طلب التحصيل العلمي، والبحث والاستقصاء، قال تعـالى: " **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ❙ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ** "([1])، وقال أيضاً: " **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً** "([2]).

كما دعا إلى إقامة الدليل والبرهان، والوصول إليهما بكل تجرد ونزاهة فـي مواضـع متعددة من القرآن الكريم قال تعالى: " **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ** "([3]).

وليس هذا فحسب، بل امتد تحصيل العلم والسعي إليه حتى إلى الأنبيـاء، قـال تعـالى: "**هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً** "([4]).

ودعا الإسلام أيضاً إلى استعمال العقل والحواس في البحث العلمي، قال تعـالى: " **لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ** "([5]).

ولقد وجه الإسلام المسلمين إلى التدبر والبحث والتفسير لظواهر الكون، قـال تعـالى: "**وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً** "([6]).

ونال المتعلمون التكريم العظيم من الله، قال تعالى:" **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** "([7]).

وقرن الله بين الإيمان والعلم، ورفع مكانة المؤمنين العلماء فقال: " **يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** "([8]).

ووجه الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه المسلمين إلى طلب العلم بقولـه: " مـن خرج في طلب العلم، كان في سبيل الله حتى يرجع "([9])، وقال أيضاً: "طلب العلم فريضة علـى كل مسلم "([10]).

---

[1] **سورة العلق، الآية2.**

[2] **سورة طه، الآية 114.**

[3] **سورة البقرة، الآية 111.**

[4] **سورة الكهف، الآية 66.**

[5] **سورة الأعراف، الآية 179.**

[6] **سورة الإسراء، الآية 36.**

[7] **سورة الزمر، الآية 9.**

[8] **سورة المجادلة، الآية 11.**

[9] **الترمذي، سنن، ج9، ص544، رقم الحديث: 2571.**

[10] **ابن ماجه، سنن، ج1، ص260، رقم الحديث: 220.**

إذا كانت هذه تشريعات القرآن الكريم، وتوجيهات الرسول ﷺ للمسلمين، فقد سلك الخلفاء مسلك رسولهم الكريم، فشجعوا العلماء، وقربوا أهل العلم، فازدادت العلوم، وزاد طالبوها، وصنفت إلى أصناف مختلفة عقلية ونقلية، وظهر المتخصصون في كل مجال من مجالاتها المختلفة، وقطع طلاب العلم المسافات الطويلة لتحقيق مأربهم، مضحين بكل غال ونفيس، فازدهرت العلوم، وأضاء المسلمون للعالم معالم الطريق نحو النور.

مكانة الشهداء

الشهيد لغةً:

من شَهِدَ وهو يأتي بمعنى الشَّاهِد، ومن قُتِلَ في سبيل الله تعالى، وتجمع على شُهداء([11]).

أما الشهيد اصطلاحاً :

فقد عرفه الحنفية: بأنه من قتله المشركون، أو وجد مقتولاً في المعركة، و به أثر أية جراح ظاهرة أوباطنة، كخروج الدم من العين أو نحوها "([12]) .

وعرفه الشافعية: "وهو من قتل في حرب الكفار، مقبلاً غير مدبر مخلصاً "([13]) .

وقد مدح الحق سبحانه وتعالى الشهداء، وقضى لهم بالحياة بعد الشهادة، قال تعالى: " **وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ | فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ | يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ** "([14]) .

ويزيد الشهداء والمجاهدون فخراً ومكانة، أن رسول الله ﷺ تمنى أن يقاتل في سبيل تعالى فيقتل، ثم يقاتل فيقتل، قال رسول الله ﷺ : "والذي نفسي بيده ، لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده، لوددت أن أقتل في سبيل الله، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل "([15]).

ومما لا شك فيه أن مرتبة النبوة لا تعدلها مرتبة، وليس تمني النبي ﷺ للشهادة مرتبة أعلى من النبوة، ولكن ذلك تسلية للمجاهدين الخارجين في سبيل الله، الذين ربما راودهم الشك

---

[11] أبو حبيب، القاموس الفقهي لغة و اصطلاحاً، ص202.

[12] ابن عابدين، حاشية ابن عابدين، ج2، ص682.

[13] ابن حجر، فتح الباري، ج6، ص44.

[14] سورة أل عمران، الآية (169 - 171).

[15] النسائي، سنن، كتاب الجهاد، باب الرخصة في التخلف عن السرية، ج3، ص7، رقم الحديث:4306.

في مكانتهم، حيث لا يكونون بصحبة الرسول ﷺ، وأن الخروج للجهاد يفقدهم دوام الصحبة، وذلك عند عدم خروج الرسول معهم، فبين الرسول بتمنيه أن يقاتل فيقتل، وهو الأمر الذي يفعلونه، أن ما يفوت الخارجون في فضل الصحبة، يحصل لهم مثله بل فوقه بفضل الجهاد ([16]).

وسبب تسمية الشهيد شهيداً؛ لأنه حي، فكأن أرواحهم شاهدة أي حاضرة، وقال الأنباري: "لأن الله وملائكته يشهدون بالجنة، وقيل: لأنه يشهد عند خروج روحه ما أعد له من الكرامة، وقيل: لأنه يشهد له بالأمان من النار، وقيل لأنه لا يشهده عند موته إلا ملائكة الرحمة، وقيل: لأن الرسل تشهد له بحسن الاتباع، وقيل: لأن الله يشهد له بحسن نيته وإخلاصه"([17]).

إن حياة الشهداء محققة، وأنهم أحياء في الجنة يرزقون فيها، كما أخبر الله تعالى، لقد ماتوا وغادروا هذه الدنيا، لكنهم فضلوا على سائر الناس بالرزق في الجنة؛ حتى كأن الحياة دائمة لهم، قال رسول الله ﷺ:" الشهداء على بارق نهر بباب الجنة، في قبة خضراء، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا "([18]).

والراجح الصحيح هو أن أرواح الشهداء في جوف طير خضر، وأنهم يرزقون ويتنعمون ويأكلون، قال رسول الله ﷺ:" إن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر، تعلق من ثمر الجنة أو شجر الجنة "([19]) .

والشهداء ليسوا على رتبة واحدة عند الله، فهم متفاوتون في المكانة، ومتفاوتون في المكان، وسبب ذلك التفاوت في درجات إخلاصهم، وسماحة أنفسهم بأنفسهم، وتفاوتهم فيما كانوا عليه قبل الاستشهاد من الأعمال الصالحة، فمنهم من تكون روحه في جوف طير أخضر، يرعى في الجنة حيث شاء، ثم يأوي إلى قناديل معلقة في ظل العرش، ومنهم من يكون على بارق نهر بباب الجنة، يأتيهم رزقهم من الجنة بكرةً وعشياً، ومنهم من يطير مع الملائكة في الجنة حيث شاء، ومنهم من يكون على أسرة في الجنة، وإن الأرض لا تأكل أجسادهم([20]).

وللشهداء فضائل عدة عند الله، قال رسول الله ﷺ: "للشهيد عند الله ست خصال، يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع

---

[16] ابن حجر، فتح الباري، ج6، ص16.

[17] ابن النحاس الدمشقي، مشارع الأشواق، ص 259، 260.

[18] الإمام أحمد، مسند، كتاب مسند بني هاشم، باب بداية مسند عبدالله بن عباس،ج1، ص266، رقم الحديث:2390.

[19] الترمذي، سنن، كتاب فضائل الجهاد، باب في فضل الشهداء، ج4، ص176، رقم الحديث:1640.

[20] ابن النحاس الدمشقي، مشارع الأشواق، ص261.

على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه"([21]).

ومن فضائل الشهداء أيضاً :

1- لا يدخل أحد الجنة ويحب أن يخرج منها، ولو أعطي ما في الدنيا جميعاً إلا الشهيد، فهو يتمنى أن يرده الله إلى الدنيا؛ ليقاتل في سبيل الله، لما يرى من فضل الشهادة، وكرامة الشهيد، قال رسول الله ﷺ: "ما من أحد يدخل الجنة، يحب أن يرجع إلى الدنيا، وأن له ما على الأرض من شيء، إلا الشهيد، فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا، فيقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة([22]).

2- الشهادة في سبيل الله تكفر ما على العبد من الذنوب التي بينه وبين الله، قال رسول الله ﷺ: "يغفر للشهيد كل شيء إلا الدين "([23]).

3- الملائكة تظلل الشهيد بأجنحتها، فعندما سمع رسول الله صوت نائحة على أبيها فقال رسول الله ﷺ: لم تبكين ؟ أو: لا تبكي– ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها "([24]).

4- الشهادة الخالصة في سبيل الله توجب دخول الجنة قطعاً، قال تعالى: "والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم"([25]).

5- عندما يقتل الشهداء في سبيل الله؛ فإن الله يجعل أرواحهم في أجواف طير خضر في الجنة، قال رسول الله ﷺ: "لما أصيب إخوانكم جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر، ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب، معلقة في ظل العرش "([26]) .

---

[21] عبدالرازق، مصنف، باب الشهادة، ج5، ص265، رقم الحديث:9559؛ الإمام أحمد، مسند، حديث المقدام ابن معد يكرب، ج4، ص131، رقم الحديث:17221.

[22] البخاري، صحيح، كتاب الجهاد والسير، باب تمنى المجاهد، ج3، ص1037،رقم الحديث:2662 ؛ مسلم، صحيح، كتاب الإمارة، فضل الشهادة، ج3، ص1498، رقم الحديث:1877.

[23] مسلم، صحيح، كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله، ج3، ص1502، رقم الحديث:1886 .

[24] البخاري، صحيح، كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت، ج4، ص435، رقم الحديث: 1231؛ مسلم، صحيح، كتاب فضائل الصحابة، من فضائل عبد الله بن حراء، ج4، ص1918، رقم الحديث:2471.

[25] سورة محمد، الآية 64.

[26] أبو داود، سنن، كتاب الجهاد، باب في فضل الشهادة، ج3، ص15، رقم الحديث:2520.

ولعل حكمة الله في جعل أرواح الشهداء في ألطف الأحياء، وهو الطير، واختار ألطف الألوان وهو الأخضر، ويأوي ذلك الطير الأخضر إلى ألطف الجمادات، وهي القناديل المنورة والمفرحة في ظل العرش، لتكتمل لها لذة النعيم في جوار الرب الكريم([27]).

6- الشهداء لا يفتتون في قبورهم، ولا يصعقون عند نشورهم، سأل ﷺ وسلم: جبريل عن هذه الآية: "ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا ما شاء الله "([28])، من هم الذين لم يشأ الله أن يصعقهم ؟ قال جبريل: هم شهداء الله "([29]).

7- الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته، ويأمن من الفزع الأكبر، ويغفر له بأول قطره من دمه، قال رسول الله ﷺ: "يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته"([30]).

8- من استشهد في سبيل الله أفضل ممن انتصر وعاد سالماً، قال رجل: يا رسول الله: أي الجهاد أفضل ؟ قال: أن يعقر جوادك، ويراق دمك"([31]) والحديث دليل على بطلان قول من قال: إن المجاهد الغالب المنتصر أفضل من المجاهد الشهيد المقتول([32]).

9- الشهيد لا يجد من ألم القتل إلا كما يجد من ألم القرصة، قال رسول الله ﷺ: "لا يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة"([33]).

10- يدخل الملائكة على الشهداء من كل باب يسلمون عليهم، قال رسول الله ﷺ: "إن الله عز وجل ليدعو يوم القيامة الجنة، فتأتي بزخرفها وزينتها، فيقول: أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وقتلوا، وأوذوا وجاهدوا في سبيلي؟ ادخلوا الجنة، فيدخلونها بغير حساب، وتأتي الملائكة فيسجدون، فيقولون: ربنا نحن نسبح بحمدك الليل والنهار، ونقدس لك، من هؤلاء الذين آثرتهم علينا؟ فيقول الرب عز وجل : هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي، وأذوا في سبيلي، فتدخل الملائكة من كل باب: سلام عليكم بما صبرتم، فنعم عقبى الدار"([34]).

---

[27] ابن النحاس الدمشقي، مشارع الأشواق، ص270.

[28] سورة الزمر، الآية 68.

[29] الحاكم، المستدرك، ج2، ص278، رقم الحديث:3000 .

[30] أبو داوود، سنن، كتاب الجهاد، باب في الشهيد يشفع، ج3، ص16، رقم الحديث:2522.

[31] البيهقي، سنن، ج4، ص243، رقم الحديث: 20928.

[32] ابن النحاس الدمشقي، مشارع الأشواق، ص272 .

[33] الامام أحمد، مسند، كتاب باقي مسند المكثرين، باب مسند أبو هريرة، ج2، ص297، رقم الحديث: 7940؛ الترمذي، سنن، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل المرابط، ج4، ص190، رقم الحديث: 1668.

[34] الامام أحمد، مسند، كتاب مسند المكثرين، باب مسند عبد الله بن عمرو، ج، ص168، رقم الحديث: 6570 .

11- يرضى الله عن الشهيد رضى لا سخط فيه، جاء أناس إلى النبي ﷺ فقالوا: "ابعث معنا رجالاً يعلموننا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار، يقال لهم القـــراء، فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان، فقالوا اللهم أبلغ عنا نبيناً، أنـــا قـــد لقينـــاك، ورضينا عنك، ورضيت عنا... فقال رسول الله ﷺ: "إن إخوانكم قد قتلوا، وإنهم قـــالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك ورضينا عنك ورضيت عنا "([35]).

12- لا يشترط في الشهادة سبق أعمال الأبرار، بل هي بسابق الإرادة، والاختيار، وأتـــى ﷺ رجل مقنع بالحديد فقال: يا رسول الله: أقاتل أوأسلم ؟ قال: أسلم ثم قاتل، فأســـلم ثـــم قاتل، فقتل، فقال رسول الله ﷺ: "عمل قليلاً وأجر كثيراً "([36]).

13- لا يفضل الأنبياء الشهيد إلى بدرجة النبوة، وقال رسول الله ﷺ: " القتلى ثلاثة: رجـــل مؤمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله؛ حتى إذا لقي العدو حتى يقتـــل، فـــذلك الـــشهيد الممتحن في جنة الله، تحت عرشه، لا يفضله النبيون إلا بفضل درجة النبوة ..."([37]) .

ومما سبق يبدو أن هذه المكانة العظيمة للشهداء، التي تلوح من كـــلام الله ورســـوله، كانت تلهب المقاتلين شوقاً إليها، وتغريهم ببذل المهج، والأرواح في سبيل الله، لقد كان بعـــضهم يشم ريح الجنة وهو يخوض الأهوال.

وحتى يكون الأمر واضحاً جلياً في هذا البحث، فإن مقصدنا من الشهيد هـــو الـــشهيد الذي يقتل في سبيل الله، والذي يقتل على يد السلطان ظلماً وعدواناً، لقوله ﷺ: "سيد الشهداء يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر، فنهاه وأمره، فقتله"([38]).

ذلك بأن الشهداء أنواع، فقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: "الشهادة ســـبع ســـوى القتل في سبيل الله، المطعون شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطـــون شـــهيد، وصـــاحب الحرق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيدة "([39]).

والمراد بشهادة هؤلاء كلهم، غير المقتول في سبيل الله، أنهم يكون لهـــم فـــي الآخـــرة ثـــواب الشهداء، وأما في الدنيا فيغسلون، ويصلى عليهم، وبيان هذا أن الشهداء ثلاثة أقسام: شـــهيد فـــي

---

[35] مسلم، صحيح، كتاب الامارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، ج3، ص1512، رقم الحديث: 677.

[36] البخاري، صحيح، كتاب الجهاد والسير، باب عمل صالح قبل القتال، ج3، ص1034، رقم الحديث: 2653.

[37] الامام أحمد، مـــسند، ج4، ص 186، رقـــم الحـــديث:17693؛ البيهقـــي، ســـنن، ج9، ص164، رقـــم الحديث:18304.

[38] الحاكم، المستدرك، ج3، ص315، رقم الحديث:4884.

[39] النسائي، سنن، كتاب الجهاد، باب من خان غازياً في أهله، ج4، ص14، رقم الحديث:1846 .

الدنيا والآخرة، وهو المقتول في حرب الكفار، وشهيد في الآخرة دون أحكام الدنيا، وهم هــؤلاء المذكورون هنا، وشهيد في الدنيا دون الآخرة، هو من غل من الغنيمة أو قتل مدبراً([40]).

[40] سابق، فقه السنة، ج3، ص29.

المبحث الأول

دوافع العلماء الشهداء إلى الجهاد والاستشهاد

أقبل العلماء الشهداء على الجهاد والاستشهاد، وأبلوا بلاءً حسناً في ميادينه كافة لأسباب عدة أهمها:

أولاً: لعلمهم أن الجهاد واجب على كل مسلم، لقوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**"([1])، **وقوله تعالى**: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمْ الأَدْبَارَ**"([2]).

فكل من أتعب نفسه في ذات الله، وإعلاء كلمته التي جعلها طريقاً إلى الجنة وسبيلاً إليها فقد جاهد في سبيله([3])، إلا أن الجهاد في سبيل الله إذا أطلق فلا يقع بإطلاقه إلا على الكافر وبالسيف والقتال([4]).

ويكون الجهاد فرض عين إذا أغار العدو على المكان أو البلد الذي يقيم فيه المسلمون، أو أشرفوا عليها من بعيد، فإنه يجب على أهل البلد جميعاً أن يخرجوا لقتاله، ولا يحل لأحد أن يتخلى عن القيام بواجبه نحو مقاتلته، فيخرج العبد من دون إذن سيده وتخرج المرأة بدون إذن زوجها، ويخرج الولد بغير إذن الوالدين، ويخرج المدين بغير إذن صاحب الدين([5])، قال تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنْ الْكُفَّارِ**"([6])، ولا يسع المكلف عن الاستجابة إليه، يقول ابن حزم "من أمره الأمير بالجهاد إلى دار الحرب ففرض عليه أن يطيعه في ذلك([7])؛ لقوله ﷺ: "لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا"([8]).

---

[1] سورة الأنفال، أية45.

[2] سورة الأنفال، أية15.

[3] ابن رشد، المقدمات الممهدات، ج1، ص341.

[4] المصدر نفسه، ج1، ص341؛ الكشناوي، أسهل المدارك، ج2، ص3.

[5] ابن عبدالبر، الكافي، ص205؛ ابن حزم، المحلي، ج5، ص340؛ ابن رشد، المقدمات الممهدات، ج1، ص351؛ ابن قدامه، المغني، ج10، ص361؛ ابن النحاس، مشاريع الأشواق، ص67.

[6] سورة التوبة، أية 123.

[7] ابن حزم، المحلي، ج7، ص261.

[8] البخاري، صحيح، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، ج3، ص1416، رقم الحديث:3686؛ مسلم، صحيح، كتاب الإمارة، باب المبايعة بعد فتح مكة، ج3، ص1488، رقم الحديث:1353.

ويكون الجهاد فرض عين أيضاً على كل قادر عليه إذا حضر أرض القتال مع العدو، وكل من يحضر أرض المعركة مع العدو لا يجوز له أن يغادرها إلا بإذن ولي الأمر المباشــر لقيــادة المسلمين في المعركة([9]).

ويكون فرض على الكفاية، إذا قام به البعض واندفع به العدو سقط الفرض عن البــاقين([10])، ويكون فرض كفاية أيضاًعندما تقوم مجموعة من المسلمين بدفع الأعداء، وغزوهم في عقــر دارهم، وحماية ثغور المسلمين، ففي هذه الحالة تسقط فريضة الجهاد عن الباقين، وتكون لهم نافلة وقربة([11])، والدليل على أنه فرض كفاية قوله تعالى: "**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** "([12]).

وقد قرن القرطبي بين الجهاد والإيمان؛ لأنه أفضل الأعمال، وقال بتفضيل الجهاد في حالة تعينه([13]).

ويجب الجهاد على المسلم البالغ العاقل الذكر الحر السالم من الضرر الواجد للنفقة، أما الإسلام والبلوغ والعقل: فهي شرط لوجوب سائر التكاليف، يقول ابن رشد رحمه الله: "وأمــا على من يجب الجهاد فهم الرجال، الأحرار، البالغون، الذين يجدون بما يغزون الأصحاء بــه، لا المرضى، ولا الزمني([14])، وذلك لا خلاف فيه([15])؛ لقوله تعالى: "**لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ** "([16]) **قولـــه**: "**لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ** "([17]).

ويبدو واضحاً أن الذكورية شرط ضروري من شروط الجهاد، وذلــك؛ لأن الرجــل يستطيع تحمل المشقة والصبر على الشدائد، أما المرأة فضعيفة وقلبها رقيق، وأمرت بالــستر

---

[9] **عبدالله، عبد الرحمن، فريضة الجهاد، ص54.**

[10] **ابن رشد(الحفيد)، بداية المجتهد، ج1، ص380.**

[11] **ابن حزم، المحلي، ج7، ص391؛ ابن رشد، المقدمات الممهدات، ج1، ص347.**

[12] **سورة التوبة، أية122.**

[13] **ابن حجر، فتح الباري، ج5، ص149.**

[14] **الزمنى: أصحاب أمراض التي تدوم(ينظر: الصيداوي، قواعد اللغة العربية، ج1، ص162).**

[15] **ابن رشد، المقدمات الممهدات، ج1، ص353؛ ابن رشد(الحفيد)، بداية المجتهد، ج1، ص380.**

[16] **سورة الفتح، أية17.**

[17] **سورة التوبة، أية91.**

والقرار في بيتها([18])، فعن عائشة أم المؤمنين قالت: استأذنت النبـــي ﷺ فـــي الجهـــاد فقـــال: "جهادكن الحج"([19])، والراجح أن أصحاب الأعذار الذين أعذرهم الله لا يأثمون أيضاً.

ويرى أهل الأندلس أن الجهاد طاعة لله تعالى، ويصرح بذلك ابن حزمون الشلبي فـــي رثاء الشهيد أبو الحملات مدافع بن مردنيش قائلاً:

ياحَاديَ الرَّكْبِ هَاتْ	حَدِّثْ لَنَـــا بِمـــُرْسِيـــةَ
أوْدَى أبو الحَمَـــلاتْ	يَـــا وَيْـــحَهَـــا بَلَنْسيَـــة
فِي طَاعَةِ اللهِ مـــَاتْ	حَاشَا لَهُ أنْ يَعْصِيَـــهُ([20]).

ويظهرعِظم الجهاد عند أهل الأندلس في رسالة لسان الدين ابن الخطيب في تفـــضيل الجهاد على الحج حيث يقول: "واعلم أنه لو لم يكن للأندلس من الفضل سوى كونها ملاعـــب للجهاد لكان كافياَ... كتب الله لكم عملاً صالحاَ، يختم بالجهاد صحائف بره، فكتبنا إلـــيكم هـــذا نقوي نصيرتكم على جهة الجهاد من العزمين، ونهيب بكم إلى إحدى الحسنيين، والصبح غيـــر خافٍ على ذي عينين، والفضل ظاهر لإحدى المنزلتين، فـــإنكم إذا حججـــتم أعـــدتم فرضـــاَ أديتموه، وفضلاَ ارتديتموه فائدته عليكم مقصودة... ويوم القيامة شهداؤها مع الـــذين أنعـــم الله عليهم من النبيين والصديقين، فرحين بما آتاهم الله من فضله"([21])

ثانياً: رغبةً في الأجر العظيم الذي أعده الله للمجاهدين ولـــشهداء وللمـــرابطين فـــي سبيله، فالجهاد أفضل نوع من أنواع التطوع، وفيه إعلاء لكلمـــة الله، وتمكـــين للهدايـــة فـــي الأرض وتركيز للدين الحق، ومن ثم كان أفضل من تطوع الحج، والعمرة، وأفضل من تطوع الصلاة، والصوم، وهو مع ذلك ينتظم مع كل لون من ألوان العبادات سواء منهـــا مـــا كـــان عبادات الظاهر أو الباطن، فإن فيه من عبادات الباطن الزهد في الـــدنيا، ومفارقـــة الـــوطن، وهجرة الرغبات حتى سماه الإسلام الرهبنة([22])، فاستجابةً لوعـــد الله انخـــرط العلمـــاء فـــي صفوف المجاهدين؛ لقوله تعالى: " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ❙ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ**

---

[18] ابن رشد، المقدمات الممهدات، ج1، ص353.

[19] الإمام أحمد، مسند، كتاب باقي مسند الأنصار، بـــاب حـــديث الـــسيدة عائـــشة، ج6، ص 165، رقـــم الحديث:25364؛ البخاري، صحيح، كتاب الجهاد والسير، بـــاب جهـــاد النـــساء، ج3، ص1054، رقـــم الحديث:2720.

[20] ابن سعيد، المغرب، ج2، ص217.

[21] المقري، نفح الطيب، ج1، ص188.

[22] ابن القيم الجوزية، حاشية ابن القيم، ج7، ص127.

تَعْلَمُونَ "([23])، وقوله: "**ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ** "([24])، **وقوله**: "**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ | فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** "([25]).

وكذلك تلبيةً لأمر رسول الله ﷺ فعن أبي سعيد الخذري رضي الله عنه قال: "أتى رجل رسول الله ﷺفقال: "أي الناس أفضل ؟ قال مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله تعالى، قال ثم من؟ قال: ثم مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله، ويدع الناس من شره"([26])، وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله(ﷺ) قال: "مقام الرجل في الصف في سبيل الله أفضل عند الله من عبادة الرجل ستين سنة "([27]).

والجهاد لا يعدله شيء من الأعمال، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قيل يا رسول الله، ما يعدل الجهاد في سبيل الله ؟ قال: لا تستطيعونه، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يقول:لا تستطيعونه، ثم قال: مثل المجاهد في سبيل الله، كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صلاة أو صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله"([28]).

ويذكر ابن رشد أن الجهاد من أفضل الأعمال؛ لأن فيه بذل النفس في طاعة الله، فقد بلغ الغاية التي لا يقدر على أكثر منها؛ ولذلك جازى الله الشهداء في سبيله لما بذلوا حياتهم في طاعته بأن أحياهم أفضل من حياتهم التي بذلوها في طاعته([29]).

وهكذا يبدو واضحاً أن أعمال الشهداء لا تضيع ولا تضل، وإنما تصل إلى أهدافها وتحقق غاياتها، وأن الجنة تستقبلهم بطيبها، وأن ما يناله الشهيد خير مما يجمعه جامعوا المال والراغبون في حطام الأرض، وأنهم أحياء وليسوا أمواتاً، وأنهم ينعمون بما لا ينعم به ولا ببعضه أحياء هذه الدنيا.

---

[23] سورة الصف، أية10-11.

[24] سورة النحل، أية 110.

[25] سورة أل عمران، أية 169-170.

[26] البخاري، صحيح، كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد، ج3، ص1027، رقم الحديث:2634؛ مسلم، صحيح ، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط، ج3، ص1503، رقم الحديث:1888.

[27] الدارمي، سنن، كتاب الجهاد، باب فضل مقام الرجل في سبيل الله، ج2، ص266، رقم الحديث:2396؛ الحاكم، المستدرك، ج2، ص78، رقم الحديث:2383.

[28] الإمام أحمد، مسند، باقي مسند المكثرين، باب باقي المسند، ج2، ص1499، رقم الحديث:1878؛ مسلم، صحيح، كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله، ج2، ص424، رقم الحديث:9477.

[29] ابن رشد، المقدمات الممهدات، ج1، ص343.

وحرص ابن الخطيب على بيان فضل الجهاد عندما فضله على الحج، حيث يرى أن فضل الحج يعود إلى صاحبه، أما الجهاد فتتعدى منفعته إلى آلاف النفوس، وحث على ختم العمر بالجهاد بقوله: "وتختموا العمر الطيب بالجهاد الذي يعليكم، ومن الله تعالى يدنيكم، فنبيكم العربي صلوات الله عليه وسلامه نبي الرحمة والملاحم ومعمل الصوارم، وبجهاد الفرنج ختم عمل جهاده، والأعمال بالخواتم... وأنتم أحق الناس باقتفاء جهاده والاستباق إلى آماده"([30]).

وقد بلغ من حرص العلماء الشهداء على الشهادة، أن بعضهم كان يدخل المعركة وهو يدعو الله أن يقاتل ويجالد وأن يقتل في سبيل الله، ويسأل الله الشهادة مقبلاً غير مدبر([31])، وأما الذين لم ينالوها فكانوا يظنوا في أنفسهم شراً ويبدأون مراراً في معالجة الأخطاء التي يعتقدون أنها حالت بينهم وبين الشهادة، ويتقدمون في ساحات القتال، وفي أصعب المواقف، خاصة المبارزة؛ لينالوا شرف الشهادة([32])، وكان علماء الأندلس يسعون للجهاد؛ لينالوا إحدى الحسنين: النصر أو الشهادة، وكثيرون منهم كانوا يرون الشهادة أثمن وأفضل، وظهر ذلك من خلال كثرة تكرارهم وترددهم على ساحات القتال عاماً بعد عام، حتى ينالوا مرادهم على الصورة التي يحبونها وهم في طريقهم للجهاد والغزو([33])؛ ليبلغوا منازل الشهداء لقول رسول الله(ﷺ) "أرواح الشهداء في حواصل طير خضر، تسرح في الجنة حيث شاءت"([34])، ورغب العديد منهم زيادة الأجر، فذهبوا إلى الثغور وإلى ساحات القتال مشياً على الأقدام، فقد غزا علي بن عبدالله بن ثابت(539هـ=1144م) بلاد العدو غزوات كثيرة على قدميه ابتغاء الأجر([35])، كما التزموا بأوامر أمير الجيش و السمع والطاعة فيما أحبوا وكرهوا؛ لأن الطاعة للأمير من فرائض الغزو سواء كان هذا الأمير براً أو فاسقاً([36])، وأيَّاً كان موقعه سواء كان أميراً لكتيبة أو سرية أو جيش، وذلك لمعرفته بالحرب وفنونها؛ لذا فإن أوامره واجبة التنفيذ وعلى الجند الطاعة([37]).

---

[30] المقري، نفح الطيب، ج1، ص189.

[31] ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص118.

[32] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج2، ص179.

[33] المصدر نفسه، ج2، ص83.

[34] الترمذي، سنن، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة أل عمران، ج4، ص176 رقم الحديث:1641؛ الطبراني، المعجم، ج9، ص184، رقم الحديث:8905.

[35] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ص222.

[36] ابن حزم، المحلى، ج5، ص352 ؛ ابن رشد، المقدمات الممهدات، ج 1، ص355.

[37] ابن رشد، البيان والتحصيل، ج3، ص8.

وصور الفقيه عبد الحق بن عطية الشهيد محمد بن مزدلي، مظهـراً صـفات الجـرأة والإقدام، مبيناً أن من صفات الشهيد عدم الفرار من المعركة والنجاة الذليلة، فهو يقبـل علـى الموت مقداماً غير محجم، إذ يعد الموت فـي سـبيل الله حيـاة، كمـا يعـد الـذل والفـرار موتاً حقيقياً([38]).

وصور الفقيه أبو عبد الله اللوشي حرص القائد مزدلي على الشهادة ذاكراً ما عنده من صفات الشجاعة، والاستعداد للقتال، داعياً له بالمغفرة وبالرحمة فقال: "فإنه كان متوفر الهمـة على الجهاد، من أهل الجد في ذلك والاجتهاد، وحسبه أنه لم يقض نحبه إلا وهو متحفـز فـي عسكره، فأدركه الموت مهاجراً، ومع الله تاجراً، وأرجو أن يكون قد قـرن فاتحـة الـسعادة، بخاتمة الشهادة"([39]).

والرغبة في الأجر والثواب لا تنقطع لدى علماء الأندلس، فالرباط من توابع الجهـاد، ويمتزج به امتزاجاً وثيقاً، ويعد جزءاً منه، والمرابط في سبيل الله هو الشخص الـذي يـلازم الثغور؛ لحراسة ما فيها من المسلمين([40])، وكان لكل رباط مهمتان: مقاومة الغـزاة، وإنـذار القوات الصديقة الموجودة في العمق عن طريق إشعال النيران في أعلى المآذن عند ملاحظـة تقدم العدو من البر أو البحر([41]).

وقد رغب الإسلام في حماية الثغور، حاثاً المسلمين على الرباط، قال تعالى: "**فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ** "([42])، **وقـال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**"([43]).

وقد بين الرسول:(ﷺ) أن فضل الرباط عظيم، وأجره كبير، وذلـك لأن الربـاط دفـع عـن المسلمين وعن حريمهم، وقوة لأهل الثغر، ولأهل الغزو، وفي ذلك إعزاز الـدين([44])، قـال رسول الله(ﷺ): "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم مـن الجنة خير من الدنيا وما عليها"([45])، وروى الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وعـن

---

[38] ابن خاقان، قلائد العقيان، ج3، ص664، 665.

[39] المصدر نفسه، ج3، ص676.

[40] ابن رشد، المقدمات الممهدات، ج1، ص263.

[41] المصدر نفسه، ج1، ص264؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص324.

[42] سورة التوبة، أية 5.

[43] سورة أل عمران، أية 200.

[44] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص324.

[45] البخاري، صحيح، كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يـوم فـي سـبيل الله، ج5، ص2358، رقـم الحديث:6052؛ الإمام أحمد، مسند، كتاب باقي مسند الأنصار، باب حديث أبي مالك سـهل بـن سـعد، =

رسول الله(ﷺ) قال: "رباط شهر خير من صيام دهر، ومن مات مرابطاً في سـبيل الله أمـن الفزع الأكبر، وغدي عليه، وريح برزقه من الجنة، ويجرى عليه أجر المرابط حتى يبعثـه الله عز وجل"([46])، وروى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "مـن مات مرابطاً مات شهيداً، ووقي فتان القبر، غدي عليه، وريح برزقه من الجنة، وجـري لـه عمله "([47]).

وذكر ابن رشد: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه قال "فـرض الله الجهـاد لسفك دماء المشركين، وفرض الرباط لحقن دماء المسلمين، وحقن دماء المسلمين أحـب إلـي من سفك دماء المشركين"([48])،ويقول ابن النحاس: "واعلم أن الربـاط أحـد شـعب الإيمـان، وموجبات الغفران، هذه الطاعة خير من كل الدنيا وما عليها، لو استطاع مـسلم أن يتملكهـا وينفقها في سبيل الله، وهذا مستحيل"([49]).

ويضيف "أما الرباط فإنه يضاعف أجره إلى يوم القيامة؛ لأنـه لا معنـى للنمـاء إلا المضاعفة، وهي في الرباط غير موقوفة على سبب، حتى تنقطع بانقطاعه، وإنما هي فـضل دائم من الله إلى يوم القيامة، وذلك لأن أعمال البر كلها لا يتمكن الإنسان منها إلا بالسلامة من العدو، والتحرز منهم بحراسة بيضة الدين، إقامة شـعائر الإسـلام، ولا يتحقـق إلا بالربـاط والجهاد"([50]).

ولم يفضل الرباط على الجهاد، إذ لا يصح أن يقال إن أحدهما أفضل من الآخر علـى الإطلاق، وإنما حسب الأوضاع السياسية التي تمر بها الدولة، فالرباط أفضل عند شدة الخوف وتعرض حدود الدولة لهجوم خارجي، ويكون الجهاد أفضل عند الأمن وقلـة الخـوف مـن العدو([51]).

=ج3، ص433، رقم الحديث:15605؛ الترمذي، سنن، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل المرابط، ج4، ص188 رقم الحديث:1664.

[46] **الإمام أحمد، مسند، ج2، ص404، رقم الحديث:9233.**

[47] **ابن ماجة، سنن، ج2، ص924، رقم الحديث:2767.**

[48] **ابن رشد، المقدمات الممهدات، ج1، ص275.**

[49] **ابن النحاس الدمشقي، مشارع الأشواق، ص140.**

[50] **القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص324.**

[51] **ابن رشد، البيان والتحصيل، ج2، ص522.**

كما يتفاوت ثواب المرابط حسب التفاوت في الأمن والخوف من العدو، فكلما كان الخوف أكثر كان الثواب في المقام أكثر، أو بحسب منفعة المسلم بمقامه، فإن أصل هذا الثواب لإعزاز الدين وتحصيل المنفعة للمسلمين([52]).

ثالثاً: مقاتلة الحكام الذين يمنعون الدعوة والدعاة من الوصول إلى شعوبهم، فإعلان المسلمين الحرب على أهل الكفر والإلحاد، إنما يكون من أجل عقيدة التوحيد، ولتبقى هذه الراية(لا إله إلا الله محمد رسول الله)عالية خفاقة، ولترتفع على كل الرايات([53])، والذين يسالمون المسلمين، ولا يعرقلون سير الدعوة إليه، ولا يناصرون عليه عدواً، أولئك لهم الأمن، وإن لم يدخلوا في الإسلام، أما الذين يناصبونهم العداء، ويعرقلون مسيرة الدعاة إلى الله ويعضدون أعداء الإسلام، فاؤلئك يعرضون أنفسهم لنقمة الجيش الذي وهب نفسه وحياته لإعلاء كلمة الله([54])؛ لقوله تعالى: "**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ**"([55])، وقال: "**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ**"([56]).

وهكذا وضحت الآيات أن الجهاد واجب في هذه الحال، حتى تصبح حرية الأديان حقيقة لا تشوبها شائبة، وأن الحروب التي خاضها المسلمون لم تكن لحمل الناس على الإسلام، وإنما لوقف إكراه الناس على عدم الدخول فيه، وأوضح دليل لذلك أن المسلمين سمحوا لغير المسلمين بالبقاء في البلاد التي سيطروا عليها([57])، فالمسلمون مأمورون بالقتال لدرء الفتنة؛ لأنها انتهاك لأعلى قيمة في الإسلام، إنها أشد من القتل؛ لأن القتل انتهاك لقيمة الحياة، وقيمة الدين أعلى من قيمة الحياة، فإذا اقترف المشركون جريمة الفتنة وصدوا عن سبيل الله وجب قتالهم؛ لأن حرمة الدين فوق كل حرمة، فإن انتهكت بالفتنة، كان من المحتم أن يقاتل المسلمون دفاعاً عنها، بصرف النظر عن كل قيمة أخرى، فمن لم يمنع المسلمين من إقامة دين الله لم تكن مضرة كفره إلا على نفسه([58]).

---

[52] **السرخسي، شرح كتاب السير الكبير، ص189.**

[53] **الثلاثيني، نهاد، الأمن العسكري في السنة النبوية، (رسالة ماجستير غير منشورة)، ص34، الجامعة الإسلامية، 2007م.**

[54] **ابن رشد، بداية المجتهد، ج1، ص389.**

[55] **سورة البقرة، أية 193.**

[56] **سورة البقرة، أية 191.**

[57] **شلبي، أحمد، الجهاد والنظم العسكرية، ج6، ص60.**

[58] **ابن تيمية، فقه الجهاد، ص75.**

ويتمثل باعث القتال من أجل نشر الدين بقول الرسولﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله"([59])، وقوله ﷺ: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله "([60])، وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: "جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم([61])، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"([62]).

ويقول ابن القيم الجوزية: "وإنما وضع الجهاد لأجل ذكر الله، فالمقصود أن يذكر الله ويعبد وحده، فتوحيده وذكره وعبادته هو غاية الخلق التي خلقوا لها"([63]).

وبناء على ما سبق، يرى الباحث أنه ينبغي أن ينشط المسلمون في كل مكان وزمان للدعوة للإسلام، فإن منعوا من ذلك أو منع من يريد أن يعتنق الإسلام من اعتناقه، كان لزاماً أن ترد القوة هذا المنع، وأن يفسح السبيل للدعوة ولحرية التدين، والجهاد مطلوب لمنع الحواجز والعوائق التي تحول دون توصيل الدعوة للناس، أو تحول دون اعتناقهم لها بعد الاقتناع بها.

رابعاً: رد العدوان الذي يصيب المسلمين في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم على أيدي نصارى الأندلس المعتدين، لقوله تعالى: " **أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ** "([64])، **وقال تعالى:** "**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**"([65])، **وقال:** "**فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**"([66]).

وبذلك يتضح أن المسلمين يقاتلون في سبيل الله الذين يقاتلونهم، ونهوا عن الاعتداء، وهذا النهي بكراهة الله للعدوان وعدم محبته للمعتدين؛ فالآيات ناطقة بأن السبب الذي من أجله

---

[59] ابن ماجة، سنن، ج2، ص1296، رقم الحديث:3929؛ النسائي، سنن، ج7، ص80، رقم الحديث: 3979.

[60] البخاري، صحيح، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ج2، ص1035، رقم الحديث:2655؛ مسلم، صحيح، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ج3، ص1513، رقم الحديث:1904.

[61] المغنم: ما أصيب من أموال أهل الحرب و أوجف عليه المسلمون من الخيل والركاب، ويقال غنمت أغنم غنماً وغنيمة والغنائم جمعاً، والمغانم جمع مغنم(ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج12، ص 446).

[62] البخاري، صحيح، ج3، ص1035، رقم الحديث:2655.

[63] ابن القيم الجوزيه، حاشية ابن القيم، ج7، ص127.

[64] سورة التوبة، أية13.

[65] سورة البقرة، أية190.

[66] سورة البقرة، أية194.

أمر المسلمون بالقتال هو الاعتداء عليهم، وإخراجهم من ديارهم وانتهاك ماعظم من حرمات الله، والقتال هنا دفعاً لاعتداء واقع بالفعل، أي الدفاع عن النفس، أو لحماية حق ثابت للدولة انتهكته دولة أخرى دون مبرر، وهذا من قبيل الجزاء الذي تحمي به الحقوق([67]).

فالدفاع عن الدين وفي سبيل الله يحقق السلام، وهو خير للبشرية جمعاء، وليس للمسلمين وحدهم، فهي مدافعة للشر، واستجلاب للخير، وما أمر الله في كتابه العزيز من إعداد القوة إلا لإرهاب العدو، ومنعه من التفكير في القتال أو الشروع فيه وليس حرصاً على القتال في حد ذاته، ولكن للحيلولة دون وقوعه، وهو ما يعبر عنه بالردع([68])، قال تعالى: **"وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ"**([69]).

فعندما هاجم الروم حصن أنيشة هَبَّ كبير علماء الأندلس أبو الربيع الكلاعي و كثير من علماء بلنسية لرد العدو، حيث سقط شهيداً في المعركة، وفي ذلك يقول أبو المطـــرف([70]) في أبي الربيع الكلاعي: "طارحني مورد جف، وقطين خف، فيا لله لأتراب درجوا، وأصحاب عن الأوطان خرجوا، قصت الأجنحة، وقيل طيروا وإنما هو القتل، أو الأســـر، أو تـــسيروا، فتفرقوا أيدي سبأ...أثكلتنا إخواناً،أبكانا نعيهم، ولله أحوذيهم([71]) وألمعيهم، ذاك أبـــو ربيعنـــا، وشيخ جميعنا، سعد بشهادة يومه، ولم ير ما يسوءه في أهله وقومه"([72]).

وقد أشاد ابن الأبار بمناقب الشهداء في معركة أنيشة، ومنهم أبو الربيع الكلاعـــي([73]) الذي سقط في المعركة ومنها قوله:

مَضَوْا في سَبِيـــلِ اللهِ قُـــدْمـــاً كَأَنَّما ... يَـــطِيـــرُونَ فـــي إقْـــدَامِهِمْ بِقَـــوادِمِ
يَرَوْنَ جِوَارَ اللـــهِ أكْـــرَمَ مَـــغْنَـــمٍ ... كَـــذَاكَ جِوارُ اللـــهِ أسْنَـــى المغانِـــمِ

---

[67] محفوظ، النظرية الإسلامية في العقيدة العسكرية، ص40- 41.

[68] حسين، العقيدة العسكرية الإسلامية، ص 49.

[69] سورة الأنفال، أية60.

[70] هو أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي(ت 658هـ=1259م) ولد في شقورة وأصله منها وانتقل إلى غرناطة، وولى القضاء في عدة مواضع منها مكناسة ومليانة، وألف العديد من الكتب منها فاجعة المريـــة والتنبيه على المغالطة والتنويه والتنبيهات على ما في التبيان ، قتله الروم في مرســـى تـــونس (ينظـــر: الزركلي، الأعلام ، ج1، ص159).

[71] الأحوذي: يعني المنكمش الحاد الخفيف في أموره، الأحوذي من الرجال المشمر في الأمور القاهر التي لا يشذ عليه منها شيء(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص486).

[72] المقري، نفح الطيب، ج4، ص493.

[73] هو أبو الربيع سليمان بن سالم الحميري الكلاعي، من أهل بلنسية وقاضيها، كان عادلاً محبوباً كريماً، يطعم الفقراء، وينشط الطلبة، يتحمل مؤنتهم، وكان رئيساً في الحديث، وله تصانيف في الفقه عديدة(ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص160؛ النباهي، المرقية العليا، ص 119).

مواقفُ أبـرارٍ قَـضوا منْ جِهادِهم　　　حُقوقـاً عليهم كالـفروضِ اللـوازمِ
سَقى اللهُ أشـلاءً بـسفـحِ أنيشـةٍ　　　سوافِـحَ تُزجـيهـا ثِقـالُ الغَمائـمِ
لقدْ صَبَروا فِيها كِرامـاً وصابروا　　　فلا غَـرْوَ أن فازوا بصفوِ الـمكارمِ
ومـا بَـذَلـوا إلا نفوسـاً كريمةً　　　تحنُّ إلـىْ الأخرى حنيـنَ الروائـمِ
وتاللهِ لا يَنسى مَقامَكَ في الوغـى　　　سوى جَاحـدِ نـورِ الغزالـةِ كاتـمِ
لَقيتَ الرَّدى في الروعِ جذلانَ باسماً　　　فبوركتَ من جذلانَ في الروعِ باسـمِ
أتـاهُ رداهُ مـقبلا غَيـرَ مُـدبـرٍ　　　لـيحظى بإقـبالٍ مـن اللهِ دائـمِ(74)

ومنها ما يشير إلى ما أصاب الأمة من رزء، بسبب هذا المصاب الأليم، حيث يقول:

فوا أسَفـاً للـديـنِ أعضـل داؤه　　　**وآيس(75) مـن أس(76) لمسراه حاسم**
ويا أسَفـاً للعلـم أقـوت ربوعـه　　　وأصبح مهـدود الذرى والدعائـم
قضى حامل الآثار من آل يـعرب　　　وحامي هدى المختار من آل هاشم
خبا الكوكب الوقاد إذ منع الضحـى　　　ليخبطـه في ليل من الجهل فاحـم
فأي بـهاء غـار ليـس بـطالـع　　　وأي سنـاء غـاب ليـس بـقادم
سلام على الدنيـا إذا لم يلـح بهـا　　　محيا سليمان بن موسى بن سالم(77)

وصور ابن حزمون(78)، الشهيد أبا الحملات، مدافع بن يوسف بن سعد الجـذامي(79) الذي وقف مدافعاً عن المسلمين في بلنسية، واصفاً إياه بأنه فارس مقدام، شجاع، أزهر الوجه، يفتك بالأعداء، صابراً محتسباً، باع نفسه رخيصة في سبيل الله فيقول:

يَاعَيْـنُ بَكَـى السَـرَّاجْ　　　الأَزْهَـر الـنَيَّرَا الـلامـعْ
وكَـانَ نعْـمَ الـرتَّـاجْ　　　فكُسِّـرَا كَـيْ تُنْثَرَا مَدامِـعْ
إذَا رَأَى الأعْـلاجْ وكَبَّرَا　　　ثُـمَّ انـبْـرَي يـمـاصِـعْ

---

74 النباهي، المرقبة العليا، ج1، ص120؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص160.

75 آيس: أي قصر به واحتقره(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص19).

76 آس: يعني لان وذل(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص19).

77 االنباهي، المرقبة العليا، ج1، ص121؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص161.

78 هو أحمد بن عبد الله بن حزمون الشلبي، أحد كبار الشعراء في عـصر المـرابطين والموحـدين فـي الأندلس.(ينظر: ابن الأبار، التكملة لكتاب الـصلة، ج2، ص284؛ ابـن الأبـار، الحلـة الـسيراء، ج2، ص201).

79 هو زيان أبي الحملات مدافع بن أبي الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش الجدامي، أخذ البيعة لنفسه في عام(626هـ=1228م) ودعى للخليفة العباسي وتملك دانية، وجنجالة، واشتهر جهاده إلا أن كانت الواقعة عليه، فعقد الصلح وخرج أبو جميل والشهود (انظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص273).

رَأَيْتَهُمْ كَالــدَّجَاجْ مُنَفَّــرَا وَسْـطَ الـعَــرَا الـوَاسِــعْ
وَالخَيْــلُ تَحْتَ العَجَــاجِ لَهَا انبْــرَا وللْبــُرَى قَعَاقِــعْ
مَضَــى بِنَفْــسٍ تُــهاجْ مُصَبَّرَاً مــُصْطَّبِراً وَطَائِــعْ
وبَــاعَــهَا فِــي الهَيَــاجِ لَقَدْ دَرَى مَاذَا اشْتَرَى ذَا البَائِعْ
فِــي طَاعَــةِ اللهِ مــَاتْ حَــاشَا لَــهُ أَنْ يَعْصِيَــهُ([80])

وأدنى ما يجب على المسلمين فعله هو الدفاع عن أرضهم ودولتهم، إن داهمهم عدو يبتغي انتقاص شيء من حقوقهم، وتلك هي الحرب الدفاعية لا يعذر المسلمون بالتقاعس عنها، مهما كانت حالهم، فإن متعهم الله بمزيد من القوة والتماسك، فالواجب عليهم أن يكونوا هم المداهمون والمباغتون لكل من يخطط لمعاداتهم، والهجوم عليهم من الدول المعادية التي تتربص بهم، وتلك هي الحرب الهجومية التي تشرع عند توافر القوة الكافية لدى المسلمين([81]).

خامساً: نصرة المظلومين والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا حول لهم ولا قوة، والذين ينالون من عنف الطغاة وبغيهم الشر الكثير، فيتضرعون إلى الله سبحانه وتعالى أن ينقذهم من الظلم، لقوله تعالى: "**وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً | الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً**"([82]).

فلا يجوز للمسلمين أن يتركوا أبناء دينهم في ضيم ينزله بهم أعداء الإسلام، والقرآن يستثير همم النفوس الكبيرة؛ لرد هذا العدوان، فيهيب الله بالمسلمين الأقوياء؛ لنصرة إخوانهم الضعفاء ورفع الظلم عنهم، والأخذ بثأرهم من الأعداء([83]).

ويصور ابن عبد البر مأساة بربشتر وما حل بالمسلمين من الضعف وصرخات المظلومين والمستضعفين والدعوة إلى نجدتهم بقوله: "فما ظنكم معشر المسلمين، وقد سيقت النساء والولدان بين عارية وعريان، قوداً بالنواصي إلى كل مكان، طوراً على المتون، وطوراً على البطون... والقومة و المؤذنون يجرهم الأعلاج كما تجر الذبائح إلى الذباح، يكبون على وجوههم في المساجد صاغرين، ثم أُضرمت عليهم ناراً حتى صاروا رماداً،

---

[80] **ابن سعيد، المغرب، ج2، ص217؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص456.**

[81] **البوطي، الجهاد في الإسلام، ص189.**

[82] **سورة النساء، الآيات، ص75، 76.**

[83] **ابن قدامة، المغني، ج 8، ص345.**

والكفر يضحك ويُنكي، والدين ينوح ويبكي، فيا ويلاه ويا ذلاه، ويا كرباه، وياقرآناه، ويا محمداه"([84]).

وعندما غلب الطاغية الكمبيطور على بلنسية، أحرق قاضي المدينة ابن جحاف، والشاعر أحمد بن علي البتي، وجعل الناس في المحنة أسوة، يأخذهم على طبقاتهم، حتى عمتهم المحنة، وهلك في ذلك كثير منهم"([85])، ويصور الشاعر البلنسي أبو إسحاق خفاجة المأساة فيقول:

عاثت بِساحَتِكِ الظّبا يا دارُ ... ومَحا محاسنكِ البِلى والنَّارُ
فإذا تَرَدَّد في جَنابِكِ ناظرٌ ... وطَال اعتبارٌ فيك واستعبارُ
أرضٌ تَقاذفَتِ الخطوبُ بأهلها ... وتمخضتْ بخرابِها الأقدارُ
كتبتْ يد الحدثان في عرَصاتها ... لا أنْت أنت ولا الديار ديارُ([86])

اهتزت الأندلس لسقوط بلنسية، وسقوط الشهداء، فلما وصلت أخبارها ليوسف بن تاشفين ثارت نخوته، وسير جيشاً نحو الأندلس، تولى قيادته ابن أخيه محمد بن تاشفين، الذي توجه إلى بلنسية، وضرب الحصار حولها، ثم توجهت قوات مرابطية أخرى بقيادة أبي محمد مزدلي([87])، ابن عم يوسف بن تاشفين سنة(495 هـ=1101م)([88]).

ترك الفونش وجيشه بلنسية، وجد في إخلائها، وخرج بجميع من كان فيها من الروم، وأضرمت النار في الجامع والقصر وبعض الدور، وصدر الأمير مزدلي إلى بلنسية في شهر رجب، فأنقذ الله بلنسية من يد الشرك، وملكة الروم، وطهرها وصرف إليها نور الإسلام ودين محمد(ﷺ)([89]).

وبذلك عاد ثغر بلنسية إلى الإسلام، بعدما اقترفته يد الطاغية لذريق من الخراب والدمار تحت حماية الفونش.

---

[84] ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ص177.

[85] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص126؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص 37، 38؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص204.

[86] المقري، نفح الطيب، ج4، ص455.

[87] هو محمد بن مزدلي ورث عن والده الشجاعة والجلد أهلته مزايا التدين والبطولة ليكون قائداً كبيراً، وقاتل النصارى بلا هوادة، وبلغ في تقدمه في بلاهم مبلغاً كبيراً، وبعد استشهاد والده مزدلي، عينه الأمير علي بن يوسف بن تاشفين والياً مكان والده، واستشهد بعد أبيه بثلاث شهور (انظر: ابن خلدون، تاريخ، ج6، ص249؛ الناصري، الاستقصا، ج2، ص66).

[88] ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص41.

[89] المصدر نفسه، ج4، ص41.

إن نصرة المظلومين تتطلب منع الظلم على وجه العموم بصوره البشعة المتعددة، التي منها إخراج الأبرياء والآمنين من ديارهم وأموالهم، وإبقائهم في حالة من الـذل والاسـتعباد، والتي لا ترضي الإنسانية والخلق الكريم، وهي أيضاً الانحراف عن الحق والخير والتوحيـد والعدل، والدفاع عن حقوق الإنسان وحريته، وإقامة العدل من أجل تحقيق رسالة الإنسان فـي الأرض([90]).

ويبدو واضحاً أن نصرة المظلومين، هي السبيل لإقامة الحضارة الإنسانية المثلى على الإيمان بالحق والخير والتزامه، وإقامة العدل، ورفع الظلم وقمعه، ونشر الإحسان بين الناس، وردع المبطلين والأشرار والكفار والظالمين والطغاة؛ ليتسنى للمسلمين تأمين الدعوة إلى دين الله وتبليغها للناس أجمعين([91]).

سادساً: مقاتلة الكفار الذين يلون المسلمين في الموقع الجغرافي، ولهم سياسة دائمة في التحشد والتمكن مالياً وعسكرياً وذلك لقوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنْ الْكُفَّار**"([92])، ومن ثم تكون حالة الحرب بهدف تفتيت تجمع الكفر المقاتـل وتـشريدهم، قـال تعالى: " **فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ** "([93]).

فعندما بلغ أمير المسلمين عبد المؤمن بن علي عام(553هـ=1158م)، ما كـان مـن إيقاع بابنه السيد أبي يعقوب بظاهر أشبيلية، ومن استشهد معه من أشياخ الموحدين وحفاظهم، ومن الثوار مثل: ابن عزرون وابن الحجام، نهض يريد الجهـاد، وأهمـه شـأن النـصارى بالمهدية، فلما توافت العساكر بسلا، استخلف الشيخ أبا حفص على المغرب، وعقد ليوسف بن سليمان على مدينة فاس، وجد في السير حتى نزل المهدية، وبها نصارى من أهـل صـقلية، فافتتحها عام(555هـ=1160م)، واستنقذ جميع البلاد الساحلية من أيدي العدو([94]).

هذه هي ضروب القتال المشروع، الذي يعد في سبيل الله، وهو قتال يبغي صون القيم الإسلامية العليا، والدين أعظمها جميعاً وأشملها وأعلاها، وهو ليس في سبيل أرض أو ثـروة أو قومية أو استبعاد للآخرين، فإذا لم تنتهك قيم الإسلام العليا، ولم تتهـدد، ولـم تحـارب أو تعرقل، لم يعد ثمة أي مسوغ شرعي في أيدي المسلمين لكي يقـاتلوا([95])، قـال تعـالى: "**وَلا**

---

[90] **حسين، أحمد، العقيدة العسكرية الإسلامية، ص 49.**

[91] **الميداني، عبد الرحمن، مفهومات يجب تصحيحها، ص 113، 132.**

[92] **سورة التوبة، أية 123.**

[93] **سورة الأنفال، أية 57.**

[94] **ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج6، ص190.**

[95] **عبد الرحمن، أحمد، الإسلام والقتال، ص74.**

تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقى إِلَيْكُمْ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا "([96])، **ويقـــول**: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**"([97]).

وهكذا يبدو أن دوافع العلماء الشهداء إلى الجهاد والاستشهاد نابعة من الدين الإسلامي الحنيف، ومن قيمهم النبيلة التي تحلوا بها، فقدموا التضحيات للذود عن حمـــى الـــوطن، كمـــا انبرى من بعدهم من العلماء إلى تخليدهم، وتخليد صفاتهم البطولية، وتـــضحياتهم، وإقـــدامهم؛ ليسلك الآخرون خطاهم.

---

[96] سورة النساء، أية94.

[97] سورة البقرة، أية208.

الفصل الأول

إسهامات العلماء الشهداء في ميادين الجهاد

المبحث الأول :

دوافع الجهاد عند العلماء الشهداء .

المبحث الثاني :

دور العلماء الشهداء في التحريض على القتال .

المبحث الثالث :

مشاركة العلماء الشهداء في القتال ضد النصارى .

المبحث الثاني

دور العلماء الشهداء في التحريض على القتال

قام العلماء الشهداء في الأندلس بالتحريض على الجهاد استجابة لأمر الله عز وجل في كتابه العزيز في كثير من الآيات، محرضاً المسلمين على الإقدام والشجاعة عند ملاقاة العدو، ومحذراً من مغبة الفرار والتقاعس عن الجهاد، قائلاً: **"يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ"**([1])، **وقال: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ [إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "**([2])، **وقال: "انفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ"**([3]).

وقد كانت آيات الجهاد في سبيل الله بمجموعها تحرض على القتال، وتحض المسلمين المؤمنين على حمل السلاح، وخوض الحرب، وكان وجود رسول الله ﷺ في ميدان القتال، هو وحدة تحريضاً كافياً ليندفع؛ المجاهدون للقتال بكل ما آتاهم الله من القوة والعزيمة، فقد كان الرسول ﷺ أحب على نفس كل مسلم و مؤمن من نفسه ومن أهله وصحبه، فكان على كل واحد منهم على استعداد لفداء الرسول بنفسه، والدفاع عنه بسلاحه، وكان هذا الدور للعلماء بعد وفاة الرسول ﷺ وذلك؛ لأن العلماء ورثة الأنبياء([4]).

كما كان التحريض اتباعاً لسنة النبي ﷺ القائل: "والذي نفسي بيده لا يُكْلَم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يُكْلَم في سبيله إلا جاء يوم القيامة، اللون لون الدم والريح ريح المسك"([5])، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي، أن أرجعه بما نال من أجرأوغنيمة، أو أدخله الجنة، ولولا أن

---

[1] سورة الأنفال، أية 65.

[2] سورة التوبة، أية 39،38 .

[3] سورة التوبة، أية 41 .

[4] العسلي، بسام، المذهب العسكري الإسلامي، ص 58.

[5] البخاري، صحيح، كتاب الجهاد والسير، من يخرج في سبيل الله عز وجل، ج3، ص1034، رقم الحديث: 2649؛ مسلم، صحيح، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، ج3، ص1496، رقم الحديث:1876؛ الترمذي، سنن، كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله، باب من جاء فيمن يكلم في سبيل الله، ج4، ص185، رقم الحديث:1656.

أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية، ولوددت أني أُقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل"([6])، وفي الحض على الإقدام والشهادة في سبيل الله، قال رسول الله ﷺ: "ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة"([7]).

إن أخطر ما يصيب الأمة هو الاسترخاء والركون إلى الحياة، والاستغراق في مشاغلها التي تؤدي إلى الذل والهوان، ومسيرة التاريخ الإسلامي تدل على أهمية التحريض والحث على الجهاد؛ لذا استخدم المحرضون أساليب مختلفة في الحث على الجهاد في سبيل الله، فأوردوا الآيات والأحاديث، واختاروا آيات من كتاب الله تغنيهم عن كل قول، وتكفيهم البحث عن كل ما فيه ترغيب المسلمين في الجهاد والاستشهاد([8]).

ولقد كان للأدب والشعر وخاصة الرجز دوره في التحريض على القتال، وفي تسجيل أحداث القتال، مثل مدة الحرب وقسوتها ومجرياتها ونتائجها، وأخذ التحريض شكلاً مميزاً عندما بدأت الحروب الصليبية على أرض الأندلس، فقد استيقظ المسلمون مباغتين، ووجدوا أنهم أصبحوا أمام تجمع كل الأمم النصرانية، التي شرعت بشن هجوم شامل، وانتزاع ما بأيدي المسلمين من البلاد، وقد صدم المسلمون بوحشية الفرنج، وبما ارتكبوه من المذابح، مما أثار خيال الكتاب، وألهب مشاعر الشعراء، فانطلقوا للتحريض على القتال مذكرين بما عليه السلف من الشدة والقوة، مع رثاء المدن التي احتلها الفرنج، والحض على استردادها، ومطالبة المسلمين بتشكيل قوة واحدة، والانتقام من المعتدين، والثأر لما ارتكبوه من الجرائم والمذابح بحق المسلمين، فكان شعر الجهاد في الأندلس أحر ندباً وأشد حرقة، وأعلى صوتاً وأعمق أثراً في استنهاض الهمم وشحذ العزائم، لذا فقد كان الحكام يدفعون العلماء؛ لمرافقة الجيوش لقول الشعر الحماسي([9]).

---

[6] الإمام أحمد، مسند، كتاب باقي سند المكثرين، باقي المسند، ج2، ص231، رقم الحديث:7157؛ البخاري، صحيح، كتاب الإيمان، باب الجهاد من الإيمان، ج1، ص22، رقم الحديث:31؛ مسلم، صحيح، ج3، ص1491، رقم الحديث:1876.

[7] البخاري، صحيح، كتاب الجهاد والسير، باب تمني المجاهد أن يرجع إلى الدنيا، ج3، ص1037، رقم الحديث:2662؛ الإمام أحمد، مسند، كتاب باقي سند المكثرين، باقي المسند، ج3، ص276، رقم الحديث: 13956.

[8] ابن النحاس، مشارع الأشواق، ص89.

[9] نافع، اتجاهات الشعر الأندلسي، ص148.

دور العلماء الشهداء في تحريض حكام الطوائف على الجهاد:

ساد الأندلس بعد سقوط الخلافة عهد من الارتباك والحيرة، عُرِفَ بدويلات الطوائف، عهد تميز بالتفكك والفرقة والتنافس والتشتت والضياع، وبدأ عندما أعلن أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور إلغاء الخلافة التي مركزها قرطبة([10]).

وقد سببت هذه الدويلات التي بلغ عددها سبعاً وعشرون دويلة حالة من الارتباك وضياع الجهود، وتربص بعضها ببعض، لعل أمير أحدها يملك ما بيد غيره، ولعل ملك أحدها يسيطر على أرض جديدة على حساب أخيه، بينما كانت أسبانيا النصرانية تتربص بهم جميعاً، تميز من كانت له معها صداقة أو عهد، ذلك ديدن سلطات أسبانيا النصرانية عندما كانت الأندلس تتمتع بالقوة، فكيف الآن وقد تغير ميزان القوى في الجزيرة الأندلسية؟([11]).

لقد كانت المأساة التي حلت بمدينة بربشتر(456هـ=1063م) أيام يوسف المظفر، نكبة اهتزت لها الأندلس، عدت من أشد وأفظع ما حدث فيها، ارتكبت معها أعمال وحشية كبيرة وجرائم مذهلة مثيرة، ولم ينجدها المظفر، ولا أخوة المقتدر، ففتك النورمان بالمدينة، واتصفت هذه الحملة بطابعها الصليبي، فأعظمت في المسلمين النكاية([12])، "شد الكفار أيديهم بمدينة بربشتر واستوطنوها، وهلك من نساء بربشتر جملة يكثر عدها عند إفلاتهن من عطش القصبة لتطارحهن على الماء يكر عن فيه بغير مهل، فكبهم للأذقان موتى، وكانت الخطب في هذه النازلة أعظم من أن يوصف أو يتقصى"([13]).

وحركت هذه المأساة وجدان العلماء، فكان منهم الشهداء، لما قاموا به من دور في نصح أمراء الطوائف، وأبرز هؤلاء الذين خاضوا في ذلك المحدث الأديب أبو حفص عمر بن الهوزني ([14])، الذي لقي أبا الوليد الباجي أثناء سكناه بشرق الأندلس، حيث كتب رسالة إلى أبي عمرو المعتضد بن عباد([15])، رسالة يحثه على الجهاد، دفع الفقيه الثمن حياته حين استدرجه

---

[10] المقري، نفح الطيب،ج1، ص438 .

[11] ابن سعيد، المغرب، ج2، ص473.

[12] ابن بسام، الذخيرة ، ق2، مج1، ص96.

[13] المقري، نفح الطيب، ج4، ص449، 450.

[14] أبو حفص عمر بن الحسن بن عبد الرحمن الهوزني(ت:460هـ= 1068م)، أديب وفقيه من علماء الأندلس رحل إلى المشرق العربي وأخذ عن علماء المسلمين هناك، ثم عاد إلى مرسية، وكان له في أشبيلية مكانة عظيمة، وكتب إلى صديقه المعتضد بن عباد يحدثه على الجهاد فخشي المعتضد من جانبه، لذا أقدم على قتله(ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج 1، ص81؛ ابن سعيد، المغرب،ج1، ص239؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص193؛ الزركلي، الأعلام، ج5، ص44).

[15] هو عباد بن عباد أمير إشبيلية من أقوى حكام الطوائف وأشدها بطشاً، وكان شديد الجراءة، عظيم الجلادة، مستهيناً بالدماء، قتل أحد ولديه ووسع مملكته على حساب جيرانه بينما كان يدعن للنصارى في=

المعتضد إلى أشبيلية، وقتله، وأمر بدفنه بثيابه وقلنسوته، وهيل عليه التراب داخل القصر من غير غسل ولا صلاة([16]).

أثارت مأساة بربشتر الفقيه الهوزني، فاختار أهم إمارات هذا العهد، ألا وهي إمارة بني عباد بأشبيلية، التي استطاعت أن تضم إليها بعض الإمارات الأخرى الصغيرة؛ لتكون أقوى هذه الإمارات([17])، فأرسل إلى المعتضد بن عباد يحرضه على الجهاد، وظناً منه أن لديه القدرة على إنقاذ بربشتر، وأنه لا عذر له عن التخاذل، وعدم تلبية داعي النفير، ويستنجد به لإنقاذ البلاد الإسلامية، ولم يقتصر هذا الطلب على مرة واحدة حيث قال:

أعبّادُ ضاقَ الذَّرعُ واتسعَ الخَرْقُ ... ولا غَرْبَ للدنيا إذا لم يكنْ شَرْقُ
ودُونك قولاً طالَ وهو مقصّرٌ ... فللعينِ معناً لا يُعَيِّرْهُ النطقُ
إليكَ انتهتْ آمالُنا فارمِ ما دَهَى ... بِعزمِكَ يدفعْ هامةَ الباطلِ الحقُّ([18]).

ويقول:

أعَبّادُ جلَّ الرزءُ([19])والقومُ هُجَّعُ([20]) ... على حالةٍ منْ مثلِها يُتَوَقَّعُ
فَلَقِّ كِتابي منْ فَراغِكَ ساعةً وإن ... طالَ فالموصوفُ للطولِ موضعُ
إذا ما أبثَّ الداءَ رُبَّ دوائِهِ ... أضَعْتُ، وأهلٌ للملامِ المضيعُ([21]).

ولا يزال الفقيه الهوزني يستثير نخوة المعتضد، ويقوي عزيمته، ويحرك في نفسه نوازع الجهاد، ويصور له عظم المأساة التي اقترفها النصارى؛ ليدفعه عن بربشتر بعد أن توانى بقية الحكام عن نجدتها فيقول: "وما زلت أعتدك لمثل هذه الجولة وزراً، الدلائل أوضحت فيك الغيث، وشواهد رفعت من أمرك الريب، فالنهار من الصباح، والنور من المصباح، ولئن كان ليل الفساد مما دهم قد أغدق جلبابه، وصباح الصلاح بما ألم قد إهابة، فقد كان ظهر قديماً من اختلاف الأحوال ما أيأس وتبين من فساد التدبير... نفضلكم في الأعناق أطواق، مجدكم للآفاق إشراق،

=الشمال ويدفع لهم الجزية، حكم أشبيلية(433هـ-461هـ = 1041- 1070م) (انظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص39؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص23؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج3، ص252).

[16] ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج2، ص82؛ عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص825؛ ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص 381.

[17] ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص155.

[18] ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج1، ص85؛ النويري، نهاية الإرب، ج6، ص166.

[19] الرزء: المصيبة والجمع أرزاء(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص86).

[20] الهجوع: النوم ليلاً(ينظر:الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص288؛ ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص367).

[21] ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج1، ص83؛ ابن سعيد، المغرب، ج1، ص60؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص93.

وحيثما حللت الأرض عراق، فأنا أول من هو إلى تلك الحضرة مشتاق، فلا تحرمني وصلاً كنت جاهداً في إنياطه ولا تصدني"([22]).

وقد أسف على مسلمي عصره من تخاذلهم عن الدفاع عن دين الله، واستهجن على حكام عصره كثرة استعانتهم باليهود في أجهزة الدول الرسمية، حتى أصبحت لهم صلاحيات واسعة، وحذرهم من التقاعس عن الجهاد؛ لأن ذلك يجلب سخط الله وعقابه، كما عاقب الأمم السابقة، وحذر من الحرص على الدنيا؛ لأن ذلك يجلب العناء والتعب، ومما قاله:

أعيذكمُ أنْ تُدْهِنُوا فيمسّكُم	عقابٌ كما ذاقَ العذابَ ثمودُ
وأَقبحْ بذكرٍ يستطيرُ لأرضِكُم	يؤمُ بهِ أقصى البلادِ وفودُ
تباركَ مَنْ تفردَ بالبقاءِ	وأسلكَ خلقَهُ سبلُ الفناءُ
وشتتَ شملَهم بعدَ انتظامٍ	وكَدَّرَ وردَهم إثرَ الصفاءُ
ومَنْ يجهدُ لدنياهُ حريصاً	فليسَ بحائزٍ غيرَ العناءُ
ومَنْ يثقُ الزمانَ يجدهُ خباً	ويَصرعَهُ على حينِ الرجاءُ([23]).

كما استنكر على المسلمين وعلى كثير من فقهائهم تخاذلهم عن النفير، وكأنهم لم يسمعوا بآيات القرآن الكريم التي تدعو إلى الجهاد، يتهمهم بضعف الإيمان، والخنوع والجبن عن مواجهة الأعداء بقوله: "كأن الجميع في رقدة أهل الكهف، أوعلى وعد صادق من الصرف والكشف وأنى لمثلها بالدفاع عن الحريم، ولما نتمثل أدب العزيز الحكيم"([24]).

ويبدو أن هذه الدعوة لم تؤثر في المعتضد، ووجد فيها نوعاً من التوريط العسكري والسياسي، فإذا حارب وفشل كسرت شوكته لدى حكام الطوائف، وإذا لم يحارب كشف عن تقاعسه في الدفاع عن حوزة الدين([25]).

وإذا كانت هذه الدعوة لم تقرع آذان المعتضد بن عباد، فقد قرعت أذن المقتدر بالله أحمد بن هود([26])، ولبى الدعوة كثير من المتطوعين من الجهات إلى الثغر، جهاداً في سبيل الله تعالى، وعلت الهمم حين تنادت بدعوة الإسلام، فاستجابت لندائه الخالد(لا إله الله محمد رسول الله)

---

[22] **ابن بسام، الذخيرة، ق2، ج3، ص86.**

[23] **ابن بسام، الذخيرة ، ق2، مج1، ص93، 94.**

[24] **المصدر نفسه، ق2، مج1، ص85.**

[25] **عنان، دولة الإسلام، ج3، ص180.**

[26] **هو محمد بن المقتدر أحمد بن سليمان بن هود(ت:478هـ = 1086م)، صارت له الأمور بعد وفاة أبيه في سرقسطة عام(475هـ=1082م)، وكان بينه وبين المعتمد بن عباد ما يكون من الفحول في الهجمات (ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص172).**

وهتافه الماجد "الله أكبر "، وحاصروا مدينة بربشتر، ونجحوا في اقتحامها وجرت معركة شديدة مزق فيها المعتدون، وتم استرداد بربشتر في جمادي الأولي سنة(457هـ = 1064م)([27]).

ومن العلماء الذين ساروا على المنهج نفسه ابن عمار(ت:479هـ=1086م)([28])، الذي عمل وزيراً لابن عباد، وقد قام بدور سياسي مهم في المفاوضات التي دارت بين المعتمد بن عباد([29])والفونس السادس زعيم نصارى الأندلس([30]).

اتصل ابن عمار بالمعتضد بالله أبي المعتمد بن عباد، فمدحه بقصيدة استهلها بقوله:

أدرِ الزُّجاجةَ فالنسيم قد انْبرى ... والنجمُ قد صرفَ العنان عن السُّري

ثم دعاه واستنهض همته للجهاد قائلاً:

عَبَّادُ المُخْضَرَّ نائلُ كَفِهِ ... والجوُّ قدْ لَبِسَ الرداءَ الأَغْبرا([31])

قداحُ زَنْد المجدِ لا ينفكُّ منْ ... نارِ الوغى إلاَّ إلى نارِ القِرى

يختارُ أن يهبُ الخريدةَ كاعباً ... والطّرْفَ أجرَدَ والحسامَ مُجَوهراً

السيفُ أصدقُ من زيادِ خطبةً ... في الحربِ إن كانتْ يمينُكَ منبراً([32]).

ثم اتصل بالمعتمد بن عباد([33]) اتصالاً وثيقاً، حتى إنه كان لا يفارقه ليلاً أو نهاراً، فاتخذه وزيراً حين ولاه أبوه ولاية شلب([34]).

---

[27] ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص227؛ الحميري، الروض المعطار، ص91.

[28] الوزير أبو بكر محمد بن عمار(ت:479هـ = 1087م)، ينسب إلى مدينة شلب التي نشأ فيها وأخذ الأدب من علمائها، ثم رحل إلى قرطبة، فأتم دراسته، ونبغ في نظم الشعر وتكسب به، وجال في الأندلس مادحاً الملوك ابتغاء منحهم وعطاياهم، أطلق عليه متنبي المغرب، سجنه المعتمد بن عياد إلى أن قتله(ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص166؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص425؛ الذهبي، سير، ج18، ص583؛ الزركلي، الأعلام، ج6، ص310).

[29] هو محمد بن عباد اللخمي(ت:488هـ=1095م)،يكنى أبا القاسم، وكان هذا الأمير شاعراً،أديباً، وتولى حكم إشبيلية بعد والده المعتضد، ثم ضم قرطبة إلى نفوذه من بني جهور، وكان يدفع الجزية للنصارى ثم طمعوا في مملكته، فاستنجد بيوسف بن تاشفين، وشارك في معركة الزلاقة، وأبلى بلاءً حسناً، ولكنه عاد وتحالف مع النصارى ضد المرابطين، مما حدا به القيام بخلعه، واعتقاله ثم نفيه إلى مدينه أغمات في بلاد المغرب العربي .(ينظر:ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص52؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص39).

[30] المراكشي، المعجب، ج1، ص119.

[31] الأغبر: لون الأغبر سببه الغبار، والأغبر الذئب للونه(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص5).

[32] ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج3، ص382؛ المراكشي، المعجب، ج1،ص115؛ ابن سعيد، المغرب، ج1، ص391؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص655.

[33] هو محمد بن عباد اللخمي (ت:488هـ =1095م)، يكنى أبا القاسم، وكان هذا الأمير شاعراً، أديباً، وتولى حكم إشبيلية بعد والده المعتضد، ثم ضم قرطبة إلى نفوذه من بني جهور، وكان يدفع الجزية للنصارى ثم طمعوا في مملكته، فاستنجد بيوسف بن تاشفين، وشارك في معركة الزلاقة، وأبلى بلاءً حسناً، ولكنه عاد=

ويبدو أن أعداء ابن عمار وشوا بينه وبين المعتمد بن عبـــاد، فـــساورته الـــشكوك فـــي إخلاص وزيره، ابن عمار بأنه يدبر مؤامرة لانتزاع أحد الأقاليم الشمالية التابعة له، فأمر بتقييده وحملة إلى مدينة قرطبة فسجن هناك، فكتب ابن عمار أشهر قصائده متوسلاً طلب العفو، جـــاء فيها:

حَنانَيْك في أَخْذي بِرأيِكَ لا تُطِــع	عدايَ ولو أَثْنوا عليكَ وأفْصحــوا
فإنَّ رَجائـــي أنَّ عندكَ غيـــرَ ما	يخـــوضُ عَدوي اليومَ فيه ويمرحُ
ولا تَلتفتْ قـــولَ الوشاةِ ورأيَهُــم	فكـــلِ إنـــاءٍ بالذي فِيـــهِ يَرشَـــحُ
وماذا عَسى الواشـــونَ أن يتزيَّدوا	سوى أنَّ ذَنْبِي وَاضِحٌ مُتَصَحِّحُ([35]).

ولم يزل ابن عمار بسجن المعتمد إلى أن قتله صبراً سنة(ت:479هـــ=1086م)([36]).

ومن هؤلاء العلماء الشهداء القاضي أبو أحمد جعفر بن عبد الله جحاف([37])، قاضي بلنسية عندما رأى من تواطؤ حفيد بن ذي النون([38])وملكها، واستضعاف الطاغية لذريق النـــصراني الملقـــب بالكمبيطور([39])له "يجبي رعيتها ويستغلها حاضرة وبادية"([40])، ثار القاضي ضد حفيـــد بـــن ذي

=وتحالف مع النصارى ضد المرابطين، مما حدا به القيام بخلعه، واعتقاله ثم نفيه إلى مدينه أغمات في بلاد المغرب العربي .(انظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص52؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص39).

[34] تقع غرب الأندلس وهي أحدى القواعد العسكرية، سكنها عرب اليمانية، ومعظم سكانها فصحاء، يقولـــون الشعر، ويمتازون بالكرم الشديد، بينها وبين بطليوس ثلاث أيام(الحميري، الروض المعطـــار،ج1، ص342؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص152).

[35] المراكشي، المعجب، ج2، ص153 .

[36] المصدر نفسه، ج1،ص154.

[37] هو جعفر بن عبد الله بن جحاف المعافري البلنسي(ت:488هـــ=1095م)، من علماء مدينة بلنسية، وتلقى علومه الدينية على يد خيرة علماء الأندلس، وتولى قضاء مدينة بلنسية(ينظر:الحميدي، جذوة المقتبس، ج1، ص294؛ ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ص98؛ الزركلي، الأعلام، ج2، ص123).

[38] هو يحيى حفيد المأمون بن ذي النون، يلقب بالقادر بالله، بويع له بطليطلة إثر بلوغ الخبر بمـــوت جـــده، وكان كثير الحيلة، خبيث الفكرة، يصاحبه مرض درن، خلفت طليطلة بعده إلى المظفـــر بـــن الأفطـــس عـــام (472هـــ =1080م) بسبب ثورة طائفة كان ابن الحديدي أودعها الاعتقال(ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص179).

[39] هو فارس قشتالي يدعى لذريق، ولد في برغش وهي قرية في حاضرة قشتالة في النصف الأول من القرن العاشر الميلادي، ظهرت بواكير نجدته وشجاعته في أواخر حكم فردناند، فلما توفي وخلفه شانجة كان لذريق ساعده الأيمن، فلما مات شانجة انتقل إلى خدمة الفونسو السادس، وفيما بعد اختلف مع الفونسو فالتجأ إلى ولاية سرقسطة، يخدم أميرها يوسف المؤتمن، وقد قاد لذريق جيوش المؤتمن من نصر إلى نصر ضد مملكة قطلونية النصرانية المتاخمة لسرقسطة، فعلى نجمه وتناقل الناس قصص بطولاته، ثم شرع في بسط حمايته=

النون، وقام محرضاً ابن عائشة([41]) فأنفذ إليه مجموعة من المرابطين تحت نظر ابن نصر، وفر القادر بن ذي النون عن البلد، حتى إذا وقع في يد ابن جحاف أمر بقتله، فكتب الكمبيطور إلى ابن جحاف متوعداً بالثأر له([42]).

وفي عام 486هـ=1093م عظم بلاء الطاغية على بلنسية، واشتد حالهم وعظم أمرهم، فاستصرخ ابن جحاف أمير المسلمين يوسف، وبسط عنده القول فيما نزل به، فجد في أمره، وأمر قواده وعماله على بلاد الأندلس بنصره([43])، ولما انصرف الجيش اللمتوني في عام (487هـ=1094م) تضاعف حقد الكمبيطور على بلنسية لصبرهم، وطلبهم النصرة، كما استصرخ ابن هود، ورغبه في المال والبلد مع الأجر في استنقاذ المسلمين من القتل والأسر([44])، وابن هود يخاطب بالتسويف والمطل([45])، فطلب ابن جحاف الأمان فوافق الكمبيطور وهو يضمر الخيانة([46])، فلما تمكن فيها سام أهلها سوء العذاب، واستخلص أموالهم، واعتقل القاضي أبا المطرف جعفر ابن جحاف، وعم بالنكبة جميع قرابته وأهله، وسيق القاضي أبو المطرف في قيوده، وأهله وبنوه حوله وقد حشر الناس من المسلمين والروم، ثم أمر بإضرام نار عظيمة تلفح الوجوه على مسافة بعيدة، وأمر بإحراقهم جميعاً فضج المسلمون والروم، ورغبوا في ترك الأطفال والعيال فأسعفهم بعد جهد شديد([47])، فحفر للقاضي حفره، وأدخل فيها إلى حجزته، وسوى التراب حوله، وضمت النار إليه، فلما دنت منه، ولفحت وجهه قال: " بسم الله الرحمن الرحيم " ثم ضمها إلى جسده، فاحترق رحمه الله تعالى([48])، ولم يكن غضبه عليه إلا لاجتهاده

=على الولايات الإسلامية ولكن هذه المرة لنفوذه، وكلما على نجمه كان يقول، على يد لذريق فُتِحَت الأندلس، ولذريق يستنفذها(ينظر:الزركلي، الأعلام، ج1،ص151؛ محمود، قيام دولة المرابطين، ص318).

[40] ابن عذاري، البيان المغرب،ج4،ص31.

[41] هو محمد بن يوسف بن تاشفين ويعرف بابن عائشة، أحد مشاهير القواد المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين وابنه علي، وشارك في معارك كثيرة، عينه أبوه قائداً على شرق الأندلس، وفي عهد أخيه علي قام بعمليات حربية واسعة النطاق، فقد بصره بعد موقعة البورت التي قتل فيها القائد المرابطي ابن الحاج حاكم=

=سرقسطة سنة(508هـ= 1114م)، استدعاه أخاه أمير المسلمين علي بن يوسف إلى مراكش، وولي مكانه على مرسية أخاه إبراهيم بن يوسف(ينظر: ابن القطان، نظم الجمان، ص8).

[42] ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص37؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص179.

[43] ابن عذاري، البيان المغرب،ج4،ص33.

[44] المصدر نفسه، ج4،ص39؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام،ص204.

[45] ابن عذاري،البيان المغرب، ج4، ص39.

[46] المصدر نفسه، ج4، ص38؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص204.

[47] ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص37.

[48] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص121.

في طلب النصر، ودفعه إياه بالمطاولة رجاء في استمساك البلـدة للإسـلام، واسـتبقاء الكلمـة فيهـا([49])، وسـاهم الـشاعر والأديـب أبـو جعفـر أحمـد بـن عبـد الـولي البتـي ([50]) بدوره في التحريض ضد الكمبيطور، وكتب إلى بعض الوزراء،

ولما تغلب الطاغية على بلنسية أحرقه بالنار، فقضى شهيداً مثل قاضـي بلنـسية ابـن جحاف([51])، "ثم عهد الطاغية إلى الجملة من أهل بلنسية فثقفهم وأعزمهم، حتى استأصل جميـع ماعندهم، وجعل الناس في المحنة أسوة، يأخذهم على طبقاتهم، حتى عمتهم المحنة، هلك من ذلك الثقاف كثير منهم"([52]).

دور العلماء الشهداء في تحريض المرابطين على الجهاد:

أحدث سقوط طليطلة(478هـ=1085م) في أيدي القشتاليين دوياً هائلاً فـي المغـرب والأندلس، وقرعت نواقيس الخطر تنذر ملوك المسلمين بـسوء المـصير، فأحـسوا بـضعفهم، وتنبهوا بعد فوات الأوان إلى نهايتهم الوشيكة، وكان خطـر ألفونـسو الـسادس قـد اسـتفحل، وازدادت قوته باحتلال طليطلة، وظن أن أسبانيا ستحرر على يديـه([53])، وهـز ذلـك العـالم الإسلامي كله، وساد حالة من الحزن فيها مرارة وأسى، وحمل المسلمون في العـالم الإسـلامي ملوك الطوائف المسؤولية، لقد رأوا نتيجة تشتتهم وانقسامهم وتبعثر قـواهم بـأم أعيـنهم، ولـم يتعظوا([54])، ويظهر إن أهل الأندلس كانوا أسرع استجابة إلى التوحيد، وأكثر اهتماماً بـه مـن حكامهم، وأخذ أهل الأندلس زمام المبادرة في التوجـه إلـى اسـتدعاء المـرابطين وإبلاغهـم الاستغاثة([55])، كان هذا دفعاً وتقوية للحاكمين في اتجاه التوحيد راغبين أو مـضطرين، وكـان علماء الأمة في الأندلس أول الداعين بصفتهم علماء الأمة، وأمناءها فاتجهوا بـدعوتهم للنـاس والحكام([56]).

---

[49] ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص38؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص204.

[50] أحمد بن عبد الولي البتي البلنسي(ت:490هـ= 1089م)، كان كاتباً شاعراً بليغاً كتب في النحـو واللغـة والأشعار الجاهلية والإسلامية، وكتب لبعض الوزراء(ينظر:ابن الأبار، التكملة ، ج1، ص30؛ ابن عبد الملـك المراكشي، الذيل والتكملة،ج2،ص590).

[51] ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص205.

[52] ابن عذاري، البيان المغرب،ج4، ص37، ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص205.

[53] المراكشي، المعجب، ج1، ص162.

[54] ابن بسام، الذخيرة، ق4، مج1، ص132؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص483-486.

[55] ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص194.

[56] الحميري، الروض المعطار، ص86.

أخذ المعتمد بن عباد زمام المبادرة في استدعاء المرابطين، ومما يؤثر من فضائله، ويعد في زهر مناقبه، استغاثته على الروم بملك المغرب حينئذ وهو يوسف بن تاشفين، وسعيه في استقدامه، وجده في ملاقاة الطاغية ملك النصارى، والإيقاع به بالموضع المعروف بالزلاقة([57]).

ويبدو أن هذه الاستغاثة حدثت عقب المفاوضات، التي جرت بين وزير الفنش ابن شاليب اليهودي([58])، رئيس السفارة، ووزير ابن عباد أبو بكر بن زيدون([59])، لكن السفير القشتالي شط في مطالبه، وطالب ببعض الحصون والقلاع، وبالتعجيل بدفع الضريبة السنوية، فأغلظ في القول للمعتمد، فأمر بقتله واعتقال بقية الوفد، فكان ذلك إنذارا لحرب ضد ألفونس الذي بدأ يحشد قواته([60]).

ويعلق الدكتور الخالدي علي الحدث موضحاً أن استنجاد المعتمد بن عباد بالمرابطين، كان نتيجة غطرسة اليهودي وعدائه الأعمى للمسلمين، فلم يحتمل ابن عباد الإهانة، والذي يتعمد اليهود والنصارى أن يلحقوها بالمسلمين([61]).

إن دعوة المرابطين وتحريضهم جاءت من عدد من الأندلسيين من المسؤولين فيها ومشايخها، وكانت لدعوة الفقيه أبي الوليد الباجي المبكرة، وأمثاله بداية المواجهة، يظهر في موقف المتوكل عمر بن الأفطس([62]) بداية الدعوة، كثير من المبادرة، كانت مبادرة المتوكل مبكرة في استدعاء

---

[57] المراكشي، المعجب، ج1، ص190، 191؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص159.

[58] وزير الفونسو السادس ملك قشتالة، أسر وهو صغير وربي في بلاط إشبيلية، واهتم به المعتضد بن عباد، وجعله سفيراً بينه وبين فردناند ملك قشتالة، وولده الفونسو السادس من بعده، كان داهية بارعاً، قتله المعتمد بن عباد(ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص159؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص246).

[59] أحمد بن عبد الله بن أحمد بن زيدون(ت:463هـ=1071م)، ويكنى أبو الوليد، وينتمي إلى بيت اشتهر بفقهائه وأدبائه، وقد نبغ في الأدب وهو في حداثة سنه، واشتغل بالسياسة، فانظم إلى بني جهور الذين تولوا الحكم في قرطبة بعد سقوط الدولة الأموية، فولوه الوزارة، وعندما فسدت علاقته معهم سجن، وفر من سجنه إلى أشبيلية، واتصل بصاحبها المعتمد بن عباد، الذي قربه إليه لعلو كعبه في الأدب(ينظر: المراكشي ، المعجب، ج1، ص82؛ ابن الأبار، التكملة، ج2، ص238؛ ابن سعيد، المغرب ،ج1، ص350؛ الذهبي، سير، ج18، ص240).

[60] ابن الخطيب، أعمال الأعلام ، ص245؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص346 .

[61] اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس، رسالة دكتوراه منشورة، ص189.

[62] هو عمر بن محمد بن الأفطس، تولى حكم بطليوس بعد وفاة والده سنة(460هـ=1068م) واستدعاه سكان طليطلة ليحكمها بعد أن انقلبوا على القادر بن ذي النون، بسبب كثرة ظلمه وتحالفه مع النصارى، لكن المتوكل ظل يحكم بطليوس حتى سيطر عليها المرابطون، وقتل في العام نفسه بعد أن ثبت له خيانته واتصاله سراً بالعدو سنة(ت:488هـ= 1094م)(ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص123؛ ابن سعيد، المغرب، ج1، ص364).

المرابطين؛ لنجدة الأندلس مع أنه ليس بالإمكان اعتبار المتوكل الآخذ أولاً بهذا الاستدعاء لإخوة العدوة من الأمراء، إلا أن اتجاهه كان قبل قيام المعتمد بن عباد([63]).

ولقد سبق صريخ أهل الأندلس ووفودهم أمراءهم وملوكهم إلى يوسف بن تاشفين، وكان يوسف ابن تاشفين لا تزال تفد عليه وفود ثغور الأندلس، مستعطفين، مجهشين بالبكاء، مناشدين الله والإسلام، مستنجدين بفقهاء حضرته، ووزراء دولته، فيستمع إليهم، ويصغي لقولهم، وترق نفسه لهم([64]).

وينجلي دور العلماء الشهداء في تحريض المرابطين على الجهاد، فقد قام الوزير الشهيد أبو بكر بن أبي الوليد بن زيدون، بالاجتماع بقاضي بطليوس([65])، أبو إسحاق بن مقانا([66])، وبقاضي غرناطة القليعي([67])، وقاضي أشبيلية أبو بكر بن أدهم([68])، وتوجهوا جميعاً إلى ابن تاشفين وطالبوه بالعبور إلى الأندلس لنصرة أهلها، وقام القضاة بما يليق بهم من وعظ الأمير يوسف وترغيبه في الجهاد، وقام ابن زيدون بإبرام العقود السلطانية مع ابن تاشفين، وعندما شكا الأمير يوسف موقف صاحب سبته من إجازته إلى الأندلس إلى الفقهاء، فأفتوا جميعهم بما لا يسر صاحب سبته([69]).

وخاطب الشهيد أبو بكر بن الجد([70]) الأمير يوسف بن تاشفين في رسالة، وصف فيها حالة الانهيار السياسي، والتدهور الاقتصادي، جراء الهجمات النصرانية على المدن الإسلامية، مذكراً

---

[63] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص185.

[64] الحميري، الروض المعطار، ص86؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص359.

[65] مدينةعظيمة تقع غربي الأندلس وغربي قرطبة، قد بنيت زمن الأمير الأموي عبد الله بن عبد الرحمن الأوسط، واتخذها بنو الأفطس حاضرة لدولتهم حتى سيطر عليها المرابطون(ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص531؛ الحميري، الروض المعطار، ص46؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص21).

[66] هو أبواسحاق مقانا قاضي بطليوس في عهد المتوكل عمر بن محمد ، أحد الأربعة الذين اشتركوا في السفارة ليوسف بن تاشفين(ينظر: المقري، نفح الطيب، ج4، ص359).

[67] هو محمد بن أحمد بن عبدالملك بن القليعي يكنى أبو بكر قاضي غرناطة، في عهد عبد الله بن حبوس الصنهاجي، اجتمع في المؤتمر الذي عقد لمناقشة أحوال الأندلس بعد احتلال النصارى لها(ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص99).

[68] هو أبو بكر عبيد الله بن أدهم قاضي الجماعة بقرطبة، عمل قاضياً لابن عباد، وكان أعقل أهل زمانه، أرسله ابن عباد مع الوفد الذي أرسله إلى يوسف بن تاشفين(ينظر: المقري، نفح الطيب،ج4، ص359).

[69] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2،ص98؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص250؛ المقري، نفح الطيب ،ج4، ص359.

[70] ابن الجد هو الحافظ محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرج بن الجد الفهري(ت:586هـ =1190م) يكنى أبا بكر، من سكان إشبيلية، برع في الفقه وانتهت إليه الرياسة في الفتيا، وبرع بالأدب، وكان فصيحاً، مشاركاً=

له بما يملك من آلة الحرب، وعظيم أجر وثواب المجاهدين قائلاً: "وقد وطد الله لك ملكاً شكر عليه جهادك، وقيامك بحقه واجتهادك، وعندك من جنود الله من يشتري الجنة بحياته، ويحضر الحرب بآلاته، فإن شئت الدنيا، فقطوف دانيه، وجنات عالية، وعيون آنية، وإن أردت الآخرة فجهاد لا يفتر، جلاء يحز الغلاصم ويبتر، وهذه الجنة أوفرها الله لظلال سيوفكم"([71]).

وقد حمل الفقيه ابن الجد حكام الطوائف تبعة التقصير، الذي خلف نتائج في غاية السوء، وجعل ارتكاب المعاصي والجرأة على حدود الله في السر والعلن؛ سبباً في نزول المصائب، فالحكام انشغلوا بلهوهم ومجونهم، وتركوا الجهاد وتعلقت قلوبهم بالدنيا وزينتها، فأصبحت قاسية، فلم تعد الآيات القرآنية الجهادية تجدي نفعاً عندهم وفي ذلك يقول:

في كلّ يومٍ غريبٍ فيهِ معتبرٌ ... نلقاهُ أو يتلقانا بهِ خبرُ
قدْ كنتُ أنظرُها والشمسُ طالعةٌ ... لوْ صحَّ للقومِ في أمثالِها النظرُ
صُمَّتْ مسامعُه في غيرِ نغْمتهِ ... فما تمرُّ بهِ الآياتِ والسوَرُ
وحولَهُ كلّ مغترٍ وما علموا ... أنَّ الذي زخرفَتْ دُنياهُمُ غَررُ
رُدَّوا مواردَ قدْ أوردتمُ حنقاً ... بها الأنامُ ولكنْ ما لكم صدرُ([72]).

وفي معركة الزلاقة(479هـ=1068م) برز الفقهاء والعباد يعظون الناس، ويحضونهم على الصبر، ويحذرونهم الفرار، ومنهم الفقيه أبو العباس بن رميلة([73])، حيث جاءت الطلائع بخبر أن العدو مشرف عليهم صبيحة الأربعاء، فأصبح المسلمون قد أخذوا مصافهم، فجبن ابن فردلند، ورجع إلى إعمال الخديعة، ورجع الناس إلى محلاتهم، وباتوا ليلتهم([74])، وأراد الفونس خديعة المسلمين، فكتب إليهم يوم الخميس أن تكون المعركة يوم الأثنين، فاتخذ المسلمون الحذر، وبات الناس ليلتهم على أهبة واحتراس خائفين من كيد العدو، وكان للرؤيا

=في أبواب من العلم، واشتهر بتدريس علم الحديث وأجاز رواية الحديث للكثير من علماء الأندلس، وقال عنه ابن الأبار: "حافظ المغرب والأندلس لمذهب مالك بغير منازع، لا يدانيه أحد ولا يجاريه في ذلك، أخذ عنه جلة علماء المغرب والأندلس "وله مكانة كبيرة عند حكام عصره، فقد كان يوسف بن عبد المؤمن ينزل له عن=

=فرسه إذ خرج للقائه، توفى بأشبيلية(ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج2، ص64؛ ابن سعيد، المغرب، ج1، ص341؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج4، ص313).

[71] ابن السماك العاملي، الحلل الموشية، ص47.

[72] ابن بسام، الذخيرة، ق2، ج1، ص256،257.

[73] هو الفقيه أحمد بن محمد بن فرج الأنصاري(ت:479هـ= 1086م) يعرف بابن رميلة، يكنى أبا العباس، من سكان قرطبة كان معتنياً بالعلم، وصحبه الشيوخ،وله شعر حسن في الزهد، وكان كثير الصدقة، وفعل المعروف، وكان أهل العلم والورع والفضل والدين، استشهد في معركة الزلاقة مقبل غير مدبر(ينظر: ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص71).

[74] الحميري، الروض المعطار، ص290؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص364.

التي رآها ابن رميلة القرطبي الدور التحريضي الكبير، والبشرى بالنصر والتمكــين، إذ يقــول صاحب الروض المعطار: "وبعد مضي جزء من الليل انتبه الفقيه الناسك أبو العباس أحمــد بــن رميلة القرطبي وكان في محلة ابن عباد فرحاً مسروراً، يقول إنه رأى النبي ﷺ فبــشره بــالفتح والشهادة في صبيحة غد، وتأهب ودعا ودهن رأسه وتطيب، وانتهى ذلك إلى ابن عباد، فبعــث إلى يوسف فخبره بها تحقيقاً لما توقعه من غدر ابن فردلند، فحذروا أجمعين، ولــم ينفــع ابــن فردلند ما حاوله من الغور"([75])، ودارت معركة حامية الوطيس انتصر فيها المــسلمون مهــدت لإيواء الأندلس، وانضمامها إلى سلطان المرابطين، لكنها أعانت في مــد عمــر إســلامية شــبه الجزيرة الأندلسية لأربعة قرون أخرى([76]).

وممن كان له الدور التحريضي، والحث على الصبر والقتال في هذه المعركة، ولا يقل شأنه عن ابن رميلة، الشهيد أبو مروان عبد الملك المصمودي قاضي مراكش([77])، والفقيه الشهيد أبو رافع الفضل ولد أبي محمد بن حزم([78]).

وقام الفقيه الشهيد أبو جعفر بن عطية([79]) يحرض علي بن يوسف بــن تاشــفين لمــا ســقطت ميورقة([80])عام(508هــ = 1114م) يصور ما لحق بالمسلمين من المأساة؛ ليــنهض لنــصرة الدين ورفع الظلم الواقع على المسلمين فيقول: "وا حر قلباه أمر ميورقــة، ورأب الله بــصرفها صدع الجزيرة، وجبر بجبرها من جناح الإسلام كسيرة... فيالله لما كان فيها من إعلان توحيــد

---

[75] الحميري، الروض المعطار، ص291؛ المقري، نفح الطيب ج4، ص365، 369.

[76] أرسلان، الحلل السندسية، ج2، ص195.

[77] هو عبد الملك المصمودي، يكنى أبا مروان، ولي قضاء الجماعة بمراكش في أول الدولة اللمتونية، ودخل الأندلس غازياً، واستشهد في وقيعة الزلاقة بمقربة من بطليوس(ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج3، ص86).

[78] هو الفضل بن أبي محمد بن حزم(ت:479هــ=1068م)، كان في خدمة المعتمد بن عباد صاحب أشبيلية وغيرها من بلاد الأندلس، روى عن أبيه أبي محمد بن حزم، وهو أكبر أبناءه وأجلهم قدراً، وانبرى لتكميــل كتاب أبيه المحلى، اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقــة، استشهد في وقعة الزلاقة(ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيــان،ج3، ص326، 329؛ الــذهبي، ســير، ج18، ص185؛ المقري، نفح الطيب، ج4،ص396؛ الناصري، الاستقصا، ج2، ص48).

[79] هو الفقيه عبد الحق بن غالب بن عطية(ت:514هــ =1218م)، من سكان غرناطة من الفقهاء الحفــاظ وأهل الحديث والتفسير والأدب، له كتاب الوجيز في التفسير، استقضى لمدينة المرية، توفي في ميورقة(ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص143؛ المقري، نفح الطيب، ج3، ص508).

[80] هي جزيرة تقع في البحر المتوسط تقع شرق الأندلس، يحدها شرقاً جزيرة يقال لها منورقة، غربها جزيرة يابسة، وميورقة أم هاتين الجزيرتين، وهما بنتاها، وطولها من الغرب إلى الشرق سبعون مــيلاً، وعرضــها خمسون ميلاً، فتحت عام(290هــ= 902م)، وكان قاعدة ملك مجاهد العامري زمن الطوائــف ثــم أصــبحت تخضع لسيادة المرابطين(ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص246؛ الحميري، الروض المعطار، ص567).

قد عاد همسا، وبارقة كفر طلعت شمسا، وصباح شرع أظلم بدياجي الشرك وأمسى، ولإخوة عفر منهم القتل سواعد وجباها، ومزقهم السيف كل ممزق، فلله أرحام هناك تشقق، رحمهم الله ماتوا كراماً، ولقاهم نضرة وسرورا وسلاماً([81]).

واستمر الفقيه ابن عطية في تحريك دوافع الجهاد في نفس الأمير علي بن يوسف بن تاشفين داعياً إلى النفير والجهاد، مبيناً فيه صفات الشجاعة والتدين وحب الجهاد، عبر قصيدة شعرية تلت الرسالة، عبرت عن أمل أهل ميورقة في استرجاع مدينتهم على يد الأمير، فيقول:

ونَحْــو أميرُ المسلمينَ تطامحَــتْ	نَواظــرُ آمــالٍ وأَيدْي رَغائِبِ([82]).
مِنْ النَّاسِ تَسْتَدْعي حَفيظةَ عَدلِــهِ	لِصَدْمَــةِ خَطْبٍ في مَيُورَقَ ناصبِ
لِقَتْلٍ وسبْــيٍ واصْطلام شَرِيعــةٍ	لقدْ عَظُمتْ في القومِ سُوءُ المصائبِ
أَليسَ جَديــراً أنْ يُشيعَ ذِكْرُهُــمْ	بأمَّــةِ قَــلْبِ فــي المدامِــع ذائبِ
لنا اللهُ والمَلْكُ الذي يُرتجــي بــهِ	مــن الــزَّمن المرتابِ رَجْعَةُ تَائِبِ
هوَ الغَوْثُ فَلْيَعْطفْ عَلَيْنا بِنَظْــرةٍ	مِنَ الحَزْمِ تَحْثوا في وجوهِ المضاربِ
عَهِدناهُ يفدي الخَطْبَ قَبْلَ نُزولِــهِ	ويِلْبسُ وقتَ السَلْــمِ درعَ المُحاربِ
ويَغزُو فلا شيءٌ يقــومُ لِعــزمــهِ	ولوْ أنَّــه يَرْمي بــهِ فــي الكواكبِ
إذا ظنَّ لمْ يَعْــدَم يَقيــنَ مُشاهــدٍ	وإنْ هَــمَّ لم يخطيءْ رمِّيــةَ صائبِ
فلا زَالَ جَيْشُ النَّصرِ يَقْدُمُ جَيْشَهُ	وتَلْقَاهُ بالْبُشرىْ وُجوهُ العواقِــبِ([83]).

وكتب الشهيد الفتح بن خاقان([84]) رسالة بليغة إلى أبي بكر بن علي بن تاشفين عند ولايته على أشبيلية، ذاكراً فيها صفات الشجاعة والكرم، محرضاً للجهاد، داعياً له بالنصر والتمكين على يديه، مثل أسلافه الأوائل حيث يقول: "أطال الله تعالى بقاء الأمير الأجل أبي بكر للأرض يتملكها، ويستدير بسعده فلكها... فلقد حبي منك بملك أمضى من السهم المسدد، طويل نجاد السيف، ورحب المقلد، يقدم حيث يتأخر الذابل، ويكرم إذا بخل الوابل ...هنيئاً للأندلس لقد استردت عهد خلفائها، واستمدت تلك الإمامة بعد إغفائها، حتى كأن لم تمر أعصارها، ولم يمت

[81] ابن خاقان، قلائد العقيان، ج3، ص667.

[82] الرغائب: ما يرغب فيه من سعة الأمل وطلب الكثير(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص423).

[83] ابن خاقان، قلائد العقيان، ج3، ص668.

[84] ابن خاقان(ت:529هـ=1034م) من أشهر كتاب الأندلس ويكنى أبو نصر، كان أديباً شاعراً أخذ العلم عن طائفة من أدباء عصره كأبي بكر ابن القصيرة، وابن اللبانة، ولما شب عن الطوق وبلغ مبلغ الرجال أصبح من كتاب الأندلس الذين يشار إليهم، ألف العديد من الكتب أشهرها "بداية المحاسن وغاية المحاسن"، و"قلائد العقيان"و"مطمح الأنفس"، وله شعر كثير ولكنه لا يرتقي إلى منزله النثر البليغ(ينظر: ياقوت، معجم الأدباء، ج2، ص241؛ المقري، نفح الطيب، ج7، ص34).

حكمها، ولا ناصرها اللذان عمرا الرصافة والزهراء، ونكحا عقائل الروم وما بذلا إلى المشرفية مهراً، والله تعالى أسأله انتصار أيامك، به أرجو انتشار أعلامك حتى يكون عصرك أعجب من عصرهم، ونصرك له أعز من نصرهم والسلام"([85]).

ورافق القاضي الشهير الشهيد العلامة أبو على الصدفي (ت:514هـ1120م)([86])، إلى وقيعة كتندة بقيادة أبي إسحاق إبراهيم من يوسف بن تاشفين([87])، يحض الناس على الجهاد ويستنهض الهمم إلى جانب قرنائه في الفضل ابن الفراء([88])، وأبو بكر بن العربي([89])، وقد بلغ من العمر ستون سنة، يقفون في المقدمة ويرفعون الراية، ليكونوا أول المتقدمين، يبتغون الشهادة لدين الله، وإعلاءً لكلمته في الأرض وتثبيتاً لشريعته في الحياة([90]).

لقد كان الشهيد الشهيد أبو علي الصدفي قدوة ومحرضاً للمسلمين المؤمنين والأتقياء العارفين، مثالاً صافياً نقياً، حيث خرج في سن الستين رافعاً لواء الجهاد، فهو جهاد وتدريس متصل، لم ينقطع قيامه بالتدريس وهو سائر إلى الحرب مستعداً لها، متطوعاً، مودعاً كمن لا

---

[85] المقري، نفح الطيب، ج7، ص37.

[86] هو الحسن بن محمد بن فيرة بن حيون(ت:514هـ=1120م) أبو علي الصدفي الأندلسي الحافظ الفقيه من أهل سرقسطة، ومولده عام(454هـ=1062م) بمدينة سرقسطة، قرأ القرآن بها، عنى بالحديث والضبط، وحفظ أسماء الرجال وكان موصوفاً بالفضل والدين والعفة والصدق ثم رحل إلى المشرق، ثم عاد إلى الأندلس، وكثر الراحلون إليه، وتنافس الناس في الأخذ عنه، وأقر بفضله جميع الفضلاء، وبعد صيته من بين العلماء، واستشهد في وقيعة كتندة عام 514هـ عن عمر60عاماً(ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ ،ج4، ص34؛ ابن فرحون، الديباج، ج1، ص5؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص90؛ الزركلي، الأعلام، ج2، ص255).

[87] هو إبراهيم بن يوسف بن تاشفين، يعرف بابن تعيشت اسم أمه، ولي مرسية لأخيه أبي الحسن علي بن يوسف، وله وقايع جمة على الروم وهو الذي استفتح حصن البيط الشهير المنعة، وكان له كبير اهتمام بالأدب(ينظر: ابن الأبار، المعجم ،ج1، ص55؛ ابن الأبار، التكملة،ج3، ص81؛ المقري، أزهار الرياض، ج1، ص287).

[88] هو محمد بن يحيى بن عبد الله بن زكريا(ت:514هـ=1120م) من أهل المرية وقاضيها، يعرف بابن الفراء ويكنى أبا عبد الله كان رجلاً صالحاً دينا متواضعاً سمع الناس منه بعض ما رواه واستشهد بقتندة، وروى عن ابن العباس العذري كثيراً، والقاضي أبي عبد الله بن المرابط، وأبي محمد بن العسال(ينظر: ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص185).

[89] هو الفقيه الحافظ محمد بن أحمد المعافري(ت:542هـ= 1146م)، المعروف بابن العربي ولد بأشبيلية سنة(468هـ= 1067م)، رحل إلى المشرق، برع بالحديث والفقه والأدب، وتفسير القرآن الكريم، من تصانيفه كتاب أحكام القرآن، والعواصم من القواصم، والناسخ والمنسوخ(ينظر: ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص297؛ ابن سعيد، المغرب،ج2، ص249؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص228؛ ابن العماد شذرات الذهب، ج4، ص141).

[90] الذهبي، سير،ج2، ص40؛ المقري، نفح الطيب ،ج4، ص460؛ المقري، أزهار الرياض، ج1، ص287.

يعود، أعد نفسه للشهادة ووطنها على المقاتلة، تولى التدريس في حالة انشغال وإعـداد للحـرب واتجاه إلى ميدانه، فالحرب والعلم عنده في نفس المتجه وعين المبتغي عبادة، وإن اختلفـا فـي الصورة([91]).

ويبدو واضحاً أن أبا علي الصدفي كان الصورة العملية لدروسه، أداها دون قلق، وهو متجه إلى الحرب، فكان خير مثال للتحريض على القتال، والقدوة الحسنة.

دور العلماء الشهداء في تحريض حكام الموحدين على الجهاد:

على الرغم من الروح الجهادية العالية التي تمتع بها الجيش المرابطـي فـي الأنـدلس، وانتصاراته في معارك مهمة ضد الأسبان، إلا أن هذا الجيش لم يستطع اسـترجاع أيـة مدينـة أندلسية مهمة سيطر عليها الأسبان خلال مراحل الصراع، ابتداء من مدينة طليطلـة، ومـروراً بغربي الأندلس وإلي منطقة الثغر الأعلى، حيث أثقلت الحروب الجهادية هـذه كاهـل الجيـوش المرابطية في الأندلس، ففقدت خيرة قادتها، مما أضعف هذه الجيوش فيما بعد، والتي انشغلت في مقاومة ثورة أهل الأندلس، وحركة المهدي([92]) في عدوة المغرب، مما شـجع الأسـبان علـى مواصلة توسعهم على حساب بلد الأندلس، والسيطرة تباعاً على أهم قواعده([93]).

ومن الواضح أن أكثر ثوار الأندلس ضد المرابطين هم الفقهاء والقضاة وأعـلام الأدب، وهـذا يعود إلى النفوذ الذي تمتعوا به في ظل دولة المرابطين، حتى تركزت فيهم عناصـر الزعامـة المحلية، فلما بدأ سلطان المرابطين بالأفول كما ذكرنا، قام هؤلاء الفقهاء والعلماء بحركاتهم مـن أجل استرداد سلطانهم القومي، إلا أن معظم هذه الحركات تم القضاء عليها إما بواسطة القـوات المرابطية الموجودة في ولاية الأندلس، أو بانضواء قادتها تحت لواء الدولة الموحدية([94]).

وعندما ظهر ضعف المرابطين في الحفاظ على الأنـدلس، أقبلـت الوفـود الأندلـسية المتعددة إلى المغرب على عبد المؤمن بن علي، تدعوه إلى الأندلس وتستنصره للجهاد فيـه([95])،

---

[91] ابن الأبار، المعجم، ص195-197؛ ابن الأبار، التكملة، ج2، ص311؛ المقري، نفح الطيب،ج2، ص221.

[92] هو عبدالله محمد بن تومرت السوسي، ينسب إلى قبيلة مصمودة التي تسكن جنوب المغرب بخلاف قبيلـة صنهاجة، طلب العلم صغيراً حيث توجه إلى بغداد لدراسة العلوم الدينية، ثم بلاد الشام، ومنها إلى مصر، ثـم عاد إلى بلاد المغرب، ثم يطوف ببلاد المغرب، وكلما شاهد أعمال تتعارض مع العقيدة يقوم بإصلاحها بيـده وبالقوة، ثم استقر في ضيعة يقال لها ملالة، وأقام مسجداً وأقبل إليه المريدون من مناطق عديدة(ينظر: ابـن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص45؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج4، ص 199؛).

[93] ابن القطان، نظم الجمان، ص223؛ المراكشي، المعجب، ج1، ص192؛ ابن الأبار، التكملة، ج1، ص76؛ الحميري، الروض المعطار، ص25؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص259.

[94] المراكشي، المعجب، ص211- 213 .

[95] هو عبد المؤمن بن علي بن علوي الكومي (ت:558هـ= 1162م)، ومدة ولايته 21عاماً، كان عبد المؤمن حازماً، جواداً، معظماً للشريعة، وكان حسن الصلاة، ذا طمأنينة كثير الخشوع وكان عالماً وحازماً يجمع إلى

وممن وفد على عبد المؤمن وهو بمراكش([96])، مجموعة من علماء أشبيلية؛ لتقديم بيعــتهم إلـــى الموحدين سنة(542هــ=1147م)([97])، وعندما جاز عبد المــؤمن بـــن علـــي إلـــى الأنـــدلس عام(555هـــ =1159م) استغل العلماء وجوده فيها، ووفدوا عليه يحرضـــونه علـــى الجهـــاد، وأشهرهم الشهيد أبو القاسم بن الحاج([98])، الذي تحدث محرضاً الخليفة على الجهـــاد، وواصـــفاً الدمار والخراب الذي سببته الاعتداءات النصرانية المتكررة، وخطب الشهيد أبو بكر الجد خطبة بليغة، تحدث فيها عن خطورة النصرانية على الأندلس، ووجوب التصدي لها، كما أشار إلى مـــا أصاب المسلمين جراء الغارات والهجمات النصرانية، التي لم تفرق بين شيخ أو شـــاب وطفـــل، حتى الحجر والشجر لم يسلم من الاعتداء، حيث تركت هذه الخطبة أثراً كبيراً على الخليفة([99]).

وحرض الشهيد أبو العباس بن سيد المالقي([100]) الخليفة الموحدي يعقوب بـــن يوســـف على الجهاد في قصيدة له قائلاً:

إليكُـــم أمِيـــرَ المؤمنيـــن توجَّهَـــتْ	بنا الرَّغباتُ الجَـــمُّ يحتثُّها جُهْـــدُ
فَقدْ عضَّهم نابٌ من الكُفْرِ مُعْضِلٌ([101])	وكانُوا بِكم دَهْراً وأنيابُـــهُ دُرْدُ([102])
بِكـــم يَعْصِـــمُ اللهُ العلـــيُّ جَميعَهـــم	بِكم تكثرُ الآمـــالُ بلْ يكثرُ الرِّفْـــدُ

علو الهمة حدة الفكر، واتقاد الفطنة، وصدق العزيمة، وقـــوة الإرادة (ينظـــر: المراكـــشي، المعجـــب، ج1، ص197).

[96]أعظم مدينة في المغرب وأجلها وبها سرير ملك بني عبد المؤمن وهي في البر الأعظم بينها وبين البحـــر عشرة أيام في وسط بلاد البربر، وكان أول من اختطها يوسف بن تاشفين مـــن الملثمـــين الملقـــب بـــأمير المسلمين، وبينها وبين حيل درن ثلاث فراسخ(ينظر: ياقوت، معجم البلدان،ج5، ص94).

[97] ابن العربي، العواصم من القواصم، ص26؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص27.

[98] محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي ويكنى أبا عبد الله ويلقب بابن الحاج(ت:446هــ= 1045م)، أحد أكبر فقهاء عصره، كان من جلة الفقهاء، معدوداً في المحدثين والأدباء، بـــصيراً بالفتيـــا، رأســـاً فـــي الشورى، وكانت الفتيا في وقته تدور عليه لمعرفته وثقته وديانته، وكان معنياً بالحديث والآثار، جامعاً لهـــا مفيداً لما أشكل من معانيها، قتل نتيجة تدخله للدفاع عن أهل بلده من مظالم الحكام (ينظـــر: ابـــن الأبـــار ، التكملة ،ج2، ص45؛ المقري، أزهار الرياض، ج3، ص62).

[99] الناصري، الاستقصا، ج2، ص119.

[100] هو أحمد بن حسين بن سيد الجراوي المالقي(ت:561هــ=1165م)، درس النحو والأدب كثيـــراً، وكـــان شاعراً بليغاً وكاتباً، وكان مولده في مالقة، وانتقل فيما بعد إلى قرطبة، واشتغل في الدواوين الأندلسية(ينظر: ابن الأبار، التكملة،ج1، ص63؛ الصفدي، الوافي بالوفيـــات،ج6، ص19؛ المقـــري، أزهـــار الريـــاض،ج1، ص226).

[101] معضل: اشتد وغلظ واستغلق، ولا يهتدى لوجهه(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص452).

[102] درد: تعني ذهاب الأسنان(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص166).

بِكُــم يَعتلي الإسْلامُ شرقــاً ومغْرِباً   فللـــهِ فيها دائماً، ولكَ الحمــدُ([103]).

ولابد أن يظهر جلياً دور العلماء الشهداء في تحريض الموحدين على الجهــاد، فــذلك الشهيد أبو الربيع القلاعي، كبير علماء الأندلس ومحدثيها، وصف بأنه جندي جريء خاض عدداً من المعارك، وخاض معركة أنيشة، وكان رحمه الله من أولي الحزم والجرأة والبسالة والإقــدام وثبات الجأش والشهامة، يحضر الغزوات ويباشر بنفسه القتال، ويبلى فيه البلاء الحسن، وآخرها الغزاة التي استشهد فيها، بالكائنة على المسلمين بظاهر أنيشة من عمل بلنسية، على نحو ســبعة أميال منها، حضرها وحرض المسلمين، وقد اختلوا على قتال عدوهم ورغبهم في مكافحته، ولم يزل متقدماً أمام الصفوف زاحفاً إلى الكفار، مقبلاً على العدو غير مدبر والراية بيده([104])، وأثر عن أبي الربيع أنه كان ينادي المنهزمين في المعركة، ويحرضهم علـــى القتـــال حيــث ينـــادي ويقول: "أعن الجنة تفرون؟" حتى قتل صابراً محتسبا غداة يوم الخميس في عشرين لذي الحجة، السادس عشر من شهر يوليو سنة(634هــ=1236م) وهو ابن سبعين سنة([105]).

وهكذا أدى أبو الربيع القلاعي دوراً كبيراً في المعركة وأثنائها في سن سبعين سنة عاملاً بقولـــه تعالى: "**انفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً**"([106])، جندياً مقدماً وافر الشجاعة، حمل الراية، قاتل بشجاعته وحث على الثبات؛ حتى نال الشهادة مقبلاً غير مدبر، فكان نعم العالم العامل .

واستشهد الفقيه محمد بن حسن بن محمد بن صـــاحب الــصلاة الأنــصاري([107]) فـــي وقعـــة العقاب(609هــ= 1212م)، وهو يحض الناس على الثبات والشهادة في ســبيل الله ومجاهــدة الأعداء([108]).

وقد كتب الشهيد أبو جعفر بن عطية إلى عبد المؤمن رسالة، يشيد فيها بانتصار الموحدين علـــى ابن هود، ومما جاء في هذه الرسالة: "كتبنا هذا في وادي ماسة بعــدما تزحـــزح مـــن أمـــر الله الكريم، ونصره المعلوم، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، فتح فـــاق الأنـــوار إشـــراقا

---

[103] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ج2، ص125.

[104] النباهي، المرقبة العليا، ص119.

[105] ابن عبدالملك المراكشي، الذيل والتكملة، ج4، ص89؛ ابن الأبار، التكملة، ج4، ص103؛ الذهبي، العبر، ج5، ص138؛ الذهبي، سير، ج23، ص118؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص473).

[106] سورة التوبة، أية41 .

[107] هو القاضي محمد بن حسن بن محمد بن صاحب الصلاة الأنصاري المالقي(ت:609هــ=1212م) من أهل العلم والعدل والدين والفضل، ولي الصلاة والخطبة بالمسجد الجامع وأهل مالقة، وكان فقيهاً حافظـــاً مقرئـــاً متقناً، استشهد في وقعة العقاب(ينظر: النباهي، المرقبة العليا، ج1، ص115)

[108] النباهي، المرقبة العليا ،ج1، ص115.

وأحدق بنفوس المؤمنين إحداقاً"([109])، كما مدح القائد عبد الله بن مزدلي عند عودته من الجهـاد، وخرج صائماً محتسباً، فرجع منتصراً، وأراد هذا الفقيه تسجيل هذا الحدث؛ ليكون هـذا القائـد أسوة لغيره من الجنود قائلاً:

بَادَرْتَ أجْرَكَ في الصِّيَامِ مُجاهِداً ما ضَاعَ عِنْدَكَ للثُّغورِ ذَمَامُ([110])
فَاهْنَـأْ مَزِيَّـةَ ظَـافِـرٍ مُتَأَيِّـدٍ جَفَّتْ بِرِفْعَةِ شَأْنِـهِ الأَقْلامُ([111]).

ويبدو واضحاً أن هذا المدح استخدمه ابن عطية، إثر المعركة والانتصارات، التي حققها عبد المؤمن بن علي، والقائد عبد الله بن مزدلي، ومن باب التحريض الذي يعقب الانتـصارات وتشجيعاً على المزيد منها، لكي تتجدد العزيمة والإصرار علـى المـضي علـى طريـق ذات الشوكة، واستعادة كل شبر سلبه النصارى، وتتعزز القدرة على بقائهم في تلك الديار([112]).

وفي معركة الأرك(591هـ= 1195م) تولى الشيخ الشهيد أبو يحيى بن أبي محمد بن أبي حفص([113]) القيادة العامة، حسب الخطة المتفق عليها مع المنصور([114]) وزعماء الأنـدلس، وحينما اكتمل الحشد خاطب الجند محرضاً، وداعياً للجهاد قائلاً: "يقـول لكـم أميـر المـؤمنين اغفروا له فإن هذا موضع غفران، وتغافروا فيما بينكم، وطيبوا نفوسكم، وأخلـصوا لله نيـاتكم، فبكى الناس وأعظموا ما سمعوه من سلطانهم، وما جرى إليه من حسن معاملتهم "كمـا حـرض على الجهاد مبيناً فضله، ونبه على مكانته وقدره، ومد القول في ذلك بمـا وسـعه مـن بيانـه، وحضهم على الثبات والصبر، وانفصل الناس وقد تنورت بصائرهم، وخلـصت لله ضـمائرهم وسرائرهم، وقويت أنفسهم وعزائمهم، وتضاعفت نجدتهم وإقدامهم"([115]).

---

[109] **المراكشي، المعجب، ص198؛ المقري، نفح الطيب، ج5، ص187؛ الناصري، الاستقصا،ج2، ص111.**

[110] **ذمام: أي حق أو أجارة(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص222).**

[111] **ابن خاقان، قلائد العقيان، ج3، ص658.**

[112] **ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص48.**

[113] **هو كبير وزراء الخليفة المنصور ويمتاز بالشجاعة والفطنة وصفاء الذهن، شهد الكثير من المعارك ضد النصارى في الأندلس(ينظر: المقري، نفح الطيب، ج4، ص382).**

[114] **هو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن القيسي(ت:595هـ= 1199م)، الملقب بالمنصور أمير المـؤمنين الخطيب، كان صافي اللون جميلاً جهوري الصوت، شجاعاً مقداماً محباً للعلوم كثير الجهاد، ظاهري المذهب، فتح البلاد الأفريقية، واستخلص ميورقة، وأوقع بطاغية الروم الوقيعة العظمى المنسوبة إلى الأرك، وواصـل العدو وعقد السلم(ينظر: ابن الخطيب،أعمال الأعلام، ص269؛ المقري، نفـح الطيـب، ج4، ص380؛ ابـن العماد، شذرات الذهب، ج4، ص368؛).**

[115] **ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص194.**

ولما برزت الكتيبة التي أعدها الفنش([116])، نادى منادي الشيخ أبي يحيى معشر المسلمين "اثبتــوا في مصافكم وأخلصوا لله تعالى نيتكم، واذكروا الله عز وجل في قلوبكم "([117])، وعندما خالطــت صفوف المسلمين وكتيبة العدو خلص البعض منهم إلى الشيخ أبــي يحيــى يظنــوه المنــصور، فاستشهد بعدما أحسن البلاء، وقاتل قتالاً شديداً، واستشهد معه جماعة من المــسلمين مــن قبيلــة هنتاته، والمتطوعة وغيرهم، وسمي بنو الشيخ أبي يحيى ببني الشهيد، وعرفوا بــه([118]) وبلــغ التحريض غايته عندما رأى المسلمون شيخهم يسقط شهيداً، "فتوغل المسلمون إلــيهم، واســتمر القتل في الكتيبة التي دفعت أولاً، وانقضت عليهم جيوش المسلمين، فطحنوهم طحناً وانكــسرت شوكة الفنش بهلاكهم"([119]).

ومن العلماء الشهداء المحرضين على الجهاد العلامة الأديب المؤرخ ابن الأبــار([120])، الذي توجه مع وفد من أهل بلنسية إلى إخوانه في العدوة المغربية يستنجدهم، ومرسلاً من أبــي جميل مدافع بن مردنيش، وذلك في الوقت الذي فشل فيه ريح بنو عبد المؤمن بمراكش، وظهــر أمر بني أبي حفص بأفريقيا، فأمل ابن مردنيش وأهل شرق الأنــدلس بــالأمير أبــي زكريــا، وأرسلوا إليه يستصرخونه لنجدتهم([121])، وأنشد ابن الأبار قصيدته السينية يحرضه على الجهــاد في حفل مشهود، وعلى أثرها بادر الأمير الحفصي بتجهيز أسطول شحنه بالمؤونة والسلاح، من ثماني عشرة سفينة كبيرة وصغيرة اتجهت إلى بلنسية، صحبه ابن الأبار وبقية الوفد الأندلــسي،

[116] جهز الفنش كتيبة بنحو عشرة ألاف فارس مدجج بالحديد وكانت هذه الكتيبة هي شــوكة ذلــك الجــيش انتخبهم الفنش، وصلت أقسته عليهم صلاة النصر ورشوهم بماء المعمودية، وتحالفوا عند الصلبان على أن لا يبرحوا حتى قتلوا المسلمين أو يهلكوا دونهم، ولما حملت كتيبة العدو اندقت رماح المسلمين في صدور خيلها أو كادت حتى تقهقرت(ينظر: الناصري، الاستقصا ج2، ص190).

[117] الناصري، الاستقصا، ج2، ص189، 190 .

[118] ابن خلدون، ج6، ص320؛ المقري نفح الطيب ج4، ص382؛ الناصري، الاستقصا، ج2، ص190.

[119] الناصري، الاستقصا، ج2، ص190.

[120] هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن البلنسي(ت:685هـــ =1260م)، ولد في بلنسية عــام(595هــــ= 1199م) ونشأ فيها نشأته الأولى، وكان فقيهاً أديباً شاعراً، وذاع صيته في العلم، لهذا استدعاه حاكم بلنسية الموحدي وأقامه على كتابه وديوانه، ثم عينه على قضاء دانيه، وبلغ ابن الأبار درجة عالية من التقدير مــن قبل مدافع بن مردنيش حاكم بلنسية، وعندما سقطت بلنسية هاجر ابن الأبار إلى تونس، وقد لقي عند حاكمها أبي زكريا حظوة حيث عينه كاتباً في ديوانه، وحينما مات أبو زكريا نال احترام السلطان الجديد المستنــصر، لكن هذه العلاقة لم تدم، حيث كثر الواشون به، فأمر بقتله(ينظر: الذهبي، سير، ج23، ص336؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص589).

[121] ابن خلدون، تاريخ، ج6، ص285؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص590.

لكن هذه السفن فشلت في إيصال الإمدادات إلى المدينة المنكوبة لشدة الحصار([122])، كما أن الأسطول الذي تحرك لإنقاذ المدينة وصل بعد سقوطها، ومما قاله ابن الأبار في قصيدته التحريضية:

أَدْرِك بِخَيْلِكَ خَيْلِ اللهِ أندلُسَاً ... إنَّ السَّبِيلَ إلى مَنْجاتِها دَرَسَاً
وَهَبْ لهَا مِنْ عَزِيزِ النَّصْرِما الْتَمَسَتْ ... فَلَمْ يَزَلْ مِنْكَ عزُّ النَّصْرِ مُلْتَمَسَاً
حاشِ ممّا تُعانيه حُشاشَتَها([123]) ... فطالما ذاقت البلوى صباحَ مَسا
يا للجزيرةِ أضْحى أهلُها جَزَراً ... للحادثاتِ وأمسى جَدُّها تعساً
في كلّ شارقةٍ إلمامُ بائقةٍ ... يعود مأتَمُها عندَ العدا عُرُسا
وكلّ غاربةٍ إجحافُ نائبة([124]) ... تثني الأمانُ حذاراً([125]) والسرورَأسى
تَقَاسَمَ الرومُ لا نَالَتْ مَقَاسِمُهُم ... إلا عَقَائلها المَحْجُوبَة الأُنُسَا
مَدائِنٌ حَلَّها الإشْرَاكُ مُبْتَسِماً ... جَذْلانَ([126]) وارتَحلَ الإيمانُ مُبْتَئِسا
يا لِلْمَساجِدِ عَادَتْ للعِدَا بِيَعاً ... وللنِّداءِ غَدَا أَثْناءَها جَرَساً
يأَيُّها المَلِكُ المَنْصُورُ أنْتَ لَهَا ... عَلْيَاءُ تُوسِعُ أَعْداءَ الهُدَى تَعَساً
طَهِّرْ بِلادَكَ مِنْهُم إنَّهُم نَجَسٌ ... وَلا طَهَارَةَ ما لَم تَغْسِلِ النَّجَسا
وانْصُرعَبِيداً بأقْصَى شَرْقِها شَرِقَتْ ... عُيُونُهم أَدْمُعاً تَهْمِي زَكاً وخَساً([127])
واضْرِب لهَا مَوْعِداً بالفَتْحِ تَرْقُبُهُ ... لَعَلَّ يَوْمَ الأَعادِي قَدْ أَتَى وعَسَى([128]).

وكتب الشهيد الفقيه أبو المطرف بن عميرة رسائل عدة إلى القضاة والعلماء والأصدقاء، يحرضهم فيها على الجهاد، فقد كتب رسالة شبه فيها مدينة شاطبة([129]) إثر سقوطها بعروس

[122] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص272، ابن السماك العاملي، الحلل الموشية، ص47.

[123] حشاشتها: الحشاشة روح القلب ورمق حياة النفس، كما تعني بقية الروح في المريض(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص284).

[124] نائبة: النائبة مفرد النوائب، وتعني المصيبة، أو ما ينوب الإنسان أي ينزل به من المهمات(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص774).

[125] حذارى: متأهب كأنه يحذر أن يفاجأ(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص175).

[126] جذلان: تعني فرح(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص107؛ الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص42).

[127] زكاً وخسا: يقال للزوج زكاً، وللفرد خسا (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص228).

[128] الحميري، الروض المعطار، ص100؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ج4، ص 95،90؛ ابن خلدون، تاريخ، ج6، ص384؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص100.

حسناء، يعتدي عليها النصارى، ويستحلون حرمتها، ولم يكتفوا بذلك، بل يتمادون ويعتدون على مدينة تدمير([130])، أختها الثانية، ويذكر الفقيه الفظائع التي ارتكبها النصارى، والتي أدت إلى محو معالم الحضارة في المدن المحتلة([131])، كما كتب رسائل تفيض حسرة وألماً بعد سقوط بلنسية(630هـ=1233م)، يصف فيها واقع المدينة الأليم، فقد وصف القتلى والأسرى وحال السكان، وعيونهم لا تجف من الدموع "ففي كل جانب عويل وزفرة، وبكل صدر غليل وحسرة ... والكفر أخرس من مساجدها لسان الأذان، وأخرج من جسدها روح الإيمان"([132]).

ولما كان ما أصاب بلنسية في عام(635هـ=1237م) عظيماً، ونفاذ الأقوات، وضعف القوى، واستسلام البلد، ووقوعه في يد النصارى، أثار ذلك الفقيه أبو المطرف، فعبر عن حزنه الشديد لضياع بلنسية، مستهجناً تسليم البلد للعدو في قوله:

بحرٌ منْ الأشجانِ عبَّ عبابــه	وارتجَّ ما بين الحشى زخَّارُهُ
في كلّ قلب منه وجْــدٌ عنــده	أسفٌ طويــلٌ ليس تخبو نارُهُ
أما بَلَنْسِيَــة فــمثــوَى كافِــرٍ	حفتْ بــه فــي عقرها كفارُهُ
زَرْعٌ من المكروه حلَّ حصاده	بين العدى وغداة لجّ حصارُهُ
وعزيمة للشركِ جَعْجَع بالهدى	أَنصارها إِذْ خانه أَنصارُهُ([133]).

وهكذا يبدو واضحاً أن العلماء المسلمين وفقهاءهم وقضاتهم، كانوا كهفاً وملجأ للناس في وقت الشدة، وكانوا القادة في الأحداث والملمات، وفي المخاطر تجدهم في المقدمة، علمهم الإسلام أن العلم قبل كل شيء خلق وعمل، فحثوا على الجهاد، واستنفروا الجهود لمواجهة الأخطار النصرانية، وتشجعوا على الثبات والصبر في ساحة الجهاد، ومجدوا بطولات المجاهدين وتضحياتهم، وأثنوا على جهودهم وشجاعتهم .

دور العلماء الشهداء في التحريض على الجهاد في عهد مملكة غرناطة:

---

[129] تقع شاطبة شرق الأندلس، وتقع إلى الجنوب الغربي من مدينة بلنسية على الطريق إلى مرسية، وهي مدينة داخلية غير ساحلية وتمتاز عن غيرها من مدن شرق الأندلس بأنها تقع في سند جبل(ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص337).

[130] كورة بالأندلس تتصل بأحواز كورة جيان وهي شرقي قرطبة، ولها معادن كثيرة ومعاقل ومدن ورساتيق تذكر في مواضعها، وبينها وبين قرطبة سبعة أيام للراكب، وتجاوره الجزيرتان، وجزيرة يابسة،(ينظر: ياقوت، معجم البلدان،ج 2، ص19؛ الحميري، الروض المعطار، ص131).

[131] المقري، نفح الطيب، ج1، ص311.

[132] الحميري، الروض المعطار، ص98؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص492.

[133] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص273.

استمرت الدولة الموحدية في المغرب تواجه القوة الناهـضة حتـى عـام(668هــ =1269م)، حيث ورثتها دولة بني مرين، أما في الأندلس فقد ضعفت القوات الموحديـة أمـام هجمات الممالك الإسبانية، وسقطت أهم حواضر الأندلس بيد الأسبان؛ لذا رأى أهل الأندلس أنـه لابد لهم من القيام بعمل دفاعي يحفظ لهم ما بقي من بلادهم، ولهذا ظهـرت زعامـات محليـة أندلسية منها: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر المعروف ابن الأحمر([134])، وقامت مملكـة غرناطة التي عمرت ما يزيد على قرنين ونصف([135])، وشملت مملكة غرناطة ثـلاث ولايـات كبيرة: ولاية غرناطة في الوسط، وولاية المرية في الشرق، وولاية مالقة فـي الجنـوب([136])، ويرجع صمود مملكة غرناطة هذه المدة الطويلة، رغم تحالف الممالك الأسبانية وتعاضدها علـى إسقاطها لأسباب عدة منها([137]):

1- قربها من جبل طارق، إذ يمكن نجدتها بسرعة حين الطلب.
2- بعد المناطق النصرانية منها .
3- انحياز كثير من أهل الأندلس ممن لهم الفضل والعلوم إلى غرناطة بعد سـقوط المـدن، فكان منهم الطبيب والمهندس والبحار وقارئ القرآن .
4- دربت مملكة غرناطة سكانها على حمل السلاح، والتهيؤ باستمرار لملاقاة العدو.
5- الحمية الإسلامية التي أثارها العلماء فتحرك الناس مع العلمـاء، وبـالنخوة الـشرعية، وحماية الأعراض حفظوا ما بقي من الأندلس([138]).

لقد بدأت فكرة استعانة مملكة غرناطة بالمغرب وتحريضه، لنصرة الأندلس منذ تأسيسها في

---

[134] **هو محمد بن يوسف بن نصر(ت: 671هــ=1272م) ويعرف بالشيخ، وكانت له وجاهة، لما فشل ريح بني عبد المؤمن تصدى لابن هود، وبويع له سنة(629هــ=1231م) أطاعته جيان و شريش، واسـتظهر أمـره بقرابته من بني نصر وبني اشقيلولة، ثم تغلب على غرناطة سنة (635هــ=1237م) (ينظر: ابـن خلـدون، تاريخ، ج4، ص217 ؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص447؛ الناصري، الاستقصا، ج2، ص236).**

[135] **المقري، نفح الطيب، ج4، ص511.**

[136] **ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص115-119.**

[137] **سويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص395.**

[138] **الحجي، التاريخ الأندلسي، ص519-520، السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص292.**

عام(670هـ=1271م)، كان صريخ أبي عبد الله محمد الفقيه([139])، لأبي يوسف سلطان المرينين([140])؛ طلباً للغوث والنجدة والمدد برسالة هذا نصها:

"بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد، إلى الملك المؤيد بفضل الله العادل الهمام، ذي الشيم المحمودة والاهتمام أمير المسلمين، وناصر الدين، المجتهد في إقامة دعوة الحق، أبي يوسف بن عبد الحق... من وليه ومحبه في الله تعالى، المستجير برحمة الله تعالى وعونه، والمبتهل له بالدعاء في ائتلاف كلمة الإسلام وصلاح شأنه، محمد بن يوسف بن الأحمر بن نصر... فإن الله تعالى أيد دينه بالاتفاق والائتلاف، وحرم مسالك الشتات والاختلاف، وأنعم على عباده بدولتكم السنية، وإظهار جنودكم المرينية الذين هم في حرب الإعادة أولو بأس شديد، وأنشد في رسالته محرضاً:

مَرِينُ جنودُ اللهِ أكبرُ عصبـةٍ   فَهُم في بني أَعصارِهم كالمواسمِ
مُشَنَقَـةٌ أسماعَهـم لمدائـحٍ   مسـورةٍ أيمـانُهـم بـالصوارمِ

فقد تطاول العدو النصراني على الإسلام، واهتضم جنابه كل الاهتضام، وقد استخلص قواعدها، ومزق بلدانها، قتل رجالها، ظن وسبى ذراريها ونسائها وغنم أموالها... ونحن نستعين بالله العظيم وبملائكته المسومين، ثم بكم على الكافرين"([141]).

وتوالت الكتب على أبي يوسف من ابن الأحمر(محمد الفقيه)، ومن ابن اشقيلولة([142]) يستنصرون به ويستدعونه إلى الجواز، فخرج أبو يوسف من مدينة فاس ملبياً دعوتهم

---

[139] **هو محمد بن محمد بن يوسف بن الأحمر(ت:701هـ=1341م) يعرف بالفقيه لما كان يقرأ الكتاب بين أهل بيته ويطالع كتب العلم، أجاز عساكر المسلمين من بني مرين إلى الجهاد في الأندلس، وهزم زعيم النصارى، وكان له في بداية الأمر عصبة من قرابته، ثم استبد بالسلطان ثم شغلته الفتنة إلى أن هلك(ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص 166؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص172؛ ابن حجر، الدرر، ج5، ص515).**

[140] **هو يعقوب بن عبد الحق(ت:685هـ=1286م)، أبو يوسف المريني سلطان المغرب وسيد آل مرين، كان شجاعاً، مقداماً مهيباً، جواداً، مظفراً، منصور الراية، لم يقصد جيشاً إلا هزمه ولا عدواً إلا قهره، صواماً قواماً، دائم الذكر، مقرباً للعلماء، مكرماً للصلحاء، خرج على الواثق أبو دبوس والتقاه بظاهر مراكش وتملك في أول سنة(668هـ=1269م)، ودخل الأندلس وملك الجزيرة، واتسعت ممالكه وخافته الملوك(ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج28، ص63؛ الناصري، الاستقصا، ج2، ص65).**

[141] **ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص220.**

[142] **هو أبو محمد بن اشقيلولة كان من أصهار ابن الأحمر، وكان مستولياً على مالقة ووادي أشي، وقمارش ووقعت بينه وبين ابن الأحمر منافسة فخرج عن طاعته، ولما عبر السلطان يعقوب إلى الأندلس بادر ابن اشقيلولة إليه واتصل به، وأذعن له(ينظر: الناصري، الاستقصا، ج3، ص40).**

وقاصداً نصرتهم سنة(673هـ=1274م)([143]).

ونتيجة لهذه الجهود أرسل السلطان المريني الجيوش، التي عبرت إلى جزيرة طريف، ثم لحق بها عام(674هـ=1275م)، فنظم أمورها وأعدها لملاقاة القشتاليين، فكانت معركة استجة([144])، وباشر أمير المسلمين المريني القتال بنفسه حيث: "ترجل عن جواده فأسبغ وضوءه وصلى ركعتين، وأقبل على الدعاء والمسلمون يؤمنون على دعائه، فكان في آخر دعائه ما دعا به النبي ﷺ يوم بدر للصحابة: اللهم انصر هذه العصابة وأيدها وأعنها على جهاد عدوك وعدوها " فلما فرغ من دعائه قام فاستوي على جواده، واستعد للقتال([145]).

ثم خطب الناس محرضاً على القتال، وحاثاً على الصبر في جهاد الكفار، وداعياً لنيل الشهادة في سبيل الله قائلاً:

"يا معشر المسلمين وعصابة المجاهدين، أنتم أنصار الدين الذابون عن حماه، والمقاتلون عداه، وهذا يوم عظيم، ومشهد جسيم لما بعده، ألا وإن الجنة قد فتحت لكم أبوابها... وسارعوا إلى الجنة بالأعمال الصالحة، وشمروا من ساعة الجد في جهاد أعداء الله الكفرة، وقتال المشركين الفجرة، فمن مات منكم مات شهيداً، ومن عاش رجع إلى أهله سالماً غانماً مأجوراً حميداً،" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** "([146])([147]).

ويبدو واضحاً أن هذه الخطبة كان لها الدور الكبير في التحريض على القتال، ورفع الروح المعنوية عند المجاهدين المسلمين، فجاهدوا صابرين محتسبين طالبين للشهادة، فتسابقت أبطال المسلمين نحو جيش الروم معتمدة على الحي القيوم، وحازت النصر المبين.

كان من نتائج الود والتفاهم بين مملكة غرناطة والمرينيين، أن عبرت مجموعة من المجاهدين إلى الأندلس للمرابطة فيها؛ ليكونوا على أهبة الاستعداد لمجاهدة الممالك الاسبانية، عرفت هذه المجموعة باسم "مشيخة الغزاة"، ورئيسها باسم "شيخ الغزاة" وهي من المناصب العسكرية التي أنشئت في هذه الحقبة، وتولى بنو العلاء من أقارب السلطان المريني قيادة المشيخة، وتولى رئاسة المشيخة عبد الله بن أبي العلاء، حتى استشهد في عام(

---

[143] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص316؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص565؛ الناصري، الإستقصا، ج3، ص40.

[144] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص449؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص368؛ الناصري، الاستقصا، ج3، ص40.

[145] ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص149.

[146] سورة أل عمران، الآية200.

[147] ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص149.

693هـ=1293م)، فكانت بعد ذلك لأخيه أبي سعيد عثمان بن أبـي العـلاء([148]). وكـان لسقوط مدن الأندلس في يد النصارى، وقع مؤلم في نفس الشاعر أبي البقـاء الرنـدي([149])، فنظم قصيدة تظهر فيها مشاعر الحزن والاستنكار، يبكي ويستغيث، ثم يستنفر نخـوة حكـام المسلمين؛ ليمسكوا بزمام الأمور مجدداً لاستعادة الأمور إلى ما كانت عليه ومما جاء فيها:

لكلّ شيءٍ إذا مـا تـمَّ نُقْصَانُ فلا يُغَـرَّ بطيبِ العيشِ إنسـانُ
هي الأمـورُ كما شَاهدتها دُوَلٌ مَنْ سـرّهُ زمنٌ ساءتـهُ أزمـانُ
وهذه الدارُ لا تُبْقـي على أحدٍ ولا يدومُ علـى حـالٍ لها شـانُ
يُمَّزقُ الدهرُ حتماً كلَّ سـابقـة إذا بَنَتْ **مشرفياتٌ**([150]) **وخُرصانُ**([151])

ثم يتساءل عما أصاب الجزيرة، مستنكراً ما أصاب المساجد والمحاريب.

دَهَى الجزيـرةَ أمرٌ لا عزاءَ لَـهُ هوى لَـه أُحُد وانهدَّ ثهلانُ([152])
أصابَها العينُ في الإسلامِ فامْتُحنتْ حتـى خَلَتْ منهُ أقطارٌ وبلـدانُ
فـاسأل بَلَنسْيـةَ مـا شأن مُرْسِية وأيـن شاطبـةٌ أم أين جَيّـانُ ؟
وأين قُـرْطبـة دارُ العلـوم فكـم من عالـمٍ قَدْ سَمَا فيها لهُ شـأنُ
حتى المساجد قـد صارتْ كنائسَ وما فيهـن إلاّ نواقيس وصُلْبَانُ

وفي آخر أبيات القصيدة يعبر الشاعر مرتين عن مشاعره وحزنه الشديد:

لمثلِ هذا يذوبُ القلبُ من كمـدٍ إنْ كان في القلبِ إسلامٌ وإيمانُ([153]).

وللعلماء الشهداء الدور الكبير في التحريض على القتال، والدفاع عن البلاد والعباد،

---

148 ابن الخطيب، الإحاطة،ج2، ص16؛ ابن خلدون، تـاريخ ،ج7، ص370؛ المقـري، نفـح الطيـب، ج1، ص453.

149 هو أبو البقاء صالح بن أبي الحسن بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بـن شـريف الرنـدي (ت:684هـ=1285م)، أديب مشهور، كان فقيهاً متفنناً في النظم و النثر، وله مقامات و مختصر في الفرائض وكتاب اسمه الوافي في نظم القوافي، ومن مشهور نظمه نونيته الشهيرة في سقوط مدن الأندلس، حيـث زاد عليها الغرناطيون عندما سقطت دولتهم(ينظر: المقري، نفح الطيب، ج4، ص486).

150 مشرفيات: سيوف منسوبة إلى مشارف وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص174؛ الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص141).

151 خرصان: تعني الدروع والرماح (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص23).

152 ثهلان: جبل معروف (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص94).

153 المقري، نفح الطيب،ج2،ص590؛ المقري، أزهار الرياض،ج1، ص13.

فذلك القاضي أبو عبد الله محمد بن يحيى الأشعري المالقي([154])، الذي حضر وقعة طريف، كان يصول ويجول في المعركة، يرغب الجنود في الجهاد ويشحذ البصائر، ويدمي الأبطال ويدعو المجاهدين من الإكثار من قول "حسبنا الله ونعم الوكيل"، وكان رابط الجأش، مجتمع القوى، خاطب دابته قائلاً: " انصرف، هذا يوم الفرح، يشير إلى قوله تعالى في الشهداء: "**فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِه**"([155])، وفقد رحمه الله في هذه المعركة شهيداً محرضاً([156])،

وممن شارك في واقعة طريف وكان له الأثر الكبير في تحريض المسلمين على الجهاد، أبو القاسم محمد ابن جزى ([157])، حيث "كان فقيهاً حافظاً قائماً على التدريس، مشاركاً في فنون من عربية وفقه وأصول وقراءات وأدب وحديث ... فُقِدَ وهو يحرض الناس، ويشحذ بصائرهم، ويثبتهم يوم الكائنة بطريف، ضحوة يوم الاثنين عام(741هـ=1341م)، تقبل الله شهادته"([158])، ونال هذا الشرف أيضاً أبو محمد عبد الله ابن سعيد السلماني([159])، حيث فقد في هذه الواقعة وهو محرضاً على قتال الروم، داعياً إلى

---

154 أبو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن أحمد بن بكر بن سعد الأشعري المالقي(ت:741هـ=1340م)، يعرف بابن بكر كان من صدور العلماء، وأعلام الفضل معرفة وتفنناً ونزاهة عارفاً بالأحكام والقراءات مبرزاً في الحديث والتاريخ حافظاً للأنساب والأسماء، قائماً على العربية، مشاركاً في الأصول والفروع واللغة والفرائض والحساب، عطوفاً على الطلبة، محباً للعلم والعلماء، ولي الخطابة بغرناطة وتصدر لنشر العلم، استشهد في وقعة طريف(ينظر: ابن حجر، الدرر، ج6، ص38؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص132).

155 سورة آل عمران، أية170.

156 النباهي، المرقبة العليا، ص146- 147 ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة،ج6، ص38؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص132.

157 محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزى الكلبي(ت: 741هـ=1341م) يكنى أبو القاسم من أهل غرناطة، وكان فقيهاً حافظاً قائماً على التدريس مشاركاً في فنون من عربية وفقه وأصول وقراءات وأدب وحديث وحفظه للتفسير، تقدم خطيباً بالمسجد الأعظم من بلده، له تواليف عديدة منها وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم والأنوار السنية واستشهد بالكائنة العظمى بطريف (ينظر: ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ج1، ص47؛ ابن حجر، الدرر، ج2، ص75؛ المقري، نفح الطيب، ج5، ص514؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص286).

158 ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص46؛ المقري، نفح الطيب، ج5، ص516.

159 هو عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني (ت:741هـ=1341م)، انتقل إلى غرناطة، واستخدم لملوك بني الأحمر، واستعمل على مخازن الطعام، وهو من أهل العلم والدين والخير، ومن أهل العلم بالأدب والطب، استشهد بواقعة طريف ثابت الجأش(ينظر: المقري، نفح الطيب،ج5،ص8؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص127).

الصبر والثبات، محتسباً صابراً، ثابت الجأش،غير جزوع ولا هيابة، حتى لقي الله شهيداً "([160]).

وقد لعب الوزير الغرناطي الشهيد لسان الدين بن الخطيب([161])، دوراً في الحض على الجهاد بعد سلسلة متلاحقة من الهزائم وسقوط المدن، فكان يحرض المجتمع على الجهاد موضحاُ ما أصاب سكان المدن التي آلت للنصارى، ومما قاله: "أيها الناس رحمكم الله تعالى، ارحموا إخوانكم المسلمون، إن العدو قد دهم ساحتهم، ورام الكفراستباحهم، وزحفت أحزاب الطواغيت إليهم، ومد الصليب ذراعيه إليهم، وأنتم المؤمنون أهل البرو التقوى، وهودينكم فانصروه، وسبيل الرشد قد وضح فلتبصروه، الجهاد الجهاد قد تعين، الجار الجار فقد قرر الشرع حقه وبَيَّن، الله الله في الإسلام، الله الله في أمة محمد عليه الصلاة والسلام، الله الله في المساجد المعمورة بذكر الله، الله الله في وطن الجهاد في سبيل الله، قد استغاث بكم الدين، فأغيثوه، وقد تأكد عهد الله وحاشاكم أن تنكثوه ... أعينوا إخوانكم بما أمكن من الإعانة، أعانكم الله عند الشدائد، وجددوا عوائد الخير، يصل الله تعالى لكم جميل العوائد، صلوا رحم الكلمة، وآسوا أنفسكم وأموالكم تلك الطوائف المسلمة، كتاب الله تعالى بين أيديكم، وألسنة الآيات تناديكم، وسنة رسول الله ﷺ قائمة فيكم، الله سبحانه وتعالى يقول فيه: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ] تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ] يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرْ الْمُؤْمِنِينَ**"([162])، أدركوا رمق الدين قبل أن يفوت، بادروا عليل الإسلام قبل أن يموت، احفظوا وجوهكم من الله تعالى يوم يسألكم عن عباده، جاهدوا في الله بالألسن والأقوال حق جهاده:

ماذا يكونُ جوابكم لنبيِّكم	وطريقُ هذا العُذْرِ غير مُمَّهدِ
إنْ قال: لِمَّ فَرَّطْتمُ في أُمَّتي	وتركتموهُمُ للعدوِّ المعتدي ؟
تاللهِ لو أنَّ العقوبةَ لم تُخَفَ	لكَفَا الحَيا من وجْهِ ذاك السَّيِدِ.

[160] المقري، نفح الطيب، ج5، ص12.

[161]هو لسان الدين بن الخطيب، أتقن ابن الخطيب الكثير من العلوم والفنون والآداب فقد كان شاعراً وفيلسوفاً وطبيباً وكاتباً ومؤرخاً ومفسراً للقرآن، وله مؤلفات كثيرة أهمها كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة، أعمال الأعلام، اشتغل ابن الخطيب في السياسة، فكثر خصومه وتأمروا عليه، فاتهموه ظلماً بالزندقة، فقتل خنقاً في سجنه(ينظر: المقري، نفح الطيب،ج5، ص9؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص243).

[162] سورة الصف، أية10-12 .

اللهم اعطف علينا قلوب العباد، اللهم بث لنا الحمية في البلاد، اللهـــم دافـــع عـــن الحـــريم والضعيف والأولاد، اللهم انصرنا على أعدائك، بأحبابك وأوليائك، يا خير الناصرين، اللهـــم أفرغ علينا صبراً، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين"([163]).

كما قام ابن الخطيب بدور كبير في تحريض السلطان أبي عنان([164]) سلطان المغرب، عندما جاءه على رأس سفارة؛ لإعادة العلاقات الودية بين غرناطة والمغرب، ومستمدين بعون أبي عنان على عدوهم الطاغية، فلما مثل بين يديه تقدم الوفد الذين معه وزراء الأندلس وفقهائها، واستأذنه في إنشاد شعر قدمه بين يديه فأذن له، وأنشد وهو قائم:

خَليفَـــةَ اللهِ ســـاعَـــدَ القَـــدرُ ... عُلاكَ ما لاحَ في الدجـــى قمـــرُ
ودافعتّ عنكَ كفُّ قـــدرتـــه ... ما ليس يسطـــعُ دَفْعَـــةُ البشـــرُ
وجْهُك في النائباتِ بدرُ دجىً ... لَنا فـــي المُحْلِ كفّـُك المطـــرُ
والنَّاسُ طرّاً بأرضِ أندلـــسٍ ... لولاكَ ما أوَطنوا ولا عمـــروا
وجملـــةُ الأمرِ أنّـــهُ وطـــنٌ ... في غيرِ علياكَ ما لَهُ وطرُ([165])
ومن بهِ مُد وَصَلْتَ حبلهـــمُ ... ما جَحـــدوا نعمـــةً ولا كفـــراً
وقـــد أهمَّتهـــمُ بـــأنفسهـــمْ ... فوجهوني إليكَ وانتظـــروا([166]).

فاهتز السلطان لهذه الأبيات وأذن له في الجلوس، وقال: له قبل أن يجلس ما ترجع إليهم إلا بجميع طلباتهم، ثم أثقل كاهلهم بالإحسان وردهم بجميع ما طلبوا([167]).

وهكذا يلاحظ أنه مع تعاظم الخطر الصليبي في الأندلس وســـقوط المـــدن تباعـــاً، وتعاقب الهزائم اتجه العلماء لاستخدام الرسائل الموجهة إلى حكام المغرب، التي تصف مـــا حل بالأمة الإسلامية في الأندلس من ذل وهوان على يد الأعداء، وتحث على الجهاد وإنقـــاذ المدن، وتستنفر الجهود لمواجهة الأخطار النصرانية، كما تتابعت السفارات للمغرب لطلـــب

---

[163] ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج2،ص61؛ المقري، نفح الطيب، ج6، ص165، 166؛ المقـــري، أزهـــار الرياض، ج1، ص18.

[164] هو السلطان المتوكل على الله أبي عنان فارس بن أبي الحسن(ت:759هـ=1358م)، وكان محبوباً مـــن قومه وعشيرته، أثيراً عند والده متميزاً عن سائرا قومه لفضله وعلمه وصيانته وعفافه واستظهار القـــرآن الكريم، وكان مولده بفاس في(729هـ=1328م) (ينظر: الناصري، الاستقصا، ج3، ص181).

[165] وطر: الوطر كل حاجة كان لصاحبها فيها همة(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص285).

[166]ابن الخطيب، الإحاطة،ج1، ص146؛ ابن خلدون، تاريخ، ج7، ص333؛ المقري، نفح الطيب، ج5، ص98؛ الناصري، الاستقصا، ج3، ص195.

[167] ابن خلدون، تاريخ، ج7، ص333؛ المقري، أزهار الرياض، ج1، ص206؛ المقري، نفح الطيـــب، ج5، ص98- 99.

العون مستخدمة أساليب متعددة من التحريض، منها نظم القصائد الشعرية الجهاديـــة، حيـــث كان شعر الجهاد أحر ندباً، وأشد حرقة، وأعلى صوتاً، وأعمق أثراً، في اســـتنهاض الهمـــم، وشحذ العزائم، وكان صوت العلماء بقصائدهم الشعرية، وخطبهم المؤثرة، يعبر في معظمـــه عن وجدان الأندلسيين، وظروفهم القاسية، ويصل إلى الجميع يدعوهم إلى الجهاد، حتـــى لا تضيع البلاد بأيدي الصليبيين.

المبحث الثالث

مشاركة العلماء الشهداء في القتال ضد النصارى

لا شك أن مشاركة العلماء في المعارك تشكل القدوة الحسنة، وتعمل على رفع معنويات المجاهدين، وقدوتهم جميعاً رسول ﷺ الذي باشر بنفسه المعارك وقاتل بسيفه أعداء الله والكفار والمشركين.

والقتال الذي خاضه المسلمون في الأندلس يندرج تحت صنفين: إما أن يكون هجومياً في أساسه أو دفاعياً في أساسه، فعندما كان المسلمون هم المبادرون والفاتحون للجزيرة كان قتالهم هجومياً؛ لإعلاء كلمة الله وإظهار دين الله تعالى على الدين كله، وتأمين الطريق للدعوة الإسلامية، حتى تصل إلى كل إنسان يمكن توصيلها إليه، وتكون حينئذ فرض كفاية، ينظمها الإمام ويديرها بما يرى، ولا تكون إلا بإذنه([1])، وإن كان بعض الفقهاء ومنهم ابن حزم يرى أن الأمر به ثابت، من قبل الله تعالى من غير أن يشترط إذن الإمام([2])، ولا يجوز الخروج لها بدون الاستعداد الممكن، وبدون الأسلحة المطلوبة، والتدريب الكافي، ويجيز ابن حزم الاستعانة فيه بالكافر إذا دعت الضرورة ذلك، أو يكون وجود الكافر لا خطر منه ولا ضرر، لهوان أمره وضآلة شأنه([3])، ويجب أن تخضع لثلاث من الخيارات، يختار العدو واحدة منها وهي: الإسلام، أو الجزية والخضوع لحكم الإسلام، أو القتال، حتى يحسم الأمر مصير المعركة([4])، والصنف الثاني: هي الحرب الدفاعية، وهي الحروب التي سادت الأندلس عندما قويت شوكة النصارى، فسقطت المدن تباعاً في أيدي النصارى، وكثر القتل والأسر في المسلمين، وانتهكت الأعراض، فبدأت مرحلة الدفاع عن العرض والأهل و المال، وعن المقدسات الإسلامية، فكان القتال فرض عين، والفروض العينية لا تحتاج إذن من له الإذن، أذن أم لم يأذن، فيخرج كل قادر على القتال، رجلاً كان أو امرأة، حراً كان أو عبداً، ولا تستأذن المرأة زوجها، ولا العبد سيده، ولا الخادم مخدومه([5])، والحرب الدفاعية مفروضة على الأمة كلها، مادام في أي بلد من بلاد الإسلام عدو للمسلمين مستعمراً لهم، وحاكماً فيهم، وله على المسلمين سبيل من القوة، والأمر والنهي والحكم،

---

[1] هيلات، الأمن الجماعي في الإسلام،ص219، محفوظ، النظرية الإسلامية في العقيدة العسكرية، ص63.

[2] أيوب، فقه الجهاد في الإسلام، ص40.

[3] المحلي، ج10، ص542؛ الغضبان، التحالف السياسي في الإسلام،ص169؛ شبير، حكم الاستعانة بغير المسلمين في الجهاد،ص23.

[4] أيوب، فقه الجهاد في الإسلام، ص42.

[5] حسين، القيادة والعسكرية الإسلامية،ص 51؛ عبد الرحمن، الإسلام والقتال، ص84؛ ابن النحاس، مشارع الأشواق، ص37.

بغير ما أنزل الله تعالى، ويباح فيها قتل النساء والعباد والفلاحين، فهؤلاء ما داموا قد دخلوا بلاد المسلمين بالقوة؛ فإنهم صاروا قوة للأعداء، فلهم قتلهم أو أسرهم([6]).

ولقد شارك العلماء الشهداء في معظم المعارك، التي دارت على أرض الأندلس، بحيث لا تكاد معركة تخلو من سقوط عالم شهيد، وقف محرضاً، يحث المسلمين على الصبر والثبات، واقفاً في المقدمة، رافعاً الراية ليكون أول المتقدمين، يبتغي الشهادة في سبيل الله وإعلاءً لكلمته في الأرض، وتثبيتاً لشريعته في الحياة، هؤلاء جد كثير وموكبهم وفير([7]).

مشاركة العلماء الشهداء في القتال ضد النصارى في عهد الطوائف(400-484هـ= 1009-1091م)

المأساة البلنسية:

إن أهم ما يميز عهد الطوائف ثورة القاضي ابن جحاف، ضد القادر بن نون وحليفه القمبيطور النصراني([8])، حيث سرت في بلنسية رغبة شديدة؛ للتخلص من النير المرهق الذي فرضه رذريق(القمبيطور)على المدينة،وتزعم هذا الإتجاه قاضي بلنسية أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن جعفر بن جحاف بن يمن، فقاد ابن جحاف الثورة، وتمكن من هزيمة الحامية النصرانية في بلنسية، وقبض على القادر فأمر بقتله([9]).

وقد صورت المصادر الطريقة الوحشية التي أحرق فيها القاضي ابن جحاف، كما مر في المبحث السابق، وليس ذلك فقط بل أحرق القمبيطور أيضاً مجموعة من أهل بلنسية وأعيانها، ممن شاركوا في الثورة والتحريض إلى جانب ابن جحاف، أشهرهم الشاعر الشهيد والأديب اللبيب أبي جعفر أحمد بن عبد الولي البتي الذي لقي المصير نفسه؛ لتحريضه ضد النصارى، واجتهاده في طلب النصرة([10]).

ولعل سقوط بلنسية وإحراق القاضي ابن جحاف ومن معه، وتوالي صرخات الاستغاثة ليوسف بن تاشفين، شكلت الدافع الأساسي لعبوره إلى الأندلس؛ ليضع حداً لظلم القمبيطور.

---

[6] أيوب، فقه الجهاد في الإسلام، ص42؛محفوظ، النظرية الإسلامية في العقيدة العسكرية،ص63.

[7] الحجي، التاريخ الأندلسي، ص430.

[8] ابن بسام، الذخيرة،ق1،مج1، ص95؛ الضبي، بغية الملتمس، ص257.

[9] ابن عذاري، البيان المغرب،ج3، ص305؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص203.

[10] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص127؛ ابن عبدالملك المراكشي، الذيل والتكملة،ج2، ص590؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص38.

وقعة قنتيش ([11]):

عندما أحس محمد بن عبد الجبار المهدي أنه لن يستطع الصمود أمام البربـــر، أرســل يستنجد بالنصارى، فخرج ليلقى البربر سنة(400هـــ=1009م) في قنتيش، وفي هـــذه المعركـــة حصدت صفوف الأندلسيين حصداً، وانتصر البربر، وكانت تلك نهاية القوات الأندلسية التقليديـــة الأصيلة، ودخل البربر قرطبة([12])، واستشهد عدد من العلماء كان منهم: العـــالم المـــشهور أبـــو الوليد الفرضي([13]) مؤرخ الأندلس، حيث روي عنه أنه قال: "تعلقت بأستار الكعبـــة فـــسألت الله الشهادة"([14])، والإمام أبو الطيب بن غلبون([15])، الذي كان إماماً مشهوراً بالفضل والزهد، إمامـــاً مخبتاً علماً في التنسك والافتنان في المعرفة بالصناعة، استشهد عن سن عالية([16])، واستشهد أبو عمر المعلم([17]) في خمسين من المعلمين([18]).

واستشهد أبو الوليد التدميري عن سن عالية([19])([20])، كما استشهد العالم اللغوي الـــشهير بابن القزاز([21]).

---

[11] اسم جبل عند وادي الحجارة من أعمال طليطلة، واستشهد في هذه الكائنة من المـــؤدبين خاصـــة نيـــف وستين على يد البربر سنة(400هـــ=1009م)(ينظر: ابن بسام،الذخيرة، ق1، مج1، ص44؛ ياقوت، معجـــم، ج4، ص402).

[12] الذهبي، سير،ج17،ص284.

[13] هو عبدالله بن محمد بن يوسف القرطبي، يكنى أبا عبد الله، كان فقيهاً عالماً فـــي جميـــع فنـــون العلـــم والحديث والرجال، حسن البلاغة، ولي قضاء بلنسية، وكان من عباد الله الـــصالحين، والعلمـــاء الـــورعين، الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة، متبحر في العلم، وله تصانيف كثيرة، ألف كتاب جامع أحكام القرآن، وكتاب التذكرة بأمور التذكار في أفضل الأذكار وغيرها الكثير(ينظر: الـــذهبي، ميـــزان الاعتدال، ج8، ص139؛ ابن العماد، شذرات، ج3،ص167).

[14] اليافعي، مرآة الجنان، ج1، ص5، 6؛ ابن العماد، شذرات، ج3، ص167.

[15] هو عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون(ت:400هـــ= 1009م)، كان أبو الطيب مشهوراً بالفضل والزهـــد إماماً مخبتاً علماً في النسك والافتنان في المعرفة بالصناعة، استشهد في وقيعة قنتيش سنة 400هـــ عـــن سن عالية هي تسعين سنة أو نحوها.(ابن الأبار،التكملة، ج4، ص 154؛ ابن العماد، شذرات، ج3، ص131).

[16] ابن الأبار، التكملة،ج، ص154.

[17] هو سعيد بن عمر المعلم يكنى أبا عمر(ت:400هـــ= 1009م) من أهل قرطبة كان يؤدب بالفخاريين، كان مقدماً في الصناعة مشهوراً علماً في الفضل والعدالة، قد أفرد لتأدية الشهادات عند الحكام بقرطبة، واستشهد في وقيعة قنتيش يوم السبت في خمسين رجلاً من المعلمين (ينظر: ابن الأبار،التكملة، ج3، ص160).

[18] ابن الأبار، التكملة،ج3، ص161.

[19] هو أبو الوليد التدميري ممن عرف بكنية القارئ الزاهد (ت400هـــ= 1009م) من سكان قرطبة يلقـــب بالإقليولة ورحل وأدى فريضة وقرأ علي أبي الطيب بن غلبون وعاد إلى قرطبة فعلم بالقرآن ، وكان علماً في

وفي الفترة الممتدة بعد وقعة قنتيش حتى معركة الزلاقة سقط من العلماء الشهداء أولئــك الثلة من المرابطين، الذين لازموا الثغور حتى نالوا شرف الشهادة، فذلك أبوعبــد الله التــدميري ([22])، الزاهد أحد من رفض الدنيا وظهرت له إجابات وكرامات وهو مشهور، وربما كان يــأجر نفسه بما يتقوته، واتخذ لنفسه مأوى من شعر البقر، واعتمر جنينه له هناك يقتات من تينها، ثــم نزع إلى الجهاد فلازم الثغور، وحسن أثره في العدو إلى أن استشهد([23])، ورابط أحمد بن محمد بن أحمد([24])، بطلبيرة، وتردد على بلد العدو غازياً في السرايا إلى أن استــشهد رحمــه الله([25])، واستشهد هشام بن إبراهيم بن هشام التميمي مرابطاً سنة(ت:419هــ= 1028م)، وكان فارســاً شجاعاً([26]).

واستشهد موسى بن قاسم بن خضر(ت:443هــ= 1051م) من أهل طليطلة في الغزاة المعروفة بغزاة فحص مدينة([27])، وفيها استشهد عبد الله بن أحمد بن خلف المعا فري من أهــل طليطلــة، وكان مبصراً بالوثائق([28])، ويعقدها ولا يأخذ عليها أجراً، وممن لحق بقوافل الشهداء، أحمد بــن عبد الرحمن بن أيوب(ت:473هــ=1080م)، وكان واحد زمانه في علم الرؤيا([29]).

النسك والافتنان في المعرفة بالصناعة ، استشهد في وقيعة قنتيش عن سن عالية (ينظر :ابن الأبار ، التكملة ، ج4، ص154) .

[20] ابن الأبار، التكملة، ج4، ص154.

[21] هو سعيد البربري الأندلسي اللغوي القرطبي(ت:400هــ=1009م)، وكان أحد الثقات، وتتلمذ على أبي علي القالي، وحدث عن قاسم بن أصبغ، ووهب بن مسرة، وحدث عنه أبو عمر بن عبد البر (ينظر:الذهبي، سير، ج17، ص206).

[22] هو أبو عبد الله محمد بن طاهر القيسي التدميري(ت:400هــ= 1009م)، ويعرف بالشهيد، ومن ســكان قرطبة، ويلقب بالأقليولة، رحل وأدى الفريضة، وقرأ على أبي الطيب بن غلبون، وعاد إلــى قرطبــة، فعلــم بالقرآن وكان مشهوراً بالفضل والزهد إماماً مخبتاً علماً في المسك والافتنان في المعرفة بالصناعة، استشهد في وقيعة استرقة عن سن عالية تسعين سنة (ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج1، ص 220؛ الــذهبي، تــاريخ، ج26، ص633؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص234).

[23] الذهبي، تاريخ، ج26، ص633؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص234.

[24] هو أحمد بن محمد بن أحمد بن أهل طلبيرة، يكنى أبا عمر، وسماه ابن عبد السلام في شيوخه، وسمع هو من ابن طاهر الزاهد(أبو عبد الله التدميري المعروف بابن أبي الحسام)، وكان قد رابط بطلبيرة وتردد علــى بلد العدو غازياً في السرايا إلى أن استشهد رحمه الله (ينظر: ابن الآبار، التكملة،ج1، ص 22).

[25] ابن الأبار، التكملة،ج1، ص22.

[26] ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص210.

[27] المصدر نفسه،ج1، ص198.

[28] ابن بشكوال، الصلة ،ج1، ص86.

[29] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص28.

وقعة الزلاقـــة:

عندما وصل وفد فقهاء الأندلس، الذي أرسله الأمراء مستغيثاً بيوسف بن تاشفين، وكانت نفسه مشرئبة إلى الجهاد، فعبر إلى الأندلس عام(479هــ=1086م)([30])، وانضمت إليه قـــوات من أشبيلية ومن غرناطة، وكانت وجهة يوسف بن تاشفين بطليوس، وفي مروره بأشبيلية انضم إليه المعتمد بن عباد بقواته، ثم اضطر المتوكل بن الأفطس إلى اللحاق بهـــم، وتكاملـــت أعـــداد المسلمين وصدقت نيتهم على الجهاد، وعندما سمع ألفونسو السادس بأنباء نزول المرابطين رفـــع الحصار عن سرقسطة، وطلب نجدات من فرنسا وايطاليا، وسار في أعداد ضخمة([31])، وكـــان اللقاء في فحص الزلاقة قرب مدينة بطليوس، وكانت طلائع المسلمين بقيادة المعتمد بـــن عبـــاد، وقد أبلى هذا الرجل بلاءً جميلاً في تلك المعركة، كفرعن بعض ذنوبـــه، ثـــم انقـــضت جمـــوع المرابطين على قوات النصارى فأبادت معظمها، وانتهى ذلك اليوم بنصر حاسم للمسلمين، كانت نتيجته توقف تقدم النصارى، وثبات حدود الإسلام على ما وجدها عليه يوسف بن تاشفين([32]).

واستشهد في وقعة الزلاقة جماعة من العلماء الفضلاء مثل: الفقيه الناسك أبـــو العبـــاس أحمد بن رميلة القرطبي، صاحب الرؤيا المشهورة: وكان في محلة ابن عبـــاد، اســـتيقظ فرحـــاً مسروراً يقول: "أنه رأى النبي تلك الليلة في النوم، فبشره بالفتح والمـــوت علـــى الـــشهادة فـــي صبيحة تلك الليلة، وتأهب ودعا، ودهن رأسه وتطيب، وانتهى ذلك إلى ابن عباد، فبعـــث إلـــى يوسف فخبره بها؛ تحقيقاً لما توقعه من غدر الكافر بالله"، وفي الـــصباح دارت معركـــة حاميـــة الوطيس عنيفة الحركة، شديدة الضراب، بين جيش المسلمين وجيش ألفونسو، انتصر فيها الجيش الإسلامي، وعثر على الفقيه شهيداً، واستشهد مقبلاً غير مدبر([33])، وممن استشهد فـــي الزلاقـــة أبو مروان عبد الملك المصمودي قاضي مراكشي([34]).

---

[30] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص246؛ الناصري، الاستقصا،ج2، ص39.

[31] المراكشي، المعجب، ج1، ص132؛ الناصري، الاستقصا، ج2، ص41.

[32] الحميري، الروض المعطار، ج1، ص291؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص439.

[33] الحميري، الروض المعطار، ج1، ص290؛ المقري، نفح الطيب،ج4، ص365؛ الناصري، الاستقصا، ج2، ص45.

[34] الحميري، الروض المعطار،ج1،ص292؛ المقري، نفح الطيب،ج4،ص369 الناصـــري، الاستقـــصا،ج2، ص48.

والشهيد يعلي المصمودي([35]) وقد كان مصاحباً له واستشهدا معــاً([36])، كــذلك مــنهم: الفقيه أبو رافع الفــضل بــن الحــافظ العــالم الأندلــسي الفقيــه الأديــب أبــي محمــد بــن حزم(ت:456هــ=1063م) قضى في معركة الزلاقة شهيداً رحمه الله تعالى([37])، والشاعر أبــو سالم العراقي في آخرين أكرمهم الله بالشهادة، واستشهد في هذه الواقعة طائفة من بني خلــدون، ثبتوا في الجولة مع ابن عباد، فاستلحموا في ذلك الموقــف؛ حتــى كــان الظهــور للمــسلمين، ونصرهم الله تعالى على عدوهم([38]).

معركة وشقــة:

كان من ملوك الطوائف بالأندلس بنو هود ملوك سرقسطة وما إليها، حيث ولي المستعين أحمد بن هود سنة أخذ طليطلة، وعلى يده كانت وقعة وشقة، فزحف سنة(489هــ=1088م) في آلاف لا تحصى من المسلمين؛ ليرد الطاغية عن وشقة، وكان محاصــراً لهــا فلقيــه الطاغيــة وهزمه، وهلك من المسلمين نحو عشرة آلاف، وقضى هو شــهيداً ســنة(503 هـــــ=1109م)، بظاهر سرقسطة في زحف الطاغية إليها([39]).

واستشهد في معركة وشقة سنة(489هــ= 1088م) الفقيه عبد الوهاب محمد بــن حكــم الأنصاري([40])، وسقط أبو إسماعيل يحيى بن سعيد بن عقبة شهيداً في المعركة([41]).

مشاركة العلماء الشهداء في القتال ضد النصارى في عهد المــرابطين(484هــــ- 520هــــ =1092-1134م):

منذ أن كسب المرابطون في معركة الزلاقة سنة(479هــ=1088م)، ظل المرابطــون قائمين بالدفاع عن الإسلام في الجزيرة الأندلسية، وعلى الرغم من مــسؤولياتهم الجــسيمة فــي المغربين الأقصى والأوسط، فإن الدفاع عن الإسلام في الأندلس كان عملهم الرئيس، ففيه أنفقوا

---

[35] هو يعلي بن المصمودي(ت:479هــ=1086م) يكنى أبا محمد، ولي القضاء بالعدوة، ودخل الأندلس غازياً مع صاحبة القاضي بمراكش، أبي مروان عبدالملك المصمودي، واستشهدا في يوم الزلاقة(ينظر: ابن الأبــار، التكملة، ج4، ص238).

[36] ابن الأبار، التكملة،ج4، ص238.

[37] ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج3، ص329؛ المقري، نفح الطيب،ج4، ص238.

[38] ابن خلدون، تاريخ، ص7، ص382.

[39] المقري، نفح الطيب، ج1، ص441.

[40] ابن الأبار، التكملة،ج3، ص105، ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ج1، ص96.

[41] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص158.

معظم أموالهم وفيه جاهدوا واستشهد خيرة رجالهم([42])، وأشهر هذه المعارك بعد الزلاقة، وقعة أقليش.

وقعة أقليــش([43]):

أرسل علي بن يوسف بن تاشفين أخاه تميم في عام(501هـ=1107)؛ ليستأنف القتال باتجاه شرق الأندلس، لتدمير الثغور الباقية لدى النصارى، فاتجه صوب مدينة أقليش الواقعة شرق طليطلة، وفيها حامية تقدر بعشرة آلاف فارس، لكن هؤلاء فروا منها تحت ضغط الجيش المرابطي، واحتموا بحصن منيع قرب المدينة يدعى إقليش، فأرسل الفونسو عدداً على عجل بقيادة ابنه الوحيد شانجة، وكان صغيراً لم يتجاوز أحدعشرعاماً، لكنه أرسله رمزاً، يعاونه سبعة أمراء من أمراء دولته، حتى سميت هذه المعركة بمعركة الأمراء السبعة، وكسر جيش قشتالة، وقتل ولي العهد، كما قتل معه أولئك الأمراء، ولجأ كثير من القشتاليين إلى الفرار بعد مقتل الأمير ومربيه، وارتد القائد الكبير البرهانش([44]) صوب طليطلة، وتمت الهزيمة المخزيةعليهم، وغنم المسلمون مغانم كثيرة، لكن المعركة سميت باسم المنطقة التي وقعت فيها، وتضاهي معركة الزلاقة أهمية بنتائجها وآثارها، فكانت أعظم نصر أحرزه المرابطون على قوات الفونسو السادس، حيث دعمت مركزهم في المناطق الشرقية والوسطى من الأندلس([45]).

وقد استشهد من المسلمين جمع غفير، وممن استشهد من العلماء "الإمام الجزولي، وكان رجل صدق، إضافة إلى جماعة من الأعيان"([46]).

وقعــة البــورت:

أثناء ولاية إبراهيم بن يوسف بن تاشفين أبو إسحاق على مرسية، وفي حربه على الروم،استفتح حصن البيط الشهير بالمنعة، إلى أن اعتل بصره عند رجوعه من غزوة برشلونة، والتي تسمى وقيعة البورت(508هـ =1114م)، عقب وقيعة عنيفة مع جيش أرجون، في موضع يسمى البورت ويعني الباب، فاستدعاه علي بن يوسف بن تاشفين، وعوض منه بأخيه

---

[42] **مؤنس، حسين،معالم التاريخ المغرب والأندلس، ص432.**

[43] **إقليش مدينة متوسطة ولها أقاليم ومزارع عامرة وبينهما وبين وبذي ثمانية عشر ميلاً، من إقليش إلى شقورة ثلاث مراحل(الإدريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص560؛ الحميري، الروض المعطار، ج1، ص51).**

[44] **هو القائد الأسباني المعروف ALVAR HANEZ ابن أخي السيد القمبيطور، وكان من كبار قواد الملك ألفونسو السادس (ينظر: القطان، نظم الجمان، ص 6).**

[45] **ابن القطان، نظم الجمان، ص 7؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص415.**

[46] **ابن القطان، نظم الجمان، ص66.**

إبراهيم([47])، حيث كان النصر للمسلمين في المعركة، وفي ذلك يقول أبو جعفر بن وضاح في قصيدة له:

تقعُد النايباتُ حيثُ تَقومُ — لا يردُّ العظيمَ إلا العظيمُ
عَمَرتْ بالسرورِ أكنافَ تدميرٍ — ووَلت عنْ ساحَتيها الهمومُ
مَطَلَتها الأيامُ حتى تَلقاها — بما أملَّتهُ يومَ كريمٍ
طالَعتُها القنا وجُرد المذاكي — والعلى والأميرُ إبراهيمِ([48])

شارك في هذه المعركة كبار قادة المرابطين، الفقيه أبي عبد الله بن الحاج([49]) وابن عائشة وابن تافلويت([50])، وكانت معركة حامية الوطيس، واستشهد فيها العديد من العلماء منهم ابن الحاج([51])، ومنهم ذو الوزارتين الفقيه أبو عبد الله الحاج الطرطوشي([52])، دليل المسلمين في تلك الغزوة، و الفقيه أبو أحمد ابن سيد أمون الأزدي([53])، والمقرئ أبو عبد الله بن العزيز([54]) ولد الأمير الأجل من أهل بلنسية، والأديب أبو الحسن غلندة ([55])مولى المستعين، والفقيه أبو

---

[47] ابن الأبار، المعجم، ج1، ص55.

[48] المصدر نفسه،ج1، ص55.

[49] هو أبوعبد الله محمد بن ميمون بن محمد بن الحاج اللمتوني، ابن عم يوسف بن تاشفين، وأحد كبار قواده، تمكن من انتزاع قرطبة من ابن عباد، وخاض معارك عديدة ضد النصارى حتى استشهد عام(507هـ=1113م)(ينظر:ابن أبي زرع، روض القرطاس، ج2، ص84).

[50] هو أبو بكر بن إبراهيم المسوفي(ت:611هـ = 1214م) المعروف بابن تافلويت، والي سرقسطة، وشارك في غزوة برشلونة مع أبي عبد الله بن الحاج وابن عائشة(ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج1، ص35؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص276).

[51] هو محمد بن أحمد بن إبراهيم التجيبي (ت: 508هـ= 1114م) المعروف بابن الحاج قاضي الجماعة بقرطبة كان من جلة الفقهاء وكبار العلماء معدوداً في المحدثين والأدباء بصيراً بالفتيا راسماً في الشورى كان معتننياً بالحديث والآثار جامعاً لها ، وكان عالماً بمعاني الأسفار والسير والأخبار، استشهد في وقعة اليورت.

[52] هو الخليفة أبو عبد الله بن الحاج الطرطوشي (ت508هـ=1114م) عرف بكنيته، كان فقيهاً حافظاً للفقه رحل لتلقي العلم في مدن الأندلس، وتولى الوزارة وعمل ليلاً للمسلمين في وقعة اليورت التى استشهد فيها (ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج1 ، ص35).

[53] هو أبو أحمد سيد أمون الأردي(ت:508هـ= 1114م) ، درس الفقه، وجلس لتعليم الناس في المسجد، وخرج مجاهداً في موقعة اليورت فسقط شهيداً.(ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج1، ص34) .

[54] أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت:508هـ=1114م) ممن عرف بكنيته، كان مقرئاً مجوداً فاضلاً تلا بالسبع على محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي واستقضى بموضعه، رحل إلى المغرب والأندلس لتلقي العلم، وشارك في وقعت التي استشهد فيها (ينظر: ابن عبد الملك المراكشي، س5، ص624).

[55] هو علي بن غلندة (ت508هـ=1114م) ، أصله من سرقسطة وسكن أشبيلية، كان كاتباً بارعاً شارك في عدة فنون منها الطب والأدب والخط البارع، استشهد في وقعة اليورت .

عامر بن المرشاني([56]) وابنه، والمقرئ ابن سعادة([57]) وابن له في نحو ثلاثـين مـن العـرب، وعشرين من الفرسان الأندلسيين، ومائتي راجل وعشرين راجلاً قتلوا قبل ابن الحاج في عـام(508هـ=1114م)([58]).

وخرج يحيى بن محمد الأموي(أبو الوليد)([59])؛ غازياً فاستشهد في وقيعة البورت، في الثغر الشرقي في ربيع الأول(508هـ=1114م)([60])، واستشهد في البورت أحمد بن ثابت بـن عبد الله بن ثابت العوفي، والوزير الفقيه أبو جعفر ولد القاضي ابن القاسم مع أبي عبـد الله بـن الحاج([61]).

وقعـة قتنـدة([62]):

اهتم علي بن يوسف لسقوط سرقسطة(512هـ= 1118م)، بعد حصار اشـتركت فيـه قوات مختلفة من أسبانيا النصرانية وفرنسا([63])، فأرسل إلى أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف والي إشبيلية، يأمر بتجهيز الجيوش والمبادرة إلى السير لإعادة سرقسطة، كما أرسل إلى بقية الأمراء أن يجتمعوا ويحتشدوا مع القائد العام للجيش، وكان النصارى قد اجتمعوا بأعـداد غفيـرة مـع الفونسو المحارب، وقد تصدى جيشهم لجيش المسلمين، بظاهر مدينة قتندة في حيز دروقة مـن

---

[56] أبو عامر المرشاني (ت:508هـ= 1114م) ممن عرف بكنية ، كان فقيهاً عالماً حافظاً للفقه على مـذهب مالك الأندلسي لتلقي العلم، ثم جلس للتعليم في بلده غرناطة، حتى سقط شهيداً في موقعة اليـورت (ينظـر: الذهبي، سير، ج18، ص489).

[57] هو محمد بن عبد العزيز سعادة(ت:508هـ= 1114م) كان مقرئاً من أهل الصلاح عالماً بالقراءات ومتقناً لها، أخذ الناس عنه، واستشهد في وقعة اليورت (ينظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج2، ص605).

[58] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص35.

[59] هو يحيى بن محمد الأموي(ت: 508هـ=1114م) من أهل لاردة يعرف بابن قيرون ويكنى أبـا الوليـد، صحب أبو علي الصدفي وسمع منه وولى من قبله قضاء شاطبه، ثم استعفاه فأعفاه، وانتقـل إلـى بلنـسية فشاوره قاضيها، وكان خيراً فاضلاً صلباً في الحق بمكان من الدين والفضل، خرج غازياً فاستشهد في وقيعة البورت بالثغر الشرقي(ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج4، ص167).

[60] ابن الأبار، المعجم، ج1، ص309 ؛ ابن الأبار، التكملة،ج4، ص167.

[61] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص35.

[62] قتندة: بلدة بالأندلس ثغر سرقسطة من الثغر الأعلى بها وقعة بين المسلمين الفرنجعام(514هـ=1120م) استشهد بها إمام المحدثين أبو علي الصدفي عن ستين سنة، كانت بها الهزيمة على المسلمين، وبين بلنسية وقتندة ثلاث أيام، ومن قتندة إلى حصن الرياحين مرحلتان، ويذكر أنه استشهد في المعركة عشرين ألفاً، ولم تقتل فيها من العسكر أحد(ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص556؛ يـاقوت، معجـم البلـدان، ج4، ص310؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص460).

[63] الحميري، الروض المعطار، ص98.

أعمال سرقسطة([64])، ودارت معركة هائلة شديدة، اقتتل فيها الخصمان اقتتــالاً عنيفــاً، ودارت الـــدائرة علـــى المـــسلمين واســـتمر القتـــل فـــيهم([65])، واستـــشهد مـــنهم الآلاف. ويبدو أن هزيمة المسلمين في هذه المعركة ترجع لأسباب عدة منها:

1- كثرة العدو، وقلة عدد المسلمين، أدى إلى هزيمة المسلمين هزيمة منكرة([66]).

2-لأن الأندلسيين الذين خرجوا للجهاد مع المرابطين لم ينتظمــوا بالــصفوف، وتــسارعوا في الهجوم على العدو، فاختل مصاف الجيش فكانت الهزيمة([67]).

3- ضعف الموارد، والمدد، وبعد الشقة بالنسبة لأراضي المسلمين، بينما يأتي لعدوهم المــدد لا من الأندلس فحسب، بل كانت أوروبا تمدهم تباعاً بكل المواد البشرية والطبيعية، والبابــا يحرض ملوكها وأمراءها لمحاربة المسلمين([68]).

ويعتقد الباحث أن هناك سبباً آخر للهزيمة يرجع إلى قيادة الجيش المرابطي، وانخفــاض روحه المعنوية، وعدم إحسان الجيش المرابطي في استعادة سرقسطة، ويتضح ذلك في قول ابن الأبارعند الحديث عن المعركة:"وكانت على المسلمين جبرهم الله، قتل فيها من المطوعــة نحــو عشرين ألفاً، ولم يقتل فيها من العسكر أحد يعني الجند، وحكى غيــرهم أن العــسكر انــصرف مفلولاً إلى بلنسية"([69]).

وكان من بين الشهداء عدد من العلماء الأفذاذ، وعدد من القضاة الأفاضل، مــنهم العــالم الشهيد أبــو علــي الــصدفي، حيــث تبلــور دوره الجهــادي فــي محنــة سرقــسطة عــام (512هـ=1118م)؛ لإيقاف الخطر النصراني، فبدأ يحث تلاميذه ويرغبهم في الجهــاد، ويثيــر الحماسة الدينية عندهم، وتمكن من جمع عشرين ألف متطوع([70]).

وحين توجه الصدفي إلى معركة قتندة، رتب أموره كمن لا يعود، وأوصى إلى صـــهره أن يؤم الناس في صلاة الفريضة، وإليه أوصى عند توجهه إلى غزوة قتندة التي فقــد فيهــا([71])،

---

[64] دروقة: مدينة صغيرة متحضرة كثيرة المياه غزيرة البساتين والكروم، وتقع إلى الجنوب من قلعــة أيــوب على بعد ثمانية عشر ميلاً، ومن دورقة إلى مدينة سرقسطة خمسون ميلاً، وينسب إليها أبو زكريا بن خيــرة الدورقي(ينظر: الإدريسي نزهة المشتاق، ج2، ص 554؛ ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص484).

[65] ابن الأبار، المعجم،ج1، ص56؛ ابن بشكوال، الصلة،ج1، ص144؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص460.

[66] السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص317.

[67] مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص434.

[68] السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص317.

[69] ابن الأبار، المعجم، ج1، ص8.

[70] ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص54.

[71] ابن الأبار، المعجم، ج1، ص197، المقري، نفح الطيب، ج2، ص221.

وفي أثناء مرور الجيش من مدينة مرسية إلى شاطبة توقف للتزود بالمؤن، ألقى فيها دروساً عدة على طلاب العلم والناس، كما كان يفعل في أيام الإقامة في مرسية وغيرها، فهو في جهاد وتدريس متصل، متجهاً إلى الحرب([72])، ولم ينقطع قيامه بالتدريس وهو سائر للحرب، حتى في مدينة المعركة قتندة([73])، أعد نفسه للشهادة ووطنها على المقاتلة، "وتولى التدريس في حالة انشغال، وإعداد للحرب واتجه إلى ميدانه، إنه يفترس الوقت، وكل وقت، وينتهل الساعات؛ ليقدم ما عنده للجميع تطوعاً وتقرباً إلى الله، وفي النفس لذلك متسع، فالحرب والعلم عنده في نفس المتجه وعين المبتغي، فهما عباده وإن اختلفا في الصورة"([74]).

لم يدع أبوعلي الصدفي فرصة تمر دون عطاء للمجتمع، بل هنا قصد الناس؛ ليعطيهم، وفي الإقامة يقصده الناس؛ ليأخذوا منه، فهو لهم ومعهم دوماً، عقيدة وعبادة، وفي ذلك رضا الله تعالى، الذي لا يبتغي غير وجهه ولا يعمل لغيره، ولعل خروج هذا العدد الكبير من المطوعة كان بتأثير أبي علي الصدفي، فيمن حوله من الناس في مرسية([75])، واستشهد أبو علي الصدفي في هذه الملحمة، وهو من أبناء الستين، وكانت معيشته من بضاعة له مع ثقات إخوانه([76])، واستشهد في المعركة قرين الصدفي في الفضل ابن الفراء، قاضي المرية الذي تميز بشدة فقهه وورعه، فحضر المعركة، وفقد عندما حلت بالمسلمين الهزيمة ، رحمه الله([77])، وممن استشهد في هذه المعركة أيضاً الفقيه عبد الرحمن بن فتح اللخمي([78])، وممن حضر المعركة القاضي الأشبيلي أبو بكر بن العربي وقد سُئلَ عن نجاته من المعركة " فقال: حال من ترك الخباء([79]) والعباء([80])، بمعني أنه ذهب جميع ما لديه"([81]).

---

[72] ابن الأبار، المعجم، ج1، ص195، 197.

[73] المصدر نفسه، ج1، ص58، 91.

[74] المصدر نفسه،ج1، ص 116.

[75] مؤنس، شيوخ العصر، ص106.

[76] ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص310؛ الذهبي، سير، ج190، ص378؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج9، ص35، 36.

[77] المقري، أزهار الرياض، ج3، ص153؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص461.

[78] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ج1، ص38.

[79] الخباء: مفرد الأخبية من وبر أو صوف ولا يكون ولا يكون من شعر وهو على عمودين أو ثلاثة(ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص71).

[80] العباء: هو ضرب من الأكسية الواحدة عبائة أو عباية (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص118).

[81] ابن الأبار، المعجم، ج8،1 ؛ المقري، أزهار الرياض،ج1، ص287؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص461.

هكذا كان العلماء، هم القدوة يتطوعون في المقدمة، من غير توظيف أوتكليف، بـــل هـــو تشريف، هم حصون الأمة وقادتها ومثالها، قدوة للمسلمين المؤمنين والأتقياء العـــارفين، مثـــالاً صافياً نقياً، لأنهم اتجهوا إلى الله وأخذوا بشرعة.

وقعـــة المريـــة([82]):

بعد أن كان المرابطون يكسبون النصر تلو النصر، ويستعيدون ما ضـــاع مـــن بـــلاد المسلمين، بدأت الهزائم تتوالى عليهم، ففي عام(542هـــ=1147م) تقدمت القوات النصرانية من شمال الأندلس، يقودها الفونس السابع(السليطين)([83]) براً، وجاءت البحرية الإيطالية من جنوة، والبندقية بحراً، وحاصرت مدينة المرية في جنوب الأندلس، وكانت قاعـــدة بحريـــة للأســـطول الأندلسي، وطال الحصار، حتى نفذ الطعام وشح الزاد، وما أمدها أحد بقوة من رجال أو أقـــوات من الطعام، ودام الحصار ثلاثة أشهر، حتى تمكنت الجيوش المعتدية من اقتحام المدينـــة عنـــوة، أسرت عشرات الآلاف بعد أن استشهد الآلاف منهم([84])، واستشهد من علماء المسلمين في وقعـــة المريـــة عنـــدما تغلـــب الـــروم عليهـــا، عـــالم المريـــة الإمـــام أبـــو محمـــد عبـــد الله([85])

---

[82] **المرية: تقع على الساحل الشرقي للأندلس أمر ببنائها الأمير عبد الرحمن بن محمـــد عـــام(344هـــــ= 955م)، وهي تقع في الجنوب الشرقي للأندلس، وتقع بين مدينتي مالقة ومرسية على ساحل البحر، واتصفت بالحصانة وبنشاطها التجاري(ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج5،ص119؛ الحميري، الـــروض المعطـــار،ج1، ص537).**

[83] **عندما مات الفنش عام(501هـــ=1107م) وقام بأمر الجلالقة زوجته، وتزوجت من رذميـــر ثـــم فارقتـــه، وتزوجت قمطاً من أقماطها وجاءت منه بولد كانوا يسمونه السليطين، وقد كان صـــاحب طليطلـــة، وأدمـــن السليطين على غزو بلاد المستنصر وقتالها فضعف، وصالح الفرنج على أن يسلم للسليطين حصن روطة وهو من أمنع الحصون وأمنعها واصطلحوا وتسلمت الفرنج الحصن وفعل المستنصر فعلة لم يفعلها أحد من قبـــل (ينظر: ابن خلدون، تاريخ،ج4، ص182؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص257؛ المقري، نفح الطيب،ج4، ص463).**

[84] **المقري، نفح الطيب،ج4، ص462.**

[85] **هو الإمام المشهور أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن خلف بن أحمد بن عمـــر اللخمـــي الرشاطي(466هـــ-542هـــ = 1073-1147م) المريني، كانت له عناية بالحديث والرجال والرواة والتاريخ، وهو صاحب كتاب اقتباس الأنوار، والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار، وأخذ النـــاس عنـــه، وأحسن فيه، وجمع وما قصر، وهو أسلوب كتاب أبي سعد بن السمعاني المسمى بالأنساب، قـــضى شـــهيداً بالمرية عند تغلب العدو عليها، والرشاطي هو أن أحد أجداده كان في جسمه شامه كبيرة، وكانـــت حاضـــنته أعجمية فإذا لاعبته قالت رشاطة، وكثر منها ذلك فقيل له الرشاطي(ينظر: الـــذهبي، ســـير، ج20، ص258؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج17، ص175؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص462).**

الرشاطي(ت:542هـ=1147م)، المشهور صبيحة يوم الجمعة العشرين من جمادى الأولى([86])، واستشهد أبو الحجاج القضاعي([87])، يوم غلبه الروم على المرية في العشرين من جمادى الأولى وقتل يومئذ خلق كثير، وكان صدوقاً صحيح السماع، عاش خمساً وثمانين سنة([88]).

ويبدو أن هذا المصير الذي آلت إليه المرية وطرطوشة وغيرها، لما اقترفته أيدي الناس، فقد أحدثوا جرماً على حاكم الأمم، فلم يمضي إلا يسير حتى تغلب الروم على العديد من المدن الأندلسية ([89]).

وفي أواخر عهد المرابطين اختلت أمور دولتهم، ذلك لأنهم تأثروا بمظاهر الرقة في العواصم الأندلسية، ونسوا مظاهر الغلظة والجفاء التي فطروا عليها في الصحراء، بحثاً وراء شهوات النفس، ففقدوا خصالهم وانحطت هممهم([90])، ولعل سقوط المرابطين يرجع للأسباب التالية:

1- ضعف القيادة، حيث تسلم الحكم أحياناً من لا يستحق، إذ قلد إبراهيم بن تاشفين مع أن الحالة تستدعى أن يتولى رجل قوي الإرادة، عالم بشؤون الدولة، خبير بمكائد الأعداء.
2- الصراع الحاد بين الفئة التي ظهرت في مجتمع المسلمين، وقام بها ابن تومرت باسم الإسلام، وبين المرابطين في عقر دولتهم في المغرب، فقد استهلك هذا الصراع قوة المرابطين وأزال هيبتهم([91])، ويبدو أنه السبب الأخطر الذي أدى إلى انهيار دولة المرابطين .
3- انصراف بعض العلماء عن معرفة الواقع ومعايشة الأحوال العامة للناس، وعدم مخالطتهم لهم، وبهذا يتركون المجال لأن يتصرف الجهال في واقع الناس وأحوالهم، فقد

---

[86] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج36، ص537؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص462؛ الزر كلي، الأعلام، ج4، ص105.

[87] هو يوسف بن علي بن محمد، أبو الحجاج القضاعي الأندلسي نزيل المرية، ويعرف بالقفال، والحداد حج ودخل العراق، وسمع صحيح مسلم ومقامات الحريري، وكتب كثيرة ثم عاد إلى الأندلس وسكن المرية وحدث بالكثير، واستشهد يوم غلبه العدو الملعونين على المرية وعاش خمساً وثمانين سنة(ينظر:الذهبي، تاريخ، ج37، ص132).

[88] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج37، ص132.

[89] المقري، نفح الطيب، ج4، ص462.

[90] الناصري، الاستقصا، ج2، ص70.

[91] المراكشي، المعجب،ج1، ص192؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص197؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص248.

ترك بعض العلماء الساحة إلى من دونهم، وخلوا الميدان الفسيح إلى أشباه العلماء أو من يتزيا بزيهم، وذلك أدى إلى الانفصام بين العلماء والناس([92]).

وفي خضم هذا الضعف استشهد العديد من العلماء، في حوادث متفرقة سعوا للذود عن حياض الأمة، ففي آخر عام(526هـ=1131م) خرج النصارى إلى أشبيلية، وقد احتفلوا بجيشهم المتجه إلى بلاد الإسلام، فوصل إشبيلية، وبرز إليه الأمير أبو حفص عمر بن الحاج([93])، فهـزم واستشهد جميع من معه([94])، ومنهم المحدث الشهيد علـي بـن محمـد بـن لـب بـن سـعيد القيسي([95])([96])، واستشهد المقرئ أبو عبد الله القرطبي ويعرف بابن الفريشي([97]) فـي شـوال وقت أخذ قرطبة([98])، واستشهد المقرئ أبو محمد الزبير([99]) صاحب مدينة قرطبة فـي عهـد المرابطين عام(537هـ=1142م)، في حرب الفرنج، في موضع يقال له وادي الدروع ويقـول الشاعر أبو بكر محمد المعروف بابن الأبيض([100]) في رثائه:

ياسَائلـي عنْ زبيـرٍ أينَ مسكنـهُ	هيهاتَ تطلبُ شمساً ما لها وضـح
لا تطلبـنَّ زبـيراً في مَسـاكنِـهِ	وأسألْ عرابـةَ عنهُ حينَ يصطبـحُ
نشوانُ يكرع في فرجٍ وفي قَـدحٍ	والملكُ تحتَ لبانِ العودِ مطرحُ([101])
يا ضيعةَ الجيشِ لنْ يبقى لهم سبَدٌ	أودى السماعُ بـبيتِ المالِ والقدحُ

---

[92] المراكشي، المعجب، ج1، ص177؛ ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص753.

[93] هو الأمير عمر بن علي بن الحاج (ت:536هـ=1131م) أحد قادة المرابطين، استشهد عندما خرج للقاء جيش النصارى المتجه إلى إشبيلية (ينظر : ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج1، ص109).

[94] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص109.

[95] هو علي بن محمد بن لب بن سعيد القيسي (ت:535هـ =1140م) أصله بن طليطلة، وسكن إشبيلية كان مقرئاً ومحدثاً حسن القيام على تجويد القرآن، أم في مسجد بن بشكوال ومسجد ابن رزق (ينظر: ابن عبـد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ص387).

[96] ابن الأبار، التكملة، ج3، ص189.

[97] هو محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله المقرئ الزاهد، أبو عبد الله القرطبي المعروف بابن الفريشي، كان معروفاً بإجابة الدعوة، تلا بالسبع وحج وسمع بمكة(ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج10، ص204).

[98] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج46، ص168.

[99] من أهل مرسية من جنجالة يكنى أبا عبد الله(ت:537هـ=1142م) سمع أبا بكر بن حسنون وأبا محمد بن حوط الله وغيرهما وأقرأ القرآن وعلم بالعربية، وأخذ عنه وكان موصوفاً بالصلاح والفضل(ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج2، ص104).

[100] ابن الأبيض الضرير يلقب رسته الأبيض السر قسطي، اسمه يحيى بن عبـد الـرحمن(ينظـر: الـوافي بالوفيات، ج6، ص124).

[101] مطرح: يعني الشيء الذي لا حاجة لأحد فيه(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص528).

والهندنيـــةُ([102]) في حلي وفي حُلَلٍ بها يتمُ المُنـــى واللهوُ والفرحُ([103]).

ومن العلماء الذين قتلوا في ساحات الجهاد، عبد الملك بن محمد بن مسعود بن فرج ابـــن أبي الخصال يكنى أبو مروان([104])، كان راوياً فاضلاً، ديناً من نجباء الأبناء، نشأ على صـــون وعفاف، وانقطاع إلى طلب العلم([105])، ورثاه والده في قصيدة، ومما قاله:

جَزَعتَ وقدْ كانَ التجلدُ بيَّ أحرى ولكـــنْ زندَ الوجـــهِ في كبدي أوري
تَقَسمنـــي مـــا بينَ حـــيٍ وميـــتَ فمنْ معشـــرٍ قتلى ومنْ معشرٍ أسرى
وما زالَ أقرانُ الظهـــورِ مقـــاتلاً وكيفَ توقي الموتَ منْ جيشٍ لايدري
وما سلقَ ذاكَ الحتفَ إلا شهـــادةٌ وتركتَ بها في كلضّ مَنْزِلةٍ نشراً([106]).

ومن العلماء الذين نالوا مرتبة الشهادة في ميادين القتال، إبراهيم بن أحمد بـــن إبـــراهيم المعافري، من رواة الحديث، سقط شهيداً بالقرب من جزيرة شقر، في وقيعة القلعة عام(532هــ = 1137م)، ومن نظمه:

اغتنـــم ركعتينِ زُلفـــى إلى اللهِ إذا كنـــت فـــارغـــاً مـــستـــريحـــا
وإذا مـــا هَممـــت يوماً بِنُطْـــقِ فـــاجعلـــن فـــي مكـــانـــهِ تسبيحـــاً
فاغتنام الســـكوتِ أفضـــل مـــن خوضٍ وإن كنت بالحديثِ فصيحاً([107]).

وكان أحمد بن طلحة بن أبي بكر([108]) فقيهاً جليلاً، استشهد فـــي دخـــول اللمتـــونيين غرناطـــة ســـنة(539هـــــــ=1144م)([109])، وفـــي العـــام نفـــسه استـــشهد العالم علي بن عبد الله بن ثابت([110])، أحد طلبة الصدفي، ويذكر أنه كـــان مـــأثور الكرامـــات،

---

[102] **الهندنية: السيوف المطبوعة من حديد الهند(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص438)**

[103] **العماد الأصبهاني، خريدة القصر، ج3، ص43.**

[104] **هو أبو مروان بن أبي الخصال الغافقي(530هــ=1135م)، قرطبي وأصله من شقورة، ابن ذي الوزارتين أبي عبد الله بن أبي الخصال، انقطع إلى طلب العلم، ثم رحل وحج وعاد إلى الأنـــدلس (ابـــن عبـــد الملـــك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ج1، ص38).**

[105] **ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ص38.**

[106] **المصدر نفسه،س5، ص39.**

[107] **ابن الأبار، التكملة،ج1،ص124؛ الذهبي، سير، ج8، ص417.**

[108] **هو أحمد بن طلحة بن أبي بكر محمد بن أحمد بن طاهر من بني عطية المحاربي(ت:539هــ =1144م) غرناطي يكنى أبو جعفر روى أبي بكر عم أبيه، وابن العربي وغيرهم، وكان فقيها جليلاً استشهد في دخـــول اللمتونين غرناطة (ينظر: ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص45).**

[109] **ابن فرحون، الدبياح المذهب، ج1، ص3.**

[110] **هو علي بن عبد الله بن ثابت بن محمد(ت:539هــ=1144م)، أبو الحسن الأنصاري الخزرجي العبادي من ولد عبادة بن الصامت، المقرئ المجود الغرناطي، تصدر للإقراء بغرناطة، ولي الصلاة والخطبة بهـــا،=**

مشهوراً بإجابة الدعوات، غاية في التقشف،غزا بلاد العدو غزوات كثيرة علـــى قدميـــه ابتغـــاء الأجر([111]).

وأقام أبو محمد عبد الله بن سعيد بن مردنيش مجاهداً، إلى أن استشهد في بعض أيامه مع النصارى سنة(540هـــ=1145 م)([112])، واستشهد قاضي شنتمرية أبو الفضل الـــشنتمري([113]) بشنتمرية([114])، واستشهد المحدث سليمان بن عبـــد العزيـــز([115])، وكـــان مـــن أهـــل البـــذل والمعرفة([116]).

وعندما أغار الروم على كائنة لبلة في عام(549هـــ=1154م)، استشهد الإمـــام الحـــافظ ابن أبي مروان([117])([118])، واستشهد فـــي الواقعـــة أيـــضاً العـــالم عمـــرو بـــن زكريـــا بـــن بطال([119])([120])، ومنهم أبو عامر أحمد بن عبد الله بن يحيى بن فرج بن الجد الفهـــري، وكـــان

=وكان مقرئاً مجاهداً موصوفاً بالفضل والصلاح، ولد في حوالي(478هـــ=1085م)، واستشهد بظاهر غرناطة وقد قارب السبعين(ينظر: ابن الأبار، المعجم، ج1، ص 282؛ ابن الأبار، التكملة، ج3، ص190؛ ابـــن عبـــد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ج1، ص220؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج36، ص510).

111 ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ج1، ص210.

112 ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص166.

113 هو جعفر بن محمد بن يوسف(ت:546هـــ = 1151م) أبو الفضل الشنتمري، ولي قضاء شنتمرية، روى عن أبيه وعن جده أبي الحجاج يوسف الأعلم رواياته وتصانيفه، وكان فقيهاً مشاوراً مفتياً كاتباً شاعراً، ولي قضاء لبلة، وقضاء شنتمرية، والصلاة والخطبة بجامعها، وهو من بيت علم وأدب، استشهد بشنتمرية(ينظر: ابن الأبار، التكملة،ج1، ص195؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج11، ص113).

114 ابن الأبار، التكملة، ج1، ص95؛ الذهبي، تاريخ، ج37، ص238؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج11، ص113.

115 هو الفقيه أبو الربيع بن عبد العزيز بن أسد الأشبيلي الأندلس ويعرف بابن لؤلؤة (ت:526هـــ = 1131م) فقيه على مذهب مالك ومقرئ مجود حافظ للقراءات، له رحلة حج وزار الإسكندرية، له كتاب التقييـــد فـــي الخلف بن الشاطبية والتجريد .(ينظر: السلفي، معجم السفر، ج1، ص104).

116 ابن الأبار، التكملة، ج4، ص97.

117 هو أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن محمد الأنصاري الأشبيلي(ت:549هـــ=1154م)، الإمام الحافظ أبو عمر، وأبو جعفر، عالم بالحديث ورجاله، ظاهري المذهب على طريقة ابن حزم، استشهد في لبلة أثناء ثورة قام بها أهلها(ينظر: الذهبي، سير، ج20، ص249).

118 الذهبي، سير، ج20، ص249، الزر كلي، الأعلام، ج1، ص164.

119 هو عمرو بن زكريا المعروف بابن بطال الأشبيلي(ت:549هـــ= 1154م) يكنى أبو الحكم، أخذ القـــراءات عن شريح، والعربية عن أبي الحسن الأخضر، ولي القضاء والخطبة، وحدث، توفي شـــهيداً، ومـــن آثـــاره، مناظر الخريف والشتاء، وصناعات الفؤاد(ينظر: ابن عبدالملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ج2، ص477 ؛ الباباني، هدية العارفين، ج1، ص426؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج8، ص9).

أديباً شاعراً راوياً للحديث، وقد سقط شهيداً في كائنة لبلة([121])، واستشهد الفقيه على بـــن محمـــد بن أحمد بن فيد الفارسي([122])، وكان محدثاً ثقة عدلاً، موصوفاً بالذكاء والفضل والتواضع، نزيه الهمة كريم القدر([123])، وفي العام الذي تلاه استشهد الفقيه على بن أحمد بن علي بن محمـــد بـــن أحمد بن يوسف([124])، في الكائنة على أهل بلنسية، وكان راوياً محـــدثاً، ونحويـــاً يميـــل إلـــى التصوف والقناعة موصوفاً بالفضل والصلاح([125])، وفي العام نفسه استشهد الفقيه إبـــراهيم بـــن محمد بن إبراهيم المغربي([126])، من سكان بلنسية، وكان عالماً صالحاً، واتخذ القرآن شعاراً ليلاً ونهاراً، لا يسأم، ولا يفتر مع الصلاح والذكاء وحسن الأداء، واستشهد بظاهر بلنسية([127]).

---

[120] ابن عبدالملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ج2، ص478؛ البغدادي، إيضاح المكنون، ج2، ص558؛ البابانى، هدية العارفين، ج1، ص426.

[121] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص55.

[122] علي بن محمد بن أحمد بن فيد الفارسي ثم القرطبي(ت:567هـــ=1171م)، كان من أهل العناية الكاملة بالرواية ثبتاً، عارفاً، موصوفاً بالذكاء، والحفظ، ومتواضعاً، خرج عن قرطبة في الفتنة، فنزل كورة ألش من أعمال مرسية، فولي خطابتها مدة، وكان الناس يقصدونه، واستشهد في خروجه من ألش مع عامة أهلها لما خافوا من الأمير سعد بن محمد، وكانوا قد خلعوا دعوته، قتل في هذه السنة وقد قارب الثمانين(ابن الأبـــار، التكملة،ج3، ص208؛ ابن عبدالملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ج1، ص278؛ الذهبي، تاريخ، ج39، ص290).

[123] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ج1، ص278.

[124] هو علي بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن يوسف(ت:568هـــ=1173م) من أهل مرباطر وســـكن بلنسية يكنى أبا الحسن ويعرف بابن مرطير، وكان أديباً نحوياً مائلاً إلى طريق التصوف مؤثراً للقناعة وهو أسن من أخيه أبي الحجاج الطيب، استشهد في الكائنة على أهل بلنسية.(ينظر: ابن الأبـــار، التكملـــة، ج3، ص209).

[125] ابن الأبار، التكملة، ج3، ص210.

[126] هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم المغربي(ت:568هـــ=1172م) من أهل بلنسية، وأصله من شـــنتمرية، اتخذ القرآن شعاراً ليلاً ونهاراً لا يسأم ولا يفتر مع الصلاح والذكاء وحسن الأداء، استشهد في وقيعـــة يـــوم الخميس، بظاهر بلنسية الغربي مستهل رجب (ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج1، ص130).

[127] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص130.

واستشهد المحدث الحافظ أبي زيد ابن عباد الأندلسي الليري([128])، في كائنــة لريــه([129]) عن سبعين سنة، عند كسب العدو لريه([130]).

مشاركة العلماء الشهداء في القتال ضد النصارى في عهد الموحدين(540-620هـ= 1145-1223م):

قامت دولة الموحدين على أساس دعوة إصلاحية، تهدف إلى تحقيق وحــدة إســلامية شاملة، وكان من الطبيعي لهذه القوة الموحدية الفتية أن ترنو أبصارها شمالاً عبر المضيق نحــو الأندلس، ولم يلق عبد المؤمن بن علي(ت:558هـ = 1163م) صعوبة في ضم الأجزاء الغربية و الوسطى من الأندلس، إذ سارع أمراء هذه المناطق بإعلان ولائهم وانضمامهم للموحدين، لــذا سمى أهلها بالسابقين الأولين، وصاروا مقدمين على غيــرهم بالتــشريعات الملكيــة بالعاصــمة مراكش([131]).

أما الإقليم الشرقي للأندلس، فقد عارض أمراؤه فكرة الوحدة مع المغــرب، وأعلنــوا استقلالهم بإماراتهم، ومثال ذلك مدينة المرية التي وقعت فريسة للأساطيل البحريــة النــصرانية، وتم احتلالها عنوة(545هـــ = 1150م)، ثــم تمكنــت جيــوش الموحــدين مــن اســتعادتها سنة(552هـ= 1157م)([132])، وكذلك الجزر الشرقية(البليار)، التي اســتقل بهــا محمــد بــن غانية([133])، لقد ظل بنو غانية شوكة في جنب الدولة الموحدية مدة طويلة، ولــم تخــضع هــذه الجزر لسلطان الموحدين إلا في سنة(599هـ=1198م) أيام الخليفة الناصر([134])، كذلك اســتقل

---

[128] **هو محمد بن يوسف بن عبد الله بن سعيد بن زيد(ت:575هـ=1179م) كان حجة ثبتاً معنياً بــصناعة الحديث مكثراً إلى الغاية، بصيراً بتراجم الرجال، وله تصانيف منها شرح المنتقي لابن الجارود، وشرح كتاب الشهاب، وكتاب الكفاية في مراتب الرواية والأربعين في الحشر، والأربعين في العبادات، واستشهد في كائنة لرية عن سبعين سنة(ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج2، ص89؛ الذهبي، سير، ج21، ص181).**

[129] **لرية: عمل بلنسية، كانت فيها كائنة على المسلمين عام(575هـ=1179م)، استشهد فيها أبي زيد بــن عباد الأندلسي اللريي(ينظر: الذهبي، سير، ج21، ص181).**

[130] **الذهبي، سير، ج1، ص181؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، ج1، ص100.**

[131] **الناصري، الاستقصا، ج2، ص104.**

[132] **الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ج1، ص67.**

[133] **لما اضطرب أمر قرطبة أتى محمد بن غانية دانية فعبر منها إلى جزيرة ميورقة في حشمه وأهــل بيتــه فملكها والجزيرتين حولها ميورقة ويابسة(ينظر: المراكشي، المعجب،ج1، ص268).**

[134] **ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص141، الحميري، الروض المعطار، ج1، ص568؛ الزركلي، الأعلام، ج4، ص72.**

بولايتي بلنسية ومرسية في شرق الأندلس الأمير محمد بن سعد بن مردنيش([135])، الذي كانت له صلات مودة مع النصارى، وعندما حدث الصدام مع الموحدين في معركة فحص الجلاب التـي كانت فيها نهايته([136]).

لعب ابن غانيه([137]) دوراً مهماً في الجزائر الشرقية(البليار)، حيث تولاها مستقلاً بعـد وفاة أبيه(546هـ=1151م)، وانتظم له الأمر فجرى على طريقة الملوك، وأنشأ جيشاً واسطولاً؛ لغزو الروم، وكان يغزوهم مرتان في العام يغنم ويسبي، فجمع مالاً كثيراً، فقـوى بـذلك أمـره وتشبه بالملوك، وبالغ في مجاملة الموحدين من بني عبد المؤمن، فكان يهاديهم ببعض ما يغنم ؛ ليشغلهم عنه وهم يدعونه إلى الدخول في طاعتهم والدعاء لهم على المنابر، ويعدهم ولا يفعـل، حتى خرج إلى بلاد الروم غازياً عام(579هـ= 1183م) فاستشهد هناك، وقيل أنه طعن طعنـة في حلقه لم يمت فيها مكانه، و إنما جيء به حياً حتى أدخل قصره فمات([138]).

وشهد عهد الموحدين العديد من المعارك، التي سقط فيها العديد من العلماء الذين انـضموا إلـى قوافل الشهداء أبرزها:

معركة شنترين([139]):

اتجه أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف(ت:580هـ =1184م) بجيشه نحو مدينة شنترين، وهي أهم المدن النى تقع في غرب الأندلس، وكانت قد سقطت بيد البرتغاليين سنة(542هـ= 1147م)، فجرت معارك عنيفة بين الموحدين وحاميتها، وقدموا خسائر كثيرة وشـهداء، ولكـن دفاع البرتغاليين منعهم من تحقيق هدفهم، واستمر القتال أياماً دون أن يستطيع الموحدون إنهـاء

---

135 هو محمد بن سعد بن مردنيش(ت:567هـ= 1171م)، صاحب البلاد بـشرق الأنـدلس وهـي مرسـية وبلنسية، وأوصى أولاده أن يقصدوا بعد موته أبا يعقوب، وتميز بالـشجاعة والإقـدام بمرسـية ونواحيهـا واستعان بالفرنج على حرب الموحدين واستفحل أمره، ولما أحس بالموت حين سقته أمه السم، فـأمر أولاده أن يسلموا البلاد لأبي يعقوب بن عبد المؤمن(ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص37؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص75؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص479).

136 ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص260؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص271؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص296.

137 هو اسحاق بن محمد بن علي بن يوسف المسوفي(ت:579هـ= 1183م) المعروف كأسلافه بابن غانية وهي جدته لأبيه، صاحب الجزائر الشرقية بالأندلس، تولاها مستقلاً بعد وفاة أبيه سنة(546هـ=1151م)، وأنشأ جيشاً، وأسطولاً لغزو الروم، ودفع غزاتهم، وكان له في كل سنة رحلتان إلى ديارهم(ينظر: الزركلـي، الأعلام، ج1، ص296).

138 المراكشي، المعجب، ج1، ص269؛ الزر كلي، الإعلام، ج1، ص296.

139 مدينة متصلة الأعمال بأعمال باجة، وعلى نهر تاجة قريب من انصبابه البحر المحيط، وهي في غربـي قرطبة خمسة عشر يوماً وبينها وبين باجة أربعة أيام(ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص367).

المعركة لصالحهم([140])، وفي وقت ما أثناء الحصار نجد غير الخليفة يصدر أمراً برفع الحصار والانتقال إلى مدينة أخرى، وانسحب معظم الجيش ليلاً بالصياح والهرج، وعلا الــصياح حــول المدينة، وابتعدوا عنها متجهين نحو الداخل، وابن عبد المؤمن لا يدري من ذلك شيئاً، فلما أصبح الصباح وجدت حامية شنترين من النصارى الخليفة أبي يعقوب وحوله قلة من جيش المــسلمين، فهجمت عليه هجمة شرسة، واستطاعت أن تصل إلى مقره وتجرحه جرحاً بليغــاً، وبعــد مــدة وجيزة توفي متأثراً بجراحة في شهر(ربيع الأخر580هـــ= يوليو 1184م)([141])، واستشهد أبــو يعقوب يوسف في معركة شنترين، وكان رحمه الله فاضلاً عــدلاً، مــستظهراً للقــرآن، عالمــاً بالحديث، وكان أعرف الناس كيف تكلمت العرب، وأحفظهم بأيامهــا ومآثرهــا، وكــان يحــب العمران ومشاريعه، وكان أجل شيء عرف به هو حبه للجهاد، وقد مات في طريقه([142])، وأنشد قبل موته بأشهر هذا البيت ورردده:

طوى الجَديدانِ ما قد كنْتُ أنْشُرُهُ وأنكرتني ذواتُ الأعينِ النُّجُلِ([143])([144]).

ومممن شارك في حصار شنترين، ونال شرف الشهادة أبو الحسن المالقي([145])، وكــان من أهل العلم والفضل ومن المقربين في مجلس يوسف بن عبد المؤمن، " فلما رآه الناس قوض خباءه، قوضوا أخبيتهم أيضاً ثقة به لمكانته من الدولة ومعرفته بأسرارها، فعبر تلك الليلة أكثــر العسكر على النهر؛ خشية الزحام وطلباً لجيد المنزل "([146])، فلما حدث ما حدث للأمير يوســف من طعن، توفي على أثره، هرب المالقي من الخليفة الموحدي، ولجأ إلى ابن الريــق، ثــم دس كتاباً إلى الموحدين يدلهم على عورات الروم، فكشف أمره، وعوقب بالموت حرقاً، وعــد ممــن استشهد في المعركة سنة(580هـــ=1184م)([147]).

---

[140] ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج7، ص131.

[141] الأيوبي، مضمار الحقائق، ج1، ص201؛ الذهبي، سير،ج21،ص102؛ ابن الخطيب، أعمــال الأعــلام، ص269.

[142] المراكشي، المعجب، ج1، ص261؛ الناصري، الاستقصا، ج2، ص156.

[143] النجل: يعني سعة شق العين مع حسن(ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص271).

[144] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7،ص 136؛ الناصري، الاستقصا،ج2،ص156.

[145] هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب المالقي(ت:580هــ=1184م)، وكان من أهــل العلم والفضل.(ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص136).

[146] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص136.

[147] المصدر نفسه، ج7، ص136؛ الذهبي، سير، ج21، ص102.

وهكذا يبدو واضحاً أن أبا الحسن المالقي رغم خوفه على حياته، ولجوئه إلى بلاد العدو، فلم ينس حق دينه وأهله وبلده، عندما اطلع على عورات العدو، فكان عقابه أشد من الوقوع في يد الخليفة، وهذا يدل على إخلاص العلماء وتضحيتهم بأعز ما يملكون.

معركة الأرك([148]):

تحرك المنصور أبو يوسف يعقوب(ت:595هـ= 1198م) من رباط الفتح نحو الأندلس، بعد أن اكتملت استعداداته لغزوته الكبرى، فعبر إلى الأندلس بحشود ضخمة، وأخذت القوات الأخرى تتوافد إلى أشبيلية، وعندما علم الفونسو الثامن ملك قشتالة بذلك أسرع، فاستنفر كل ملوك أسبانيا النصرانية، واستصرخ البابوية، فوافته حشود كبيرة، وتقدمت هذه الحشود فأخذت مكانها في سهل فسيح حول حصن يسمى الأرك، ودارت رحى المعركة في(9شعبان 591هـ= 18 يوليو1194م)، وانجلت عن انتصار ساحق للمسلمين، وأفلت الفونسو الثامن بعدد قليل من فرسانه، ولاذ بالفرار نحو طليطلة([149])، ومما يؤثر للمنصور في هذه المعركة، أنه عندما أرسل إليه الفونسو يستخف به ويتحداه، مزق الكتاب، وكتب على ظهر قطعة منه " **ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ** "([150])، ثم كتب الجواب ما ترى، لا ما تسمع فهو أول من تكلم به وأنشد:

ولا كتب إلا المشرقيةِ والقنى ولا رسلٍ إلا الخميسِ العرمرمِ([151])

ويبدو أنه كان لهذه المعركة أثر بعيد في نفوس المسلمين، يشبه أثر معركة الزلاقة، ذلك أنه ثبتت حدود الإسلام في الأندلس، على خط الوادي لمدة قرن كامل من الزمان على الأقل([152])، "بل إن ذكر الأرك أربى على الزلاقة، وإن كان كلاهما مما اعتز به الإسلام وعلت كلمته، ولكن الزلاقة كانت مقسومة الثقل مكدرة الصفو، وجاءت هذه الوقعة هنيئة الموقع عامة المسرة"([153]).

---

[148] وقعت هذه المعركة بالقرب من حصن الأرك عام(591هـ=1194م)، وهو حصن منيع في مدينة رباح(ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص27).

[149] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص269؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص443؛ الناصري، الاستقصا، ج2، ص185-189.

[150] سورة النمل، الآية37.

[151] ابن بسام، الذخيرة، ج1، ص477؛ الذهبي، سير، ج4، ص322؛ المقري، نفح الطيب، ج3، ص102؛ الناصري، الاستقصا، ج2، ص187.

[152] مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص439.

[153] ابن عذاري، البيان المغرب، ص196؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص382.

واستشهد في معركة الأرك من علماء المسلمين الشيخ أبي يحيى بن أبي محمد بن أبي حفص([154])، الذي أعطاه المنصور القيادة العامة للجيش، فحين اكتمل الحشد خاطب الجند محرضاً "يقول لكم أمير المؤمنين: اغفروا له، فإن هذا موضع غفران، وتغافروا فيما بينكم، وطيبوا نفوسكم، وأخلصوا لله نياتكم، فبكي الناس وأعظموا ما سمعوه"([155])، فعبأ الشيخ أبو يحيى عساكره تعبئة الحرب وعقد الرايات لأمراء القبائل، وأوقف كل قبيلة في مركزها الذي عين له، فجعل عسكر الأندلس في الميمنة، وجعل زناته والمصامدة والعرب وسائر قبائل المغرب في الميسرة، وجعل المتطوعة في المقدمة، وبقي هو في القلب في قبيلة هنتاته([156])، وعندما بدأت الحرب بين جيش المنصور وجيش الفونس، دفعت كتيبة عظيمة أعدها الفونس، حتى إذا خالطت صفوف المسلمين خلص البعض منها إلى الشيخ أبي يحيى يظنونه المنصور، فاستشهد رحمه الله بعد ما أحسن البلاء وقاتل قتالاً شديداً، واستشهد معه جماعة من المسلمين، وسمي بنو الشيخ أبي يحيى ببني الشهيد وعرفوا به([157]).

وممن نال شرف الشهادة في وقعة الأرك، الفقيه محمد بن أحمد بن عبد الله بن مخلوف السكسكي([158]).

معركة العقاب([159]):

كان الفونسو الثامن ملك قشتالة قد عزم على الأخذ بثأر هزيمة الأرك، وأتت أعداد كثيرة من بقية أوربا، ونزلت جموع النصارى من طليطلة حتى وصلت قلعة رباح، فحاصرتها، ثم استسلمت حاميتها القليلة، بعد أن أخذت الأمان على نفسها([160])، ثم اتجهت جيوش التحالف النصراني نحو الجنوب، فأشرفت طلائعها على المرتفعات المطلة على السهل القريب عن حصن العقاب، وخرج الناصر في جيوشه من إشبيلية، واشتبك الفريقان بقتال عنيف وسقطت عشرات

---

[154] هو أبي يحيى بن أبي حفص(ت:609هـ=1212م) كبير وزراء أمير المؤمنين أبو يوسف المنصور، امتاز بالفطنة وصفاء الذهن والشجاعة في كثير من الحروب، وقع اختيار المنصور عليه ليكون قائداً لمعركة الأرك، واستشهد أبو يحيى في عدة آلاف من المسلمين وكان النصر حليفاً لهم(ينظر: الناصري، الاستقصا، ج2، ص188).

[155] ابن عذاري، البيان المغرب، ص194.

[156] الناصري، الاستقصا، ج2، ص189.

[157] ابن خلدون، تاريخ، ج6، ص245؛ الناصري، الاستقصا، ج2، ص190.

[158] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص71.

[159] العقاب جبل مطل على خارج غرناطة بينهما نحو ثمانية أميال، وهو مجاور لمدينة البيرة، وكانت فيها وقعة العقاب (609هـ=1212م)عام التي دارت فيها الدائرة على المسلمين(ينظر: ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج2، ص769).

[160] الحميري، الروض المعطار، ج1، ص344؛ الذهبي، سير، ج22، ص339.

الألوف من القتلى، وانتهى اللقاء بهزيمة المسلمين، والذين كثر فيهم القتـل، وكانـت الخـسارة عظيمة، وتمزق الجيش الموحدي إلى كل الجهات والعدو يطارده حتى دخل الليل([161])، فكانـت هذه المعركة من أشنع الهزائم التي حلت بالمسلمين في الأندلس، خسروا فيها الكثير، وما خسروه بعد المعركة كان أكبر([162]).

لكن يبدو أن هذه الخسارة والهزيمة النكراء على المسلمين شاركت فيها عوامل عدة منها:

1- سوء تنظيم الإدارة العسكرية لهذا العدد الكبير.
2- عدم وجود قادة أكفاء، يقدرون الموقف حق التقدير.
3- سوء التموين، وقلة الموارد؛ لبعد القوات عن قاعدتها.
4- وجود نفور حصل بين أهل الأندلس والموحدين؛ لتصرفات طائشة عندما قتل الناصـر القائد الأندلسي أبو الحجاج يوسف بن قادس([163]) .
5- اغترار الناصر بكثرة عدد قواته([164]).

ومن هنا كانت العقاب بداية النهاية، بداية أفول شمس الإسلام في الأندلس([165])، حيث كانت السبب في هلاك الأندلس، وأول وهن دخل على الموحدين([166])، وفي ذلك يقول الـشاعر أبي اسحاق إبراهيم بن الدباغ الاشبيلي في هزيمة العقاب:

وقائلـةً أراكَ تطيلُ فكـراَ كأنَكَ قدْ وقـفتَ لدى الحسـابِ
فقلتُ لهـا أفكرُ فيْ عـقابٍ غذا سـبباً لمعـركـةِ العقـابِ
فَما في أرضِ أندلسٍ مقـامٌ وقدْ دَخَلَ البلا منْ كلّ بابِ([167]).

وقتل فيها عدد وافر من الأعيان وأكابر العلماء، وممن استشهد فيها:

أبو عمر أحمد بن هارون بن عات النفري من أهل شاطبة، "وكان أحد الحفاظ للحـديث، يـسرد المتون والأسانيد ظاهراً، لا يخل بحفظ شيء فيها، موصوفاً بالدراية والرواية، غالباً عليه الورع

---

[161] الحميري، الروض المعطار، ج1، ص416.

[162] المقري، نفح الطيب، ج4، ص383.

[163] هو أبو الحجاج يوسف بن قادس من قواد الأندلس وزعمائها، وكان قد ترتب في حـصن قلعـة ربـاح لحمايته وضبطه فحاصره وضيق عليه، فصالحه على النزول، وسار ابن قادس إلى الناصر ليجتمع به ويعلمه بالأمر على وجهه فأمر بقتله، فحقدت جيوش الأندلس على ابن جامع، وفسدت نياتهم على الناصر(ينظر: ابن خلدون، تاريخ،ج6، ص335؛ الناصري، الاستقصا، ج2، ص222.

[164] المقري، نفح الطيب، ج4، ص383.

[165] المصدر نفسه، ج1، ص446.

[166] الحميري، الروض المعطار، ص416.

[167] المقري، نفح الطيب، ج4، ص464.

والزهد، على منهاج السلف، يأكل الجشب ويلبس الخشن، وربما أذن في المساجد، ولـــه تـــأليف دالة على سعة حفظه، مع النظم والنثر([168])، وشهد وقيعة العقاب، التـــي أفــضت إلـــى خـــراب الأندلس بالدائرة على المسلمين فيها، وكانت السبب الأقوى في تحيف الروم بلادها، حتـــى فقــد حينئذ، لم يوجد حياً ولا ميتاً، وذلك يوم الاثنين منتصف صفر(609هـ=1212 م)"([169])، ومنهم أبو جعفر الحصار المقرئ ببلسنية، استشهد في الكائنة العظمى على المسلمين بالعقـــاب، هـــو وجماعة من المسلمين، وقد قارب الثمانين([170])، ومنهم القاضي الفقيه أبو إبراهيم إســـحاق بـــن يعمر المجابري من سكان فاس، الذي تولى قضاء سبتة ثم بلنسية، فقد في كائنـــة العقـــاب([171])، واستشهد في العقاب الفقيه أبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري من أهل سبتة، الذي استوسع في الرواية وكان معروفاً بالزهد([172])، ومنهم أبو محمد تاشفين بن محمد المكتب مـــن أهـــل فـــاس "وكان زاهداً معلماً بالقرآن، له حظ من قرض الشعر، ودخل الأندلس غازياً، وقدم قرطبـــة فـــي ذي الحجة سنة(608هـ=1211 م)، فأقام هناك أياماً، يتكرر على قبور الصالحين، ثم خرج إلى غزوة العقاب واستشهد فيها([173])، كما استشهد في العقاب أبـــو عبـــد الله محمـــد بـــن إبـــراهيم الحضرمي، من أهل اليسانة([174])، ولي قضاء بلدته مدة طويلة، مـــضافاً إلـــى ذلـــك الـــصلاة والخطبة بجامعة، وله تأليف في رجال الموطأ([175])، وكان منهم محمد بن حسن بن محمـــد بـــن عبد الله بن خلف الأنصاري(أبو عبد الله بن الحاج الأنصاري)، ويعرف بابن صاحب الـــصلاة، كان أحد أقطاب علم الحديث والقراءات في عصره، متقناً ضابطاً نبيل الخط والتقييد، صنف فـــي الحديث، واستمرت حاله على نشر العلم، وبثه إلى أن أكرمه الله بالشهادة فـــي وقعـــة العقـــاب، وذكر عنه من الثبوت ذلك اليوم، والحض على حصول الشهادة والرغبة فيهـــا، مـــا دل علـــى

---

[168] المقري، نفح الطيب ، ج1، ص601.

[169] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص90؛ الذهبي، سير، ج22، ص13؛ اليـــافعي، مـــرآة الجنـــان، ج4، ص18؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، ج1، ص491؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص602؛ ابن العماد، شذرات، ج5، ص37.

[170] الذهبي، العبر، ج5، ص30؛ الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج2، ص77؛ ابن العماد، شذرات، ج5، ص36.

[171] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص162.

[172] المصدر نفسه، ج1، ص167.

[173] المصدر نفسه ، ج1، ص190.

[174] اليسانة بلد قريب من قرطبة وكانت أولاً لليهود، وعندما نقم المنصور على ابن رشد أمره أن يقيم بهـــا ولا يخرج عنها، وذلك بسبب اشتغاله بالحكمة، ومن اليسانة إلى مدينة قرطبة أربعون ميلاً(ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص571).

[175] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج43، ص343؛ ابن الأبار،التكملة، ج2، ص100.

إخلاصه وصدق من يقينه([176])، كما استشهد في العقاب القاضي محمد ابـــن إبـــراهيم القرطبـــي الذي كان محدثاً خطيباً مفوهاً، أصبح قبلة أنظار طلاب العلم للأخذ عنه، له تأليف فـــي رجـــال الموطأ، وله مشاركه واسعة في اللغة والأدب([177])، وضمن قائمة العلماء الشهداء فـــي معركـــة العقاب محمد بن حماد العجلاني، أصابه سهم فقتله، وذلك يوم الاثنين منتصف صـــفر، الثـــامن عشر من يونيو سنة(609هـ=1212 م)([178])، ومطرف بن مطرف الذي سقط شهيداً فـــي هـــذه المعركة([179]).

ويبدو واضحاً أن سقوط هذا العدد من العلماء في واقعة العقاب، يدل على حرص العلمـــاء على الدفاع عن حياض الأمة، والحرص على نيل الشهادة، وهذا هو ديـــدن العلمـــاء المـــسلمين وفقهائهم وقضاتهم، الذين كانوا كهفاً وملجأ للناس وقت الشدة، وكـــانوا القـــادة فـــي الأحـــداث والملمات وفي المخاطر، تجدهم في المقدمة، علمهم الإسلام أن العلم قبل كل شيء خلق وعمل.

وقعة قصر أبو دانس([180]):

عقد أبو يعقوب يوسف المستنصر بالله([181]) معاهدة سلم مع قشتالة، لكن الأندلس خسرت بهذه المدة بعض القواعد منها: قصر أبو دانس بيد ملك البرتغـــال الفـــونس الثالـــث، بمـــساعدة أسطول الصليبيين الألمان، بعد مقاومة وقتال مرير أبداه حصن قصر أبي دانس، ولما لـــم يكـــن هناك أمل باستمرار دفاع المدينة أمام ضغط الجيوش الكثيفة، عرض أهلها الاستـــسلام علـــى أن يسمح لهم بالخروج بأموالهم، فرفض النصارى، ووافقوا فقط أن يسمح لهم بالخروج أحياء، دون أن يحملوا شيئاً معهم، ودخل النصارى مدينة القصر، أو قصر أبي دانس، وقتلوا كل مـــن كـــان فيها، وبالضياع المجاورة من المسلمين([182]).

---

[176] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج43، ص344؛ ابن الأبار، التكملة،ج2، ص99.

[177] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص99.

[178] المصدر نفسه، ج2، ص163.

[179] ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص120.

[180] تقع منطقة قصر أبو دانس في إقليم أبو دانس غربي الأندلس، وفيه مـــن المـــدن يـــابورة و بطليـــوس وشريشة ومردة وقنطرة السيف وقورية، ويليه إقليم البلاط، وفي سنة(614هـ=1217م)، هـــزم المـــسلمون بقصر أبي دانس من الأندلس وهي من الهزائم الكبار التي تقرب من هزيمة العقاب(ينظر: الإدريسي، نزهـــة المشتاق، ج2، ص538؛ ابن الأبار، التكملة،ج2، ص108؛ الناصري، الاستقصا، ج2، ص227).

[181] أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب(ت:580هـ=1182م) صاحب المغـــرب كـــان حـــسن السيرة مجاهداً في سبيل الله تعالى، أغار الفنش ملك طليطلة على بلاد الأندلس، فخرج إليه يوسف في مائتي ألف فارس وثمانين ألفاً فنزل على بلاد الفنش، وطعن أبو يعقوب في جنبه فمات بعد يومين(ينظر: ابن العماد، شذرات، ج4، ص311).

[182] الحميري، الروض المعطار، ج1، ص343.

وممن استشهد من العلماء في هذه الوقيعة أبو بكر محمد بن عبد النور بن أحمد السبئي المقرئ من أهل أشبيلية، "وكان من أهل المعرفة والعناية بالرواية، كثير السماع، وتصدر ببلده لإقراء القرآن، وإسماع الحديث، وتميز بالفضل والصلاح والتواضع والزهد، واستشهد في وقيعة أبو دانس عام614هـ "([183])، ولم تكن دروسه العلمية المتواصلة تشغله عن واجب الجهاد، فقد كان كثير الغزو، وكان كثيراً ما يحضر الغزوات ويبلي فيها البلاء الحسن([184]).

سقوط جزيرة ميورقة([185]):

إن ما أصاب الأندلس أصاب الجزائر الشرقية التابعة لها، وسمي سقوط ميورقة(627هـ=1229م) الحادثة العظمى من قبل الروم على ميورقة، أو "الحادثة الشنعاء على أهل ميورقة"([186])، ويقول صاحب الروض المعطار عن هذه الكائنة: "إن الطاغية البرشلوني تحرك إلى ميورقة عازماً عليها، فنزل عليها أسطوله في(شوال 626هـ=أغسطس 1228م)، فأراها من القتال وشدة الحصار، وأنواع المحن، ما لم يجر مثله في زمان، وحكم عليها عنوة بعد طول الحصار والقتل والسبي، ثم أخذ واليها ابن يحيى فعذبه أشد عذاب حتى مات، واستولى الشرك على الجزيرة في عام(627هـ=1229م)"([187]).

وممن استشهد من العلماء في هذه الكائنة من أهل ميورقة: أبو مروان عبد الملك بن إبراهيم بن هارون العبدري الذي كان مقرئاً مجوداً ومشاركاً في العربية، تصدر لإقراء القرآن وتدريس النحو، وخطب بجامع بلده نحو عشرين سنة، واستشهد في تغلب الروم عليها في سنة(627هـ= 1229م)([188])، وكذلك أبو عبد الله محمد بن عبد الله البكري، وكان شاعراً بليغاً كاتباً متكلماً، حسن الصحبة، واستشهد بميورقة عند تغلب الروم وقيامهم في قصبتها على أهل البلد([189]).

---

183 الرعيني، شيوخ الرعيني، ص14.

184 الرعيني، شيوخ الرعيني، ص17؛ ابن عبدالملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ج2، ص413.

185 جزيرة في شرقي الأندلس بالقرب منها جزيرة يقال لها منورقة كانت قاعدة ملك مجاهد العامري وينتسب إلى ميورقة جماعة منهم يوسف بن عبد العزيز اللخمي الميورقي المالكي(ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص246).

186 ابن الأبار، التكملة، ج2، ص129.

187 ابن سعيد، المغرب، ج2، ص467،470؛ الحميري، الروض المعطار، ج1، ص 568.

188 ابن عبدالملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ج1، ص12.

189 المصدر نفسه، س5، ج1، ص327.

معركـــة أنيشـــة([190]):

اجتاحت الأندلس ظروف صعبة مع ضعف إمكانياتها، وأصدر البابا جريجوري التاســـع مرسومه، بإسباغ الصفة الصليبية على حروب إسقاط بلنسية التي بدأت عام(631هـــ =1233م) حتى سقوطها في عام(636هـــ= 1238م)([191]).

وقد وقعت خلال هذه الحروب معركة أنيشة([192])، حيث هاجم الملك الأرغواني حـــصن أنيشة وهدمه، وابتنى حصناً منيعاً مركزاً لعيونه وأعماله الحربية ضد بلنسية، ولمـــا أراد أبـــو جميل زيان انتزاع حصن أنيشة سار بقوة عسكرية، اشترك فيها كثير من علمـــاء بلنـــسية([193])، ومنهم كبيرعلماء الأندلس ومحدثيها، أبو الربيع سليمان بن سالم الكلاعي، الذي استشهد في هـــذه المعركة، وقد سبق الإشارة إليه في المبحث السابق، واستشهد في هذه الواقعة جماعة من علمـــاء بلنسية، وفضلائها وصلحائها، وفقد نحو سبعين من أهل الصف الأول بجامعها الأعظـــم، نفعهـــم الله بالشهادة"([194]).

وقد رثاهم ابن الأبار في قصيدة طويلة مبيناً مناقبهم، منها:

ألمّـــاً بـــأَشْـــلاءِ العـــُلـــى والـــمَكارمِ تُقَدَّ بـــأطـــرافِ الـــقـــنَا والصوارِمِ([195])

هُـــمُ القـــومُ راحوا للشهـــادةِ فاغْتَدوْا وما لـــهـــمُ فـــي فَـــوْزهـــمْ مِنْ مُقَـــاوِمِ

تَساقُوْا كوؤسَ الموتِ في حَوْمَةِ الوغي فمالَتْ بهـــم مَيْـــل الغصونِ النواعمِ([196]).

---

[190] أنيشة أو أنيجه: من أعمال بلنسية على بعد ثلاث فراسخ منها، لما تملك طاغية قشتالة مدينـــة قرطبـــة وظفر طاغية أرجون بالكثير من حصون بلنسية، بنى حصن أنيشة لحصار بلنـــسية، استـــشهد فـــي كائنـــة أنيشة(634هـــ=1236م) أبو الربيع الكلاعي(ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج4، ص103؛ ابن خلدون، تـــاريخ، ج6، ص385؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص473).

[191] عنان، عصر المرابطين والموحدين، ج2، ص439.

[192] الحميري، الروض المعطار، ص41؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص473.

[193] ابن الأبار، التكملة، ج4، ص103؛ الحميري، الروض المعطار، ج1، ص98.

[194] ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص249؛ ابن الأبار، تحفة القادم، ج1، ص139؛ ابن الأبار، التكملـــة، ج4، ص103؛ الرعيني، شيوخ الرعيني، ص66- 72؛ الذهبي، سير، ج22، ص17؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج4، ص141؛ النباهي، المرقبة العليا، ج1، ص119؛ الخزاعي، تخريج الـــدلالات الـــسمعية، ج1، ص37؛ ابـــن فرحون، الديباج،ج1، ص122؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص167؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص473؛ ابن العماد، شذرات، ج5، ص164.

[195] الصوارم: جمع صارم وهو السيف القاطع(ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص152).

[196] النباهي، المرقبة العليا، ج1، ص120؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص160 – 165.

نبهت معركة أنيشة المسلمين إلى صعوبة الموقف ودعت إلى ضرورة الاستعداد، ورسم الخطة واتخاذ الحيطة والأهبة، واستصراخ الإخوة في الأندلس والمغرب، وصمم سكان بلنسية على الدفاع حتى الرمق الأخير، فأرسل أميرها سفراءه إلى بعض المدن الأندلسية طالباً النجدة، فوجه الفقيه أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن خلف بن قاسم الأنصاري إلى مدينة مرسية؛ لاستمداد أهلها([197])، وأرسل أبو جميل كاتبه ووزيره الشهيد ابن الأبار، مع وفد بلنسية إلى إخوانه في العدوة المغربية يستنجدهم، فتوجه إلى الحفصين في تونس، وأميرهم أبو زكريا يحيى بن أبي حفص، يستصرخه لنجدة سريعة([198]).

لقد كانت معركة أنيشة أخر مقاومة حقيقية للمسلمين مع نهايات دولة الموحدين، حيث بدأت تتطور الأحداث من سيء لأسوأ، فسقطت بلنسية، ونال المسلمون كل أنواع الاضطهاد، وتقلبوا في فنون الأذى، تعدى الأحياء إلى الأموات في قبورهم فنبشت([199])، تلا ذلك سقوط عدد من المدن القريبة، مثل جزيرة شقر سنة(639هـ=1241م)([200])، ودانيه سنة (641هـ=1243م)([201])، وجيان سنة(643هـ=1245م)([202])، وشاطبه سنة (644هـ=1246م)([203])، ومرسية سنة(664هـ=1266م)([204])، وقد أسفرت هذه الأحداث عن استشهاد العديد من العلماء منهم: أبي جعفر أحمد بن محمد بن وهب البكري من أهل شاطبة، إذ

---

[197] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص145.

[198] المصدر نفسه، ج1، 215؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص590.

[199] ابن الأبار، التكملة، ج4، ص103؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ج2، ص152.

[200] شقر جزيرة في شرق الأندلس، وهي أنزه بلاد الله وأكثرها روضه وشجراً وماء، والأديب أبو عبد الله بن عائشة الأندلسي كثيراً ما يقيم بها وله في ذكرها شعراً:

ألا خلياني والصبا والقوافيا أرها فأحرش باكياً(ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص354).

[201] دانية: تقع على ساحل البحر المتوسط، وتقع شرق الأندلس وجنوب بلنسية، واستقل بها مجاهد العامري في عصر الطوائف واستولى عليها المرابطون عام(484هـ= 1092م).(ينظر: الحميري، الروض المعطار، ج1، ص231).

[202] جيان مدينة في سفح جبل عال، يحدها من الغرب قرطبة، ومن الشرق تدمير، ومن الشمال طليطلة، ومن الجنوب تتصل بإلبيرة، بينها وبين بياسة عشرون ميلاً وهي كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة اللحوم والعسل(ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص195؛ الحميري، الروض المعطار، ص183).

[203] شاطبة تقع شرقي الأندلس، واشتقاقها من الشطبة وهي السعفة الخضراء الرطبة، وتقع إلى الجنوب الغربي من مدينة بلنسية على الطريق إلى مرسية، وهي مدينة داخلية غير ساحلية وتمتاز عن غيرها من مدن شرق الأندلس بأنها تقع في سند جبل(ينظر:ياقوت، معجم البلدان،ج3، ص309).

[204] مرسية مدينة أندلسية تقع شرق الأندلس بنيت بأمر من الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام، وتقع على نهر كبير.(ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص107؛ الحميري، الروض المعطار، ص182).

خرج عند إجلاء الروم أهل بلده ونقض مهادنتهم ؛ فاستشهد في سنة(645هـ=1247م) إثر ذلك بأوريولة([205])، ودفن فيها([206])، واستشهد أبو جعفر أحمد بن أبي حجة بعد خروجه من قرطبة، وأسرته الروم في البحر وامتحن بالتعذيب، حتى سقط شهيداً سنة(643هـ=1245م)([207]).

ولحق بقوافل الشهداء العديد من العلماء في عهد الموحدين، في حوادث متفرقة منهم ابن القصير إذ ركب البحر لآداء الفريضة فاستشهد بمرسى تونس، على يد النصارى في آخر سنة(576هـ=1180م)([208])، ومنهم أبو بكرعتيق بن أحمد بن إسماعيل بن سلمون من أهل بلنسية، واستشهد في كائنة غربالة([209])، يوم الجمعة مستهل جمادى الأولى، الثالث عشر من يوليو سنة(580هـ =1184م)([210])، واستشهد عبد الله بن محمد بن وقاص اللمطي الميورقي خطيب ميورقة، ومفتيها في الحادثة الكائنة بقصر ميورقة عام(580هـ=1184م)([211])، واستشهد ابن خولة أبي جعفر السلمي الغرناطي القصري سنة(618هـ=1221م)، وكان شاعراً امتدح الملوك ونال الدنيا، وسمع الكثير من الحفاظ([212])، ومنهم أحمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد الأميبي استشهد في وقعة نيوط من أعمال مرسية، مقبلاً غير مدبر، يوم السبت الحادي عشر من رجب، الحادي والعشرين من يونيو سنة(622هـ=1225م)([213])، كما سقط محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الفريشي، عند استيلاء الفرنج على قرطبة سنة (633هـ=1235م)([214])، وكان الشيخ محمد بن أحمد التجيبي من أسرة علم وفضل، واستشهد وهو ساجد في مسجد قرطبة، عندما هاجمها الصليبيون فانتقلت أسرته إلى أشبيلية([215])،

---

[205] أوريوله: قصبة مدينة تدمير ولها شأن في المنعة وهي مدينة قديمة بساتينها متصلة ببساتين مرسية (ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص280).

[206] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص124؛ الحميري، الروض المعطار، ص100.

[207] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص128؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة؛ س5، ج2، ص585؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج47، ص155؛ الزركلي، الأعلام، ج1، ص219.

[208] ابن الأبار، التكملة، ج3، ص30؛ الزركلي، الأعلام، ج3، ص294.

[209] غرباله كائنة حدثت يوم الجمعة عام 580هـ في بلنسية استشهد فيها عتيق بن أحمد بن محمد بن سلمون(ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج3، ص30).

[210] ابن الأبار، التكملة، ج4، ص23.

[211] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص275؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج9، ص83.

[212] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج8، ص82.

[213] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص100.

[214] المقري، نفح الطيب، ج2، ص65.

[215] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص70؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج3، ص256؛ الطرسوسي، تحفة الترك فيما يجب أن يعمل، ج1، ص88.

واستشهد محمد بن إبراهيم بن يحيى بن محمد الأنصاري الخزرجي يوم الجمعة(29 ذي القعدة 642هـ=31 مارس 1244م)، قتله الروم عند تغلبهم على المركب الذي ركب فيه من ساحل قرطاجة([216]).

مشاركة العلماء الشهداء في القتال ضد النصارى في عهد مملكة غرناطة(535-897هـ= 1240-1492م):

تلى ضعف السلطة الموحدية في الأندلس ضياع العديد من قواعده، زيادة على عدم توفر القوة الكافية لمواجهة أسبانيا النصرانية المتنامية، التي كانت تتحد لتوجه سوية ضربة للأندلس، في ظل هذه الظروف الصعبة، استطاع ابن الأحمر ([217]) أن يكون قوة احتفظت ببعض المناطق في جنوب الأندلس، وأسس مملكة غرناطة، حيث عمرت رغم الصعوبات المتعددة في الداخل والخارج ما يزيد على قرنين ونصف، وعندما لاح لمسلمة الأندلس شبح الفناء اعتبروها ملاذاً، به يحتمون وإليه يلجأون، وكان من بينهم العلماء الإجلاء، ورجال الحرب والدفاع الأشداء، الذين هموا على الوقوف والاستعداد للتضحية([218]).

وشهد هذا العهد معارك عدة سقط فيها العديد من العلماء، الذين انضموا إلى قوافل الشهداء أبرزها: المعارك التي خاضتها مشيخة الغزاة([219]).

عقب انتصار المسلمين على النصارى في معركة الصخرة، استقر الاتفاق بين سلطان بني نصر وسلطان المرينيين، على أن تقام في أراضي غرناطة قوة دائمة من المقاتلين المرينيين للاشتراك في الجهاد([220])، وتولى رئاسة المشيخة عبد الله بن أبي العلاء حتى استشهد سنة (693هـ=1293م)([221])، فكانت بعد ذلك لأخيه أبي العلاء، الذي قاد معركة المرية سنة

---

216 ابن الأبار، التكملة، ج2، ص147.

217 هو محمد بن يوسف بن نصر(ت:671هـ=1272م) ويعرف بالشيخ، وكانت له وجاهة، لما فشل ريح بني عبد المؤمن تصدى لابن هود، وبويع له سنة(629هـ=1231م) وأطاعته جيان وشريش، واستظهر أمره بقرابته من بني نصر وبني اشقيلولة، ثم تغلب على غرناطة سنة(635هـ=1237م)(ينظر: ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص 218؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص441).

218 الحميري، الروض المعطار، ج1، ص23؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص115-119؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص447.

219 هي عبارة عن قوة دائمة من المقاتلين المرينين اتفق عليها سلطان غرناطة مع سلطان المرينين على أن تقام على أراضي غرناطة للإشتراك في الجهاد، على أن يجعلوا هذه المشيخة لواحد يكون من أ قارب بني مرين سلاطين المغرب، لأنهم أول من ولي الأندلس عند استيلاء بني عمهم على ملك المغرب(ينظر: المقري، نفح الطيب، ج1، ص452-453).

220 المقري، نفح الطيب، ج1، ص453.

221 ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص46؛ ابن خلدون، تاريخ، ج7، ص240.

(709هـ=1309)، ضد جنود أرجون، الذين أصيبوا بهزيمة منكرة، وغنم المسلمون الغنائم الكثيرة([222])، وعندما زحف الجيش القشتالي على غرناطة بجيش كبير، وسارت معه قوات إنجليزية ذات نزعة صليبية، حدثت معركة هائلة قرب مدينة غرناطة سنة(718هـ= 1318م)، وكان عدد الجيش الإسلامي حوالي ستة آلاف، لكنهم صفوة مختارة بقيادة شيخ الغزاة أبي سعيد عثمان ابن أبي العلاء، الذي أخلص وجنده النية لله مجاهدين مستشهدين([223]).

معركــة طريف([224]):

حدثت معركة بحرية في عام(740 هـ=1339م) انهزم فيها المسلمون، واشتركت فيها قوات من قشتالة وأرجون والبرتغال، وبارك البابا هذه الحملة، ودخلت جيوشهم مملكة غرناطة([225])، واستنجد سلطان بني الأحمر بالأخوة المرينيين، فعبر سلطانهم إلى الأندلس، ووقعت معركة بين الطرفين عام(741هـ= 1340م)، استعمل فيها المسلمون المدافع التي تقذف النيران([226])، لكن المسلمين خسروا المعركة، وعاث الأسبان فساداً في المعسكر الإسلامي وغنموا ما فيه، ووقعت هذه المعركة قرب طريف، ولذا عرفت بواقعة طريف([227])، وعلى أثرها عقد السلطان المريني أبو الحسن الصلح مع النصارى، ووضع قواعد لافتكاك الأسرى([228])، ويبدو أن هزيمة المسلمين يوم طريف ترجع لأسباب عدة منها([229]):

1- مساندة ملك البرتغال لملكي قشتالة وأرجون بنفسه، يزودهم بالمدد متى ظهر اختلالاً في صفوفهم.

2- خروج أهل البلد المحصور واشتراكهم في القتال ضد المسلمين.

وقد حضر هذه المعركة عدد من العلماء والأكابر والأعلام، واستشهد بعضهم، وممن استشهد: أبو محمد عبد الله بن سعيد السلماني، والد لسان الدين بن الخطيب([230])، ويضيف لسان الدين ابن الخطيب: "حدثني بالمسجد الجامع من غرناطة الفقيه أبو عبد الله ابن اللوشي قال: كبا

---

[222] **ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص75.**

[223] **ابن خلدون، تاريخ، ج7، ص263؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص، 453.**

[224] **تقع جزيرة طريف عند مخرج البحر المتوسط الشامي من البحر المحيط، وهو أول الزقاق من بر الأندلس، يقابل قصر مصمودة بإزاء سلا في الغرب الاقصى من البر المتصل بأفريقيا وديار مصر، والمسافة بين جزيرة طريف إلى قصر مصمودة حوالي عشرين ميلاً(ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص263).**

[225] **الناصري، الاستقصا، ج3، ص136.**

[226] **ابن العماد، شذرات، ج6، ص127.**

[227] **ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص174؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص452.**

[228] **المقري، نفح الطيب، ج5، ص413.**

[229] **ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص305.**

[230] **المقري، نفح الطيب، ج5، ص17؛ المقري، أزهار الرياض، ج1، ص187.**

بأخيك الطرف، وقد غشي العدو، وجنحت إلى إردافه، فانحدر إليه والدك، وصرفني، وقال أنا أولى به، فكان آخر العهد بهما"([231]).

ومما رثي به والد لسان الدين ما نصه:

خَطبٌ ألمَّ فأذهبَ الأخَ والأبا ... غمـاً لأنفٍ شَاءَ ذلكَ أو أبى
قَدَرٌ جَرى في الخلقِ لا يجدُ امرؤٌ ... عمّا به جَرَتِ المقادرُ مَهربا
إمّا جزعْتُ له فَعُذْرٌ بَيِّنٌ ... قَضتِ الدواهي أن تُحَلَّ له الحبا([232])
لا كانَ يومكِ يا طريفُ فطالما ... أطْلَعْتِ للآمالِ برقاً خُلّبَاً([233])
ورميتِ دينَ اللهِ منكِ بقادحٍ ... عمَّ البسيطَ مشّرقاً ومغرِّباً
والصبرُ أولى ما استكانَ له الفتى ... رغماً وحَقٌّ العَبْد أن يتأدبَّا([234])

ومن العلماء الشهداء في واقعة طريف، القاضي أبو عبد الله محمد بن يحيى الأشعري المالقي، الذي تميز بحسن الخلق وحبه للعلم والعلماء والشجاعة عند اللقاء([235])، وقد أشار على الأمير أن يكثر من قول "حسبنا الله ونعم الوكيل"، وقد كتف دابته التي كان عليها راكباً، وهو رابط الجأش مجتمع القوى "([236]) وأشار عليه بعض المنهزمين بالركوب فلم يقدر، وقال له: انصرف هذا يوم الفرح إشارة لقوله تعالى: "فرحين بما آتاهم الله من فضله"([237])، وذلك سنة(741هـ=1340م) رحمه الله تعالى([238]).

ومنهم أبو القاسم محمد بن جزي، و هو أحد أشياخ ابن الخطيب، حضر واقعة طريف واستشهد، وهو يحرض الناس ويشحذ بصائرهم ويثبتهم عام(741هـ=1340م) تقبل الله شهادته([239])، ومن شعره محدثاً نفسه بالشهادة:

من َبعْد ما لاح المشيبُ بمفرقي ... أميلُ لزورٍ بالغرورِ يُصاغُ
وأرتاحُ للذّاتِ والشيبُ منذرٌ ... بما ليسَ عنه للأنام مراغُ([240])

---

[231] المقري، نفح الطيب، ج5، ص12.

[232] الحبا: العطاء بلا من ولا جزاء(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص162).

[233] برقاً خلبا: أي خداع كذاب لا مطر فيه(ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص77).

[234] المقري، نفح الطيب، ج5، ص12- 13.

[235] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص177.

[236] النباهي، المرقبة العليا، ص146- 147.

[237] سورة أل عمران، الآية171.

[238] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص177؛ المقري، نفح الطيب، ج5، ص387.

[239] ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ج1، ص46؛ المقري، نفح الطيب، ج5، ص514.

[240] مراغ: الموضع الذي يتمرغ فيه(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص450).

ومن لم يمتْ قبل المماتِ فإنّــه يُـــرَاغ بـــهَوْلٍ بـــعده ويراغُ([241])
فيا رَبّ وفقني إلى ما يكونُ لي به للذي أرجـــوكَ منه بـــلاغُ([242])

وكان أحمد بن علي بن خالد البلوي([243]) من أهل بلعة خطيباً متميزاً، ملتزماً للسنة، ولـــي القضاء ببلده، وشارك في معركة طريف فقضى شهيداً في الكائنة العظمى بظاهر طريف([244]).

وممن نال شرف الشهادة في واقعة طريف الفقيه ابن حفيد الأمين([245])، وكان من أهـــل العلم والدين، حريصاً على تدريس كتب الفقه، وانتفع به الناس وكان معظماً فـــيهم، متبركـــاً بـــه على سنن الصالحين من الزهد والانقباض، جلس للتدريس العام بالمسجد الجامع، واستشهد فـــي الكائنة العظمى بطريف([246]).

وممن لحق بقوافل الشهداء من العلماء في مملكة غرناطة، أبو بكـــر الغرنـــاطي ([247])، الذي استشهد عندما أخرج إلى بجاية في البحر، فخرج علـــيهم الفـــرنج، ووقعـــت بينـــه وبـــين المسلمين حرب وحسن بلاؤه "وقال المخبر: عهدي به وقد سل سيفاً، وهو يضرب بالعدو ويقول: اللهم اكتبها لي شهادة"، حتى استشهد وأسر ولده ومن معه ثم خلصوا، وعاش ولده إلى أن مـــات في(رجب 762هـــ=مايو1360م)([248])، واستشهد عالم الفرائض أحمد بن أحمد بن خلـــف فـــي

---

[241] يراغ: أي مال إليه سراً(ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص111).

[242] المقري، نفح الطيب، ج5، ص516.

[243] هو القاضي أبو خالد البلوي الأندلسي(ت:741هـــ=1340م)، وهو خالد بن عيسى بن أحمد بن ابـــراهيم البلوي، وهو صاحب الرحلة المسماة "تاج المفرق في تحلية أهل المشرق"(ينظر: المقري، نفح الطيـــب، ج2، ص532).

[244] ابن حجر، الدرر، ج1، ص245، 246.

[245] هو محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني(ت:741هـــ =1340م)، من أهل مالقة يكنى أبا القاســـم ويعرف بابن حفيد الأمين من أهل العلم والدين المتين والدؤب على تدريس كتب الفقه، جلس للتدريس العـــام بالمسجد الجامع وأقرأ به الفقه والعربية والفرائض، له تقيد حسن في الفرائض وجزم في تفضيل التين علـــى التمر، فقد في الكائنة العظمى بطريف(ينظر:ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص367؛ ابن فرحون، الدبياج، ج1، ص200).

[246] ابن فرحون، الديباج، ج1، ص299، 300؛ ابن حجر، الدرر، ج5، ص75.

[247] هو محمد بن أحمد بن زيد بن أحمد بن زيد بن الحسن بن أيـــوب بـــن حامـــد بـــن زيـــد بـــن منجـــل الغافقي(ت:705هـــ=1302م)، يكنى أبا بكر من أهل غرناطة، وسكن وادي أش، وأصل هذا البيت من أشبيلية، كان عيناً من أعيان الأندلس، وصدراً من صدورها، نشأ عفاً متصادقاً عزوفاً نزيهاً أبياً كريم الخؤولة، طيـــب الطعمة، والأصالة، نبيه الصهر، استعمل في الوزارة ببلده، حسن الشيعة والاسترسال فـــي ذكـــر التـــواريخ، والأشعار الجاهلية، والأمثال والتمسك بأسباب الدين، وسحب أذيال الطهارة، وهجر الخبائث، وإيثار الجد(ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص189؛ ابن حجر، الدرر، ج1، ص451).

[248] ابن الخطيب، الإحاطة،ج1، ص190؛ ابن حجر، الدرر، ج5، ص45.

كائنة الصفتجة([249]) من ظاهر حصن الطودون([250])، واستشهد المحدث أحمد بن إبـراهيم بـن بصلة بن عبد الله إبراهيم الأنصاري بظاهر جبل الفتح عام(734هـ=1333م)([251])، واستشهد الفقيه المقرئ أبو الحسن الأنصاري الخزرجي، بظاهر غرناطة وقد قارب السبعين([252])، كما مكث الفقيه قاسم أخ الشريف أبو غرة([253]) في غرناطة مدة، وتزوج بنت الشريف أبي عبد الله بن إبراهيم الشهير بالمكي، ثم انتقل إلى جبل طارق فسكنه إلى أن استشهد بوادي كرة من نظر الجزيرة الخضراء، وخرق المعتاد في الشجاعة، وله فيها أخبار شهيرة عند الناس([254]).

وبادر عالم من علماء مدينة ألش، ويعرف باسم إبراهيم السانتو ومعه أربعمائة رجل لمساعدة أهل مالقة، واقتحموا جنود قشتالة المحاصرين، واستطاع مائتان منهم اقتحام الحصار ودخول المدينة، ولما أقدم النصارى على الهجوم، أقدم السانتو على حيلة، إذ سجد ومكث على سجوده حتى أسره المهاجمون، وجاءوا به إلى أميرهم، فقال له القائد القشتالي: اسألوه ما شأنه؟ فأجاب: أنه ولي من أولياء الله وعنده سر يريد أن يبوح به للملك، وهو يظن أن هذا القائد هو الملك، فلما قربوه هجم عليه بخنجر معه كان يخفيه، فقتله ثم هجم على زوجته وهو يظنها إيزابيلا، فهجم عليه الحراس فقتلوه، ثم رموا بجثته على المسلمين فدفنوه([255]).

ويبدو واضحاً أن ما قام به هذا العالم عملية استشهادية، استهدفت ملك النصارى وزوجته، ولكنها وإن أخطأتهم فقد أصابت أحد قوادهم، فلقي الله شهيداً.

وعندما استسلم أبو عبد الله الصغير، وسلم آخر حصن إسلامي في الأندلس، خرج أحد أهل العلم وهو الأمير موسى(ت897=1491م)، فطاف الحمراء، ثم غرناطة، و كان إذا لقي جماعة من فرسان قشتالة أوقفوه؛ ليعرفونه، فاحتدم القتال بينه وبينهم، فقتل معظمهم وحده،

---

[249] كائنة استشهد فيها أحمد بن أحمد بن خلف من ظاهر حصن الطودون من أعمال غرناطة في منتصف ذي القعدة سنة(730هـ=1329م)(ينظر: ابن حجر، الدرر، ج1، ص113).

[250] ابن حجر، الدرر، ج1، ص113.

[251] المصدر نفسه، ج2، ص102.

[252] ابن الأبار، المعجم، ج1، ص282؛ ابن الأبار، التكملة، ج3، ص110؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج36، ص510.

[253] هو أبو غرة بن سالم بن جماز بن شيحة الحسيني المدني، وكان قد غلب عليه في أول أمره العبادة، وتعلم العلم واشتهر بذلك، وخرج عن المدينة، واستوطن العراق، وسكن منها بالحلة فمات، وتولى نقابة الأشراف في العراق، فغلبت عليه الدنيا وترك العبادة والزهد وتصرف في الأموال تصرفاً قبيحاً(ينظر: ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج1، ص200).

[254] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج1، ص39.

[255] السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص460.

فأصيب بجرح، وأصيب حصانه، فوقف على رجليه يقاتل ثم على ركبتيه، ولم يرد أن يقع أسيراً في يد الأعداء حتى قتل شهيداً([256]).

---

[256] **المرجع نفسه، ص485.**

الفصل الثاني

دور العلماء الشهداء في ميدان العلم والدعوة .

المبحث الأول :

جهود العلماء الشهداء في الدعوة ونشر العلم .

المبحث الثاني :

الإنجازات العلمية للعلماء الشهداء .

المبحث الثالث :

رحلات العلماء الشهداء في طلب العلم .

المبحث الأول

جهود العلماء الشهداء في الدعوة ونشر العلم

اهتم مسلمو الأندلس بالعلم أيما اهتمام، وبلغ من تقديرهم للعلم والعلماء والفقهاء، أن صار مدلول كلمة فقيه عندهم مدلولاً عظيماً، حتى أنهم كانوا يطلقون على الأمير الذي يقدرونه اسم فقيه([1]).

وقد أصبح الاهتمام بالعلم في الأندلس سمة مميزة لهم حتى أن ابن خلدون لاحظ ذلك فوصفهم بأن لهم "من ذكاء العقول، وخفة الأجسام وقبول التعليم، ما لا يوجد لغيرهم"([2]).

ولقد كان لكل شيخ طريقته في التعليم التي تتناسب مع طلابه، حسب أعمارهم ومستوياتهم العلمية، كما كان لطبيعة العلاقة بين المعلم والطالب دور كبير في اختبار الطريقة والأسلوب المناسبين للتعليم،مما حدا بابن الخطيب أن يدلي بشهادة يشرح فيها طبيعة العلاقة بين المعلم والطالب، ويبين العديد من الطرق والأساليب التي استخدمت في التدريس ويصف المعلمين بالخلق الحسن والوقار، وبأنهم سادة المسلمين، والطلاب بحسن الطاعة والإنصات([3]).

وأشار السبكي إلى واجبات المدرس نحو تلاميذه، التي تميزت باللين في المعاملة، ومراعاة مستوياتهم وقدراتهم، والتدرج في إيصال المعلومة حتى يتحقق الهدف بقوله: "وحق عليه أن يحسن إلقاء الدرس، وتفهيمه للحاضرين، ثم إن كانوا مبتدئين فلا يلقي عليهم ما لا يناسبهم من المشكلات، بل يدربهم، ويأخذهم بالأهون إلى أن ينتهوا إلى درجة التحقيق، وإن كانوا منتهين فلا يلقي عليهم الواضحات، بل يدخل بهم في مشكلات الفقه، ويخوض بهم عبابه الزاخر"([4]).

وتنوعت طرق التحصيل العلمي ووسائله، عند علماء الأندلس تنوعاً كبيراً، جعلت من الأندلس قبلة لطلاب العلم، وتبنى العلماء الذين اصطفاهم الله شهداء الطرق والأساليب نفسها، التي استخدمها علماء المسلمين في نشر العلم والدعوة في ذلك العصر والتي أبرزها: الرواية، مجالسة العلماء، المناظرة، الإجازة العلمية، الإسماع، الإقراء، حلقات العلم، تعليم الخط.

---

[1] **المقري، نفح الطيب، ج1، ص221.**

[2] **ابن خلدون، المقدمة، ص88.**

[3] **ابن الأبار، التكملة، ج6، ص94.**

[4] **السبكي، معيد، ص105، 106.**

وفيما يلي توضيح يُظهر كيف مارس علماء الأندلس الشهداء هذه الطرق.

1 - الرواية:

كانت الرواية هي الطريقة الأكثر شيوعاً في نشر العلم من غيرها، وخاصة في العلوم الشرعية، وعلوم اللغة العربية، حيث اتبع العلماء الشهداء الطريقة التي تلقوا بها معارفهم، ألا وهي الطريقة الروائية المتبعة في تدريس الحديث والتي تُنقل مشافهةً، وتُسنِد الأقوالَ إلى قائلها، والفُتيا إلى الحاكم بها المجتهد في طريقة استنباطها، مما نتج عنها تحقيق ثمراتها الكبرى في معرفة صحيح الأحاديث، وتصحيح الأمهات الحديثية، وسواها من كتب الفقه والفتيا، والتآليف العلمية، واتصال سندها بمؤلفيه؛ ليصح النقل عنهم والإسناد إليهم، وقد أثنى عليها ابن خلدون ووصفها بالمفيدة([5]).

وحفلت المصادر الإسلامية بعدد كبير من العلماء الشهداء الذين أخذوا بالرواية، فمنهم من رووا عن آبائهم مباشرة، فقد روى الشهيد أبو الفضل الشنتمري جعفر بن محمد([6])، عن أبيه عن جده أبي الحجاج الأعلم([7]) جميع روايته وتواليفه، وروى عنه ابن خير([8])([9])، وروى الشهيد ابن القصير([10]) عن أبيه أبي الحسن وعمه أبي مروان وأبي الحسن الباذش([11])([12])، وروى الشهيد

---

[5] **ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص422.**

[6] **هو جعفر بن محمد بن يوسف بن سليمان بن عيسى(ت:546هـ=1151م) من أهل شنتمرية الغرب، وسكن أشبيلية، يكنى أبا الفضل، وولى قضاء لبلة وشنتمرية، وكان فقيهاً مشاوراً كاتباً شاعراً من بيت علم وأدب استشهد بشنتمرية ومولده سنة(478هـ= 1085م)(ينظر: ابن الأبار، التكملة،ج1، ص195).**

[7] **هو أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم(ت:476هـ=1038م)، من أهل شنتمرية، وقيل له الأعلم لأنه كان مشقوق الشفة العليا، رحل إلى قرطبة وأخذ العلم بها وكان عالماً باللغة والنحو حافظا للأشعار عالماً بمعانيها حريصاً على ضبطها واتقانها، وقد قصده الطلاب من البلاد لأخذ العلم عنه، وقد كف بصره في آخر أيامه (ينظر: ياقوت، معجم الأدباء، ج5، ص649؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص81؛ الذهبي، سير، ج18، ص555؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج29، ص90).**

[8] **هو أبو بكر بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني الأشبيلي(ت:575هـ=1179م)، الإمام الحافظ شيخ القراء، وأتقن القراءات على شريح بن محمد واختص به، تصدر بأشبيلية للإقراء والإسماع وأخذ الناس عنه كثيراً، وكان مقرئاً مجوداً ومحدثاً متقناً وأديباً نحوياً لغوياً واسع المعرفة رضياً مأموناً، مع الحظ الوافر من علم اللسان، وعندما توفي كانت جنازته مشهودة وعاش ثلاثة وسبعين سنة(ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج2، ص49؛ الذهبي، سير، ج21، ص 86؛ الذهبي، العبر، ج4، ص225؛ ابن العماد، شذرات، ج4، ص252).**

[9] **ابن الأبار، التكملة، ج1، ص196؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج29، ص90؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج37، ص238.**

[10]**هو عبد الرحمن بن أحمد محمد(ت:576هـ=1180م) ويعرف بابن القصير من أهل غرناطة، كان فقيهاً مشاوراً رفيع القدر جليلاً بارع الأدب عارفاً بالوثيقة، نقاداً لها، صاحب رواية ودراية، وولي القضاء، وكان وجيهاً في بلدة بصيراً بصناعة الحديث له حظ وافر من الأدب، واستقلال بعقد الشروط ومشاركة في =**

أحمد بن طلحة([13]) عن أبي بكر عم أبيه، وابن عمة أبيه أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، وكان فقيهاً جليلاً استُشهد سنة(539هـ=1144م)([14])، وروى الشهيد محمد بن إسماعيل بن محمد([15])، عن أبيه إسماعيل، وعن عبد الله بن الحسن السندي([16])، وكان من أهل الفقه والحديث، وحدث بالمدونة([17])، وروى عن الشهيد أبي عمر بن عياد الأندلسي الريي المقرئ(ت:575هـ=1179م)([18])ابنه محمد، وكان من أهل التواضع والخير والعلم([19]).

ورَوى آخرون عن مشاهير العلماء في الأندلس والمغرب والعالم الإسلامي، فذاك الشهيد أبوعلي الصدفي قد روى عنه ابن المرخى(ت:536هـ=1141م)([20])، وهو أحد العلماء

=علوم كثيرة، ركب البحر لأداء الفريضة واستشهد بمرسى تونس (ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج3، ص30؛ ابن فرحون، الديباج، ج1، ص152).

[11] هو علي بن أحمد بن خلف(ت:528هـ= 1133م) أبو الحسن بن الباذش الأنصاري الغرناطي النحوي، كان مقرئاً حاذقاً عارفاً باللغة محدثاً له معرفة بالأسماء وفيه دين وورع (ينظر: الوافي بالوفيات، ج20، ص93).

[12] ابن الأبار، التكملة، ج3، ص30.

[13] هو أحمد بن طلحة بن أبي بكر محمد بن أحمد بن طاهر من بني عطية المحاربي الغرناطي(ت:518هـ=1124م) يكنى أبو جعفر، روى من أبي بكر عم أبيه، وأبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية وابن العربي وابن الباذش ويونس بن محمد بن مغيث وغيرهم كثير، وكان معدوداً في الفقهاء، صدراً في الشورى والفتيا(ينظر: ابن فرحون، الديباج، ج1، ص45).

[14] ابن فرحون، الديباج، ج1، ص45،46.

[15] هو أبو بكر محمد بن إسماعيل بن محمد بن خلفون الأزدي الأندلسي(ت:636هـ=1238م) نزيل إشبيلية، كان بصيراً بصناعة الحديث، حافظاً للرجال متقناً، ألف كتاب المنتقى في الرجال، وكتاب المفهم في شيوخ البخاري ومسلم، وكتاب علوم الحديث، وولي القضاء في بعض النواحي(ينظر: الذهبي، سير، ج23، ص71).

[16] هو عبد الله بن الحسن المعروف بابن السندي(ت:535هـ=1140م) من أهل وشقة يكنى أبا محمد سمع بقرطبة، واستقضى في وشقة، وكان من أهل الفقه والحديث عظيم الوجاهة(ينظر: النباهي، المرقبة العليا،ج1، ص267).

[17] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص297.

[18] هو يوسف بن عبد الله بن سعيد بن أبي زيد بن عياد(ت:575هـ=1179م) كان حجة ثبتاً معنياً بصناعة الحديث، مكثراً إلى الغاية بصيراً بتراجم الرجال، شيخ القراء والمحدثين، وله تصانيف عدة، استشهد يوم العيد في كائنة لرية عن سبعين سنة(ينظر: الذهبي، سير، ج21، ص181؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، ج1، ص486).

[19] الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج4، ص107.

[20] هو أبو بكر محمد بن عبدالملك بن عبد العزيز بن محمد بن الحسين اللخمي الإشبيلي(ت:536هـ=1141م) الكاتب الجليل المعروف أحد رجال الكمال بالأندلس علماً وأدباً وشرفاً ومنصباً، روى عن أبي علي الصدفي حين لقيه بمرسية، واختص بأمير قرطبة أبي عبد الله بن الحاج داود اللمتوني،

المشهورين بالعلم والأدب والشرف والمنصب عندما لقيه بمرسية([21])، وروى عنه أبـو الحسن الأنصاري الخزرجي العبادى المقرئ المجود الغرناطي(539هـ=1144م)([22])، وروى عنه أحمد بن عبد العزيز بن عبد المولى([23])، وكان قد لقيه بالمرية([24])، وروى عنه محمد بن عيسى ابن بقي الغافقي من أهل مرسية، وحدث بالموطَأ([25])، و روى عنه القاضي عياض([26]) صحيح مسلم، وروى عنه ابن بشكوال([27]).

وروى الشهيد أبو الربيع الكلاعي عن عدد كبير من علماء عصره، أبرزهم أبي القاسم ابن حبيش، والشهيد أبو بكر بن الجد، والشهيد أبو علي الصدفي، وأبـي الطـاهر بـن عـوف الإسكندري([28])([29])، وروى عن صفوان بن إدريس التجيبي([30])([31])، أما تلاميـذه الـذين رووا

وجلس لتعليم الناس، وأقرأ الكتب الأديبة فانتفع به لمعرفته بفنون الأدب والنسب واتساعه في اللغـة وأيـام العرب(ينظر: ابن الأبار، المعجم، ج1، ص132).

[21] ابن الأبار، المعجم، ج1، ص133.

[22] المصدر نفسه، ص283؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج36، ص510.

[23] هو أحمد بن عبد العزيز بن عبد المولى(ت:488هـ=1090م) من بلنسية، أديـب ولـه شـعر، وعارفـاً بالأنساب صنف كتاب تذكرة الألباب بأصول الأنساب، أحرقه الكمبيطور عند دخوله بلنسية(ينظـر: الزركلـي، الأعلام، ج1، ص151؛ ابن حزم، طبقات النسابين، ج1، ص17؛ ابن الأبار، المعجم، ج1، ص10).

[24] ابن الأبار، المعجم، ج1، ص10.

[25] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص351.

[26] هو عياض بن موسى بن عياض(ت:544هـ=1149م) العلامة اليحصبي السبتي المالكي، ولي قضاء سبتة ثم قضاء غرناطة، أشهر تصانيفه مشارق الأنوار في غريب الصحيحين والموطأ، وله شعر حسن، كان إمـام وقته في عدة علوم، شديد الذكاء، شديد التعصب للسنة والتمسك بها(ينظـر: ابـن العمـاد، شـذرات، ج4، ص138).

[27] الذهبي، سير، ج19، ص377،376.

[28] هو صدر الدين إسماعيل بن مكي بن إسماعيل بن عيسى بن عوف(ت:580هـ =1184م) إمام عصره في الفقه على مذهب مالك،جمع بين الورع والزهد وكثرة العبادة والتواضع التام ونزاهة الـنفس، وبيتـه بثغـر الإسكندرية بيت كبير شهير بالعلم فيه جماعة من الفقهاء له تأليف سماه تذكرة التذكرة فـي أصـول الـدين (ينظر: ابن فرحون، الديباج، ج1، ص95).

[29] الذهبي، سير، ج21، ص121.

[30] هو صفوان بن إدريس بن إبراهيم التجيبي(ت:598هـ= 1201م) الكاتب من أهل مرسية يكنى أبا بحـر، كان من جلة الأدباء البلغاء ومهرة الكتاب الشعراء في النظم والنثر، وله رسائل بديعة وقصائد جليلـة جمـع كتاب سماه" عجالة المحفز وبداهة المستوفز " كما كان من أصحاب الفضل والـدين(ينظـر: ابـن الأبـار، التكملة،ج2، ص224؛ ابن سعيد، المغرب، ج2، ص26).

[31] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص224.

عنه فأشهرهم: الشهيد أبوعبد الله ابن الأبار، وابن المواق([32])، وابن الغماز([33])([34])، وروى عنه أبو عبد الله الأموي البلنسي المقرئ([35])([36])، وأبو رجال بن غلبون الكاتب([37])([38]).

وروى الشهيد أبو محمد الرشاطي عن أشهر علماء عصره أمثال: أبي علـــي الغــساني، وأبي الحسن بن البادش، وأبو علي بن سكره([39])، وروى عنه من تلاميذه أبو بكر بن خيــر([40])، وابن مضاء([41])، وأبو بكر بن جمرة([42])([43]).

---

[32] هو محمد بن أحمد الأنصاري (ت:750هـ=1350م) من أهل غرناطة يكنى أبا عبد الله ويعرف بالمواق كان معلماً لكتاب الله وخطيباً بمسجد الفخارين، توفى بغرناطة(ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص424).

[33] ابن الغماز هو أحمد بن محمد بن الحسن المعروف بابن الغماز الأنصاري الخزرجي(ت:693هـ= 1293م) من أهل بلنسية واستوطن بجاية، وولي قضاءها ثم قضاء تونس، كان موصوفاً بالعلم والفضائل والرئاســة، قاضي وفقيه، وله نظم حسن وبرنامج قيد فيه أسماء شيوخه(ابن فرحون، الــديباج، ج1، ص4؛ الزركلـــي، الأعلام، ج1، ص221).

[34] ابن فرحون، الديباج، ج1، ص4.

[35] هو محمد بن جعفر بن حميد بن مأمون(ت:576هـ= 1181م) البلنسي المقرئ، أخذ القراءات بإشــبيلية، برع في علم النحو وولي قضاء بلنسية ثم استوطن مرسية، وتوفى وله ثلاث وسبعون سنة(ينظر: الــذهبي، معرفة القراء الكبار، ج2، ص559).

[36] الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج2، ص559.

[37] هو أبو رجال بن غلبون الكاتب(ت:589هـ= 1193م) من أهل مرسية، كان أديباً بليغاً ينظم وينثر تأدب به أبو بحر صفوان بن إدريس، أخذ عنه أبو الربيع بن سالم وقال: أذن لي في التحديث عنه(ينظر: ابن الأبــار، التكملة، ج1، ص262).

[38] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص263.

[39] الذهبي، سير، ج20، ص359؛ ابن فرحون، الديباج، ج1، ص47.

[40] هو محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني الأشبيلي(ت:575هـ= 1179م) المقرئ الحــافظ صــاحب شريح، فاق الأقران في ضبط القراءات وسمع الكثير من الباجي، وبرع في الحديث والفقه واشتهر بالإتقــان وسعة المعرفة بالعربية(ينظر: الذهبي، العبر، ج4، ص255؛ ابن العماد، شذرات، ج4، ص252؛ ابن الأبار، التكملة، ج2، ص49).

[41] هو أحمد بن محمد بن سعيد اللخمي(ت:592هـ=1195م) له كتاب المشرق في العربية، ذو فنون شتى، وله أراء في العربية، وشذوذ عن مألوفها في النحو(ينظر: الفيروز أبادي، البلغة، ج1، ص56).

[42] هو محمد بن أحمد بن عبد الملك الأموي(ت:599هـ=1202م) عرض المدونة على والده وله منه إجازة وأفتى ستين سنة، وولي قضاء مرسية وشاطبة وله العديد مــن التــصانيف(ينظــر: الــذهبي، العبــر، ج4، ص309).

[43] الذهبي، سير، ج20، ص359.

ويبدو واضحاً من خلال دراسة سير وتراجم العلماء الشهداء، أن الرواية هـي الطريقـة الأهم في نشر العلم في ذلك العصر، ومما زاد مـن قـدرها وأهميتها مـن وجهـة نظـر الباحث ما يلي:

1- نقل الخبر بالتواتر.
2- نقل العلم من جيل إلى جيل، ومن الخلف إلى السلف، ونقل تراث الآباء والأجـداد إلـى الأبناء.
3- المحافظة على العلوم من الانقطاع والدس.
4- أن الطالب لا يستطيع أن يَروي عن مدرِّسه إلا بعد إجازته.

2- مصاحبة العلماء وحلقات العلم:

من الطرق التعليمية المشهورة عند العلماء الـشهداء فـي الأنـدلس مجالـسة العلمـاء وملازمتهم، أي مصاحبتهم والالتصاق بهم، في حِلهم وترحالهم؛ للتعلـيم والتأسـي بـأخلاقهم، والاستفادة من علومهم، ولربما استغرقت ملازمة الطلاب لبعض الشيوخ سنين طويلة، كملازمـة الشهيد أبي علي الصدفي لأبي بكر الشاشي([44]) خمس سنين، حتى علق عنه تعليقته الكبرى، فـي مسائل الخلاف([45])، كما صحب بمكة أهل الفضل من الأشياخ([46])، وكان من الذين لازمـوا أبـا علي الصدفي تلميذه محمد بن علي بن أحمد من أهل مرسية، وسمع منـه كثيـراً([47])، ولازمـه سلمة بن محمد بن سلمة الفهري([48])؛ لتقييد الحديث والتفقه في مسائل الرأي، وسماعه ثابت فـي بعض أصوله([49])، وجالسه ابن المناصف([50])وأجاز له([51]).

---

[44] **هو محمد بن المظفر بن بكر الحموي(ت:488هـ= 1095م) يكنى أبو بكر الشاشي، تفقه ببلده ثم حـج وقدم بغداد وتفقه بها، وسمع الحديث، ولزم مسجده خمساً وخمسين سنة يقرئ الناس ويفقههم، ولاه الخليفة المقتدي القضاء وكان من أنزه الناس(ينظر: ابن كثير، البداية والنهايـة، ج12، ص151؛ اليـافعي، مـرآة الجنان، ج3، ص138).**

[45] **الذهبي، سير، ج19، ص378.**

[46] **ابن الأبار، المعجم، ج1، ص134.**

[47] **ابن الأبار، التكملة، ج1، ص351.**

[48] **هو سلمة بن محمد بن سلمة الفهري(ت: 495هـ=1101م) يكنى أبو عبد الرحمن لازم أبا علي الصدفي، أخذ عنه الحديث والفقه ومسائل الرأي، واستوفى سماع المؤتلف والمختلف للدارقطني(ينظر: ابـن الأبـار، المعجم، ج1، ص308).**

[49] **ابن الأبار، المعجم، ج1، ص308.**

[50] **هو محمد بن أصبع بن محمد بن أصبغ الأزدي(ت:536هـ=1141م) يعرف بابن الناصف، قاضي الجماعة بقرطبة، وصاحب صلاة الفريضة في جامعها الأعظم، برع في القراءات، وجالس أبو علي بن سكرة وأجاز له (ينظر: ابن الأبار، المعجم، ج1، ص130).**

وسمع عبد الرحمن بن أحمد الأنصاري للشهيد أبي علـــي الـــصدفي ولازمـــه كثيـــراً، وصحبه طويلاً، واختص به، وقلما فاته مجلس من مجالسه طوال حياته، وســـمع منـــه صـــحيح البخاري وأجاز له([52])، ولازم محمد بن عيسى القاسم([53])، ويحيى بن محمد الأموي مجلس أبـــي على الصدفي أيضاً لسماع الحديث، ومسائل الرأي([54]).

وصحب الشهيد محمد بن حماد العجلاني من أهل فاس، قاضي الجماعـــة أبـــا عبـــد الله الحسيني([55])، واختص به وله، وكان من أهل العناية بسماع العلم وروايـــة الحـــديث، وحـــسن الصوت([56])، وصحب الشهيد أبو عبد الله بن الجالطي([57])، القاضي أبا عبد الله بـــن الحـــذاء([58]) في السماع أثناء رحلته إلى المشرق، وكان ممن عني بالعلم و شهر بـــالفهم([59])، ولازم الـــشهيد ابن سكر([60])، أبا بكر بن خير واختص به، وأتقن القراءات على يديه، وكان مقرئاً ماهراً حـــسن الأداء([61])، واخـــتص الـــشهيد أبـــو الوليـــد الأمـــوي اللبلـــي([62]) بـــأبي العبـــاس بـــن أبـــي

---

[51] ابن الأبار، المعجم، ج1، ص130.

[52] ابن الأبار، التكملة، ج3، ص27.

[53] هو محمد بن عيسى القاسم الصدفي(ت:529هـــ= 1134م) يكنى أبو عبد الله مـــن أهـــل طليطلـــة، لقـــي بمرسية أبا علي الصدفي، والتزم مجلسه للحديث ومسائل الرأي، وكان فقيهاً عارفاً بالوثائق، أديباً شـــاعراً، عمل قاضياً بمكناسة(ينظر: ابن الأبار، المعجم، ج1، ص116).

[54] ابن الأبار، التكملة، ج4، ص167.

[55] هو أحمد بن عمار بن أحمد بن عمار(ت:427هـــ=1132م) حكيم فاضل فصيح، وشـــاعر مجيـــد حـــسن المعاني قدم بغداد وأدركه أجله ببغداد(ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج7، ص168).

[56] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص163.

[57] محمد بن قاسم بن محمد بن محمد الفراء(ت:403هـــ=1012م)، كان ممن عنى بالعلم، وشهر بالفهم، وكان نظاراً معدوداً في الحداق، ولي بقرطبة الحكم بالشرطة، والصلاة والخطبة بالزهراء مدينة الـــسلطان، وقـــدم للشورى أيام المظفر، قتله البربر يوم دخولهم قرطبة؛ فبقي مطروحاً ثلاثة أيام إلى أن اصطلح الناس، فوري وفعل به ما يفعل بالشهداء (ينظر: عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص23).

[58] هو محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن عبد الله(ت:410هـــ=1019م)، يكنى أبو عبد الله الحذاء القرطبي المالكي، كان عارفاً بالحديث بارعاً في الآثر، وصنف كتاب التعريف بمن ذكر في الموطأ من الرجال والنساء، وكتاب الإنباه، والخطباء والخطب، والبشرى في تأويل الرؤيا، وولي قضاء بجاية ثم إشبيلية(ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج11، ص29؛ الذهبي، سير، ج17، ص444).

[59] عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص23.

[60] شعيب بن إسماعيل بن شعيب بن إسماعيل بن محمد الصدفي(ت:586هـــ=1190م) من أهل إشبيلية يكنى أبا زيد، كان مقرئاً ماهراً حسن الأداء معنياً بالتقيد والضبط موصوفاً بالحفظ والـــذكاء(ينظـــر: ابـــن الأبـــار، التكملة، ج4، ص137).

[61] ابن الأبار، التكملة، ج4، ص137.

مروان(ت:549هـ=1154م)(63) ولازمه(64)، وصحب الشهيد محمد بن إبراهيم الحضرمي(65) من أهل اليسانة، أبا محمد القرطبي وأخذ عنه وولي القضاء في موضعه(66).

ويُستدل من هذه الطريقة مدى حرص العلماء على تعليم أبناء الأمة، كما يبدو واضحاً حرص طلاب العلم على الاستفادة من علوم كبار العلماء وتوارثه عنهم، لذلك حُفظ العلم، وكَثُرَ مريدوه، وليس غريباً أن نرى مثل هذه الظاهرة في جزء من الدولة الإسلامية، ما دام العلماء ورثة الأنبياء، فقد لازم الجيل الأول من العلماء الرسول(ﷺ) في جميع أحواله.

كما اعتاد طلبة العلم الجلوس حول شيوخهم في حلقات، حيث يجلس الشيخ في صدر المجلس، ومن حوله الطلبة يتناقشون ويتناظرون ويتجادلون، ويقرؤون القرآن، ويتلقون العلوم، ويسمعون الحديث، ويتلقون عن معلميهم الروايات المختلفة، وقد تعددت حلقات العلم في المسجد الواحد، ومنها حلق القرآن، وحلق الحديث، وحلق الفقه، وحلقات للشعر والأدب، فقد كان الشهيد أبو عمر بن عات من أكابر المحدثين، الذين لهم باع طويل في حفظ الحديث والأدب، قال فيه أبو عمر عامر بن نذير: "لازمته مدة ستة أشهر، فلم أرَ أحفظ منه، وحضرت إسماع الموطأ وصحيح البخاري منه، فكان يقرأ من كل واحد من الكتابين نحو عشر أوراق عرضاً بلفظه كل يوم عقب صلاة الصبح، لا يتوقف في شيء من ذلك"(67)، وكان الشهيد محمد بن أبي الخيار العبدريمن أهل الحفظ والاستبحار في علم الرأي وقعد للتدريس، ونوظرعليه، قال أبو القاسم بن الحاج: "قرأت عليه المدونة تفقيهاً وعرضاً أعواماً"(68)، وتقدم الشهيد ابن جزي الكلبيخطيباً بالجامع الأعظم في غرناطة، ولم يزل قائماً بالتدريس والتعليم في حلقته إلى أن استشهد(69)،

---

62 هو سعد السعود بن أحمد بن هشام بن إدريس(ت:580هـ= 1184م) يكنى أبو الوليد الأموي الأندلسي اللبلي ويعرف بابن عفير، كان فقيهاً ظاهرياً محدثاً، نظاراً أديباً شاعراً (ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص114).

63 هو أحمد بن عبد الملك بن محمد الأنصاري الأشبيلي(ت:549هـ=1154م) يكنى ابن أبي مروان، كان حافظاً محدثاً فقيهاً ظاهرياً له كتاب المنتخب المنتقى في الحديث وعليه بنى عبد الحق أحكامه، استشهد في كائنة لبلة (ينظر: الذهبي، سير، ج2، ص249).

64 الذهبي، تاريخ الإسلام،ج41، ص298؛ الصفدي، الوافي بالوفيات،ج15، ص114.

65 هو محمد بن إبراهيم الحضرمي(ت:609هـ= 1212م) من أهل اليسانة عمل قرطبة يكنى أبا عبد الله، ولي قضاء موضعه مدة طويلة، له تأليف في رجال الموطأ سماه بالدرة الوسطى وكان يشارك في العربية واللغة استشهد في وقيعة العقاب(ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج2، ص100)

66 ابن الأبار، التكملة، ج2، ص100.

67 المقري، نفح الطيب، ج2، ص602.

68 ابن الأبار، التكملة، ج1، ص351.

69 ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ج1، ص46.

وأخذ الشهيد عتيق بن أحمد بن سلمون([70]) بحظ وافر من القراءات، والعربية، والأدب، وقعد في المسجد للتعليم([71]).

ويبدو واضحاً أن الحلق التعليمية كانت إحدى الأساليب التي استخدمها العلماء الشهداء في التعليم، حيث جالس التلاميذ شيوخهم وانتقلوا من حلقة إلى أخرى، وتتلمذ الواحد منهم على عدد كبير من الشيوخ، وشهدت هذه الحلق عدداً من الطرق منها الرواية، والإسماع والمناظرة؛ ليظهر لنا التكامل والتنوع بين هذه الطرق والأساليب، كما أن اختيار مكان الحلقة كان ضرورياً فقد يكون بيت الشيخ أو مسجده أو بستانه.

3- المناظرة:

كانت المناظرة من أرقى أدوات التعليم التي يمارسها كبار العلماء، نظراً لأهميتها في شحذ الذهن وتقوية الحجة، وانطلاق البيان؛ لذلك وجب على المدرس أن يدرب الطلاب على آداب المناظرة والمناقشة، التي كانت تتم بين الطلاب أنفسهم، أو بين المدرس والطالب، وكان الطالب يخالف أستاذه في الرأي أحياناً بطريقة ملؤها الأدب والاحترام([72]).

وقد أشار الزرنوجي([73]) إلى أهمية المناظرة في قوله: "ولا بد لطالب العلم من المذاكرة والمناظرة والمطارحة، فينبغي أن يكون كل منهما متصفاً بالإنصاف والتأني والتأمل، ويتحرز عن اللقب، فإن المناظرة والمذاكرة مشاورة؛ لاستخراج الصواب"([74]).

ومن أشهر من نوظر عنده أبو عبد الله الجالطي(ت:403هـ=1012م)، كان ممن عني بالعلم، واشتهر بالفهم، وكان نظاراً معدوداً في الحذاق([75])، وأجاد وأفاد الشهيد أبا الحسن القرشي الزهري([76])، عندما ناظر أبا مروان الباجي([77])([78]) في المدونة في حضور الطلاب

---

[70] هو عتيق بن أحمد بن سلمون(ت:580هـ = 1184م) يكنى أبو بكر البلنسي، النحوي، أخذ القراءات عن ابن هذيل والنحو عن أبي محمد بن عبدون، واستشهد في كائنة غربالة(ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج40، ص310).

[71] ابن الأبار، التكملة، ج4، ص23.

[72] ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص457.

[73] الزرنوجي: نسبة إلى زرنوج، وهي بلد مشهور بما وراء النهر من أعمال تركستان (ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص139).

[74] الزرنوجي، تعليم المتعلم، ص139.

[75] عياض، ترتيب المدارك،ج2، ص23.

[76] هو علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن يعيش، الزهري، العوفي، الباجي، كان فقيهاً مشاوراً محدثاً متقدماً بنفسه وبشرفه، وله تصنيف في مناسك الحج، توفي وله سبع وسبعون سنة(ينظر: الذهبي، سير،ج39، ص286).

والمدرسين، وكان الشهيد أبو الحسن بن أضحى([79]) يُناظر عليه؛ لمعرفته الكبيرة في أمور الفقه والأدب، وتميزه بعلو الهمة وسرعة البديهة وهو في حداثة سنه ([80])، وناظر الشهيد هشام بن إبراهيم التميمي([81]) في المسائل محمد بن محمد بن مغيث([82])، ويعيش بن محمد([83])([84])، وكان الشهيد ابن باجة من أجَلّ نُظّار زمانه، وأكثره لمن تقدم على إثبات شيء من خواطره([85]).

ويبدو أن العلماء الشهداء في الأندلس استخدموا طريقة المناظرة في التعليم لأسباب عدة حسب اعتقادي منها:

1- تقديم الرأي والرأي الآخر، بطريقة تهدف إلى الإقناع، عبر إيراد الحجج والأدلة.

---

[77] **هو محمد بن أحمد بن عبد الملك بن عبد العزيز اللخمي الباجي(ت:635هـ=1237م) من أهل أشبيلية وقاضي الجماعة بها والخطبة، وكان فاضلاً متواضعاً، وخرج من إشبيلية في الفتنة التي قتل فيها ابن أخيه، ورحل إلى المشرق، ودخل دمشق، وأُخذ عنه الحديث، ثم أدى فريضة الحج وعاد إلى مصر وتوفى بها(ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج2، ص136؛ المقري، نفح الطيب،ج2، ص514).**

[78] **الذهبي، تاريخ الإسلام، ج39، ص286.**

[79] **هو علي بن محمد بن عمر بن شرف بن أحمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن غريب بن يزيد بن الشمر بن حمدان(ت:540هـ =1145م)، ولد سنة(492هـ=1098م) بالمرية، وولي قضاءها مرتين، وتعاون ابن أضحى مع ابن هود في قتال الملثمين وحصارهم في غرناطة، وحاصرهم شهراً، وكان أبي الحسن أبي النفس عالي الهمة، فقيهاً يناظر عليه أديباً صاحب بديهة، وأنشد عندما دخل مجلس علي بن يوسف بمراكش قائلاً:**

نحن الأهلة في ظلام الحندس حيث احتللنا ثم صدرالمجلس
إن يبخل الزمن الخؤون بعزنا ظلماً فلن يذهب بعــز الأنفس

(ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء،ج2، ص137، 138).

[80] **ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص215.**

[81] **هو هشام بن إبراهيم بن هشام التميمي(ت:419هـ=1028م)، من أهل طليطلة، يكنى أبا الوليد، كان له حظاً وافراً من الأدب، شوور في الأحكام، وكان فارساً شجاعاً، استشهد سنة 419هـ(ينظر: ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص210).**

[82] **هو محمد بن محمد بن مغيث(ت:469هـ=1076م) من أهل طليطلة يكنى أبو بكر أخذ العلم عن مشيخة بلده، وقدم بلنسية وسمع علي أبي عمر بن عبد البر، وكان من فقهاء بلده ونبهائهم، وبيته في العلم و الفقه شهير.(ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج3، ص13).**

[83] **هو يعيش بن محمد بن سعيد الانصاري البيغي(ت:443هـ=1051م) يكنى أبا محمد من أهل جيان، ورحل إلى الإسكندرية طالباً للعلم والحج، وكان صالحاً قرأ القرآن بقراءة نافع رواية ورش، وقرأ علي أبي عبد الله المقامي، وسمع الحديث(ينظر: السلفي، معجم السفر، ج1، ص460).**

[84] **ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص210.**

[85] **ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج2، ص329.**

2- تشجيع المناظرين على جمع أكبر قدر من المعلومات والتثبت منها.

3- التشجيع على البحث، والاستقصاء، والتفكير الإبداعي.

4- إعطاء الفرصة للعلماء، لتقويم تعليم تلاميذهم.

5- تحقيق الفائدة العامة للجمهور.

ويبدو أن المناظرة من أنجح طرق التدريس التي تبناها العلماء الشهداء، وخاصة بين الطلاب وبإشراف الأستاذ، أو بين الأساتذة، ومما يجدر الإشارة إليه أن هذه الطريقة لا زالت تُستخدم في وقتنا الحاضر في الجامعات والمؤتمرات العلمية المهمة.

4- الإجازة العلمية:

ويقصد بالإجازة سماح الشيخ للطالب بإقراء القرآن في الصلاة، وإلقاء الدروس على مسامع الناس، وتأتي الإجازة بعد ما يكون الطالب قد لازم العلماء مدة طويلة، وقد حرص طلبة العلم على لقاء كبار العلماء والفقهاء في مختلف أرجاء العالم الإسلامي للاستماع إليهم، والأخذ عنهم وملازمتهم، وذلك بهدف زيادة علومهم، ومعرفتهم، وحصولهم على الإجازة العلمية، وكان طالب العلم لا ينال هذه الإجازة من شيوخه إلا إذا أثبت لهم مقدرته وكفاءته العلمية، وبذلك كان الشيخ يمنح طالب العلم الإجازة بالتدريس، أو الإجازة بالفتيا، وكان الشيخ هو من يصدر هذه الإجازة باسمه، حيث تنسب إليه، ولا تنسب إلى المعهد العلمي الذي يدرس فيه([86]).

فقد حصل أبو الربيع الكلاعي على إجازات عدة منها: أجاز له أبو العباس بن مضاء([87])، وأبو محمد عبد الحق الأزدي([88]) مؤلف الأحكام، وعني كل العناية بالتقيد والرواية، وأجاز له من الإسكندرية أبو الطاهر بن عوف الزهري، والقاضي أبو عبد الله الحضرمي([89])،

---

[86] الخطيب، دور التعليم، ص147.

[87] هو أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء(ت:592هـ =1195م) قرطبي جياني الأصل، تلا بقراءة الحرمين، ودرس كتب سيبويه وكان مقرئاً مجوداً محدثاً، واسع الرواية، عنى أشد العناية بلقاء الشيوخ والأخذ عنهم= = ذاكراً لمسائل الفقه عارفاً بإصوله، متقدماً في علم الكلام والطب والحساب والهندسة، وكان كاتباً بليغاً شاعراً مجيداً كريم الأخلاق تقلد القضاء في بجاية ومراكش(ينظر: ابن فرحون، الديباج، ج1، ص47).

[88] هو عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الأشبيلي(ت:581هـ=1185م) المعروف بابن الخراط، وصف بالصلاح والورع ولزوم السنة، وولي خطابة بجاية، له من المؤلفات كتاب الأحكام الكبرى والصغرى، والجمع بين الصحيحين، وكتاب الغريبين في اللغة وكتاب الجمع بين الكتب الستة (ينظر: اليافعي، مرآة الجنان،ج3، ص422).

[89] هو محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الحضرمي(ت:625هـ= 1227م)، نزيل مرسية، دخل الأندلس في صغره، وأقام بمالقة مدة، وولي الصلاة والخطبة بمرسية، شارك في علم الحديث، وحفظ أسماء الرواة، قرض الشعر، وكتب علماً كثيراً، وحدث وأقرأ القرآن، وأخذ الناس عنه(ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج2، ص165).

ويقول صاحب سير أعلام النبلاء: "رأيت له إجازة كتبها الكمال بن شادي الفاضلي وطولها، وذكر شيوخه وما روى عنهم"([90]).

وقال صاحب تذكرة الحفاظ: "كتب لي الإجازة عام 514هـ=1120م"([91]).

وأخذ الشهيد أبو عمر بن عياد عن أعلام المقرئين، وأجاز له أبو محمد بن عطية، وكان بارعاً بصناعة الحديث معدوداً في الأثبات المكثرين([92])، وكان الشهيد أبو عمر بن عات([93]) من أكابر المحدثين وجلة الحفاظ المسندين للحديث والأدب، أجاز له الكثير من العلماء منهم على سبيل المثال: أبو الفرج بن الجوزي([94])، وأبو القاسم بن جارة([95])([96])، وقال ابن الأبار: "هو ممن أجاز لي"([97])، وأجاز الشهيد أبو علي بن سكرة لطائفة من العلماء منهم: أحمد بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري([98]) من أهل قرطبة([99])، وابن البيطار(ت:578هـ=1191م)([100])،

---

[90] الذهبي، تذكرة الحفاظ،ج4، ص141؛ الذهبي، سير، ج23، ص134، 138.

[91] الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج1، ص142.

[92] السيوطي، طبقات الحفاظ، ج1، ص100.

[93] هو أحمد بن هارون بن أحمد النفري(ت:609هـ=1212م) الشاطبي الحافظ، سمع من السلفي وكان عجباً في سرد المتون، ومعرفة رجال الأدب، وكان زاهداً سلفياً متعففاً، استشهد في وقعة العقاب في صفر(609هـ=1212م)(ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج1، ص190؛ الذهبي، العبر، ج5، ص31؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص601).

[94] هو عبد الرحمن بن علي بن الجوزي(ت:597هـ=1200م)، وكان علامة عصره وإمام وقته في الحديث والتفسير والفقه والوعظ والسير والتواريخ والطب، وصنف في فنون عديدة منها زاد المسير في علم التفسير، والمنتظم في التاريخ، وصنف كتاباً كبيراً سماه الضعفاء، وله أشعار كثيراً(ينظر: اليافعي، مرأة الجنان، ج3، ص486).

[95] هو مخلوف بن علي(ت:583هـ = 1187م) المعروف بابن جارة، الفقيه الاسكندراني المالكي، تفقه وبرع في المذهب المالكي، ودرس وأفتى وانتفع به جماعة كثيرة في الفقه وكان من أعلام المذهب(ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج40، ص165).

[96] المقري، نفح الطيب، ج2، ص602؛ ابن الأبار، التكملة، ج1، ص90.

[97] المقري، نفح الطيب، ج2، ص602.

[98] هو أحمد بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري(ت:592هـ= 1195م) يكنى أبو عامر، ويعرف بابن أبي من أهل قرطبة صحب أبو بكر بن العربي، كتب له بالإجازة أبو علي الصدفي، وأخذ القراءات والعربية والأدب، وله عناية بالحديث، ولي قرمونة ثم استجة(ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج1، ص55؛ ابن الأبار، المعجم، ج2، ص37).

[99] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص55.

وابن المناصف(ت:536هـ=1141م)، وابن جنان([101])، وابن اليتيم([102])، وأحمد بن محمد بن سعود([103])، حيث أجاز له ما تضمنته فهرسته، وكان قد كتبها عنه([104])، وأجاز ابن بشكوال([105]) ([106])، وأجاز لأبي علي إسحاق الحبال([107]) في مصر([108]).

وحصل الشهيد أبو بكر بن المرخي، على إجازات عدة من علماء عصره مثل ابن فرج([109])، وأبي علي الغساني([110])، مما جعله أحد رجال الكمال بالأندلس علماً وأدباً وشرفاً

---

[100] هو أبو محمد بن عبد الحق بن عبدالملك بن بونة بن سعيد العبدري المالقي(ت:578هـ=1191م) الشيخ الفاضل المحدث المعروف بابن البيطار نزيل مدينة المنكب من مدائن الأندلس، حدث عن أبيه وأجاز له أبو علي الصدفي (ينظر: الذهبي، سير، ج21، ص 275؛ ابن الأبار، المعجم، ج1، ص122).

[101] هو محمد بن عبدالله بن عبد الرحمن اليحصبي (ت:544هـ=1149م)، أبو عامر المعروف بابن جنان، من أهل شاطبة، له سماع من أبي علي الصدفي في غزاته إلى كتندة، وكان قد أجاز له روايته(ينظر: ابن الأبار، المعجم، ج1، ص24).

[102] هو أحمد بن محمد بن عبدالله بن أحمد الأنصاري المقري، أبو العباس ويعرف بالأندرشي، وأصله من بلنسية، وأخذ القراءات في المرية، ويروي عن أبي علي الصدفي، وابن الفراء، وأجاز له الصدفي(ينظر: ابن الأبار، المعجم، ج1، ص53).

[103] هو أحمد بن محمد بن سعود يكنى أبو جعفر من أهل مرسية، صحب أبو علي الصدفي وأكثر عنه، وأخذ عنه الموطأ والصحيحين، وجامع الترمذي وسنن البزاز وسنن الدار قطني، وأجاز له أبو علي الصدفي ما تضمنته فهرسته(ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج1، ص35؛ ابن الأبار، المعجم، ج1، ص10).

[104] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص75؛ ابن الأبار، المعجم، ج1، ص10؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج37، ص133.

[105] هو أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى(ت: 578هـ= 1182م) يعرف بابن بشكوال، من أعلام المؤرخين، وأشهر تواليفه كتاب الصلة، وكتاب الغوامض والمبهمات، وكتاب المحاسن والفضائل في معرفة العلماء والأفاضل، كان متسع الرواية شديد العناية بها، ولي قضاء إشبيلية وعقد الشروط، والرواة عنه كُثر لطول عمره وعلو إسناده(ينظر: السمعاني، الأنساب، ج3، ص274).

[106] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج35، ص368.

[107] هو إبراهيم بن سعيد بن عبد الله الحافظ النعماني(ت:482عهـ= 1089م) عاش تسعين سنة، كان ثقة حجة صالحاً ورعاً كبير القدر، وكان يتاجر في الكتب، ومنع من التحديث في أواخر عمره(ينظر: الذهبي، العبر، ج3، ص301؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5، ص237).

[108] الذهبي، تاريخ، ج35، ص368.

[109] هو محمد بن عيسى بن فرج المغامي(ت: 485هـ= 1092م) يكنى أبو عبد الله التجيبي الطليطلي المقرئ، كان عالماً بوجوه القراءات ضابطاً لها متقناً لمعانيها إماماً ديناً مشهوراً بالتقدم والإمامة، وشده الاهتمام بالقراءة والالتزام بها(ينظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج1، ص443).

[110] هو حسين بن محمد الجياني الأندلسي(ت:498هـ=1104م) أحد أركان الحديث بقرطبة، علامة في الحديث واللغة والشعر والنسب، حسن التصنيف، توفي عن اثنين وسبعين سنة وصنف العديد من الكتب منها تقييد

ومنصباً([111])، كما حصل الشهيد أحمد بن أحمد الأميبى على إجازات عدة في مواضيع مختلفة من علماء عصره، وممن أجاز له أبو الفضل محمد بن يوسف الغزنوي([112])، وأبو محمد عبد الله بن بري([113])([114])، وأجاز أبو عبد الله بن الحاج الشهيد لمحمد بن سعيد بن عبد البر الأنصاري([115])([116])، وأجاز أبا عبد الله الطلاعي، وخازم ابن محمد([117])، وحصل الشهيد أبو الحسن الأنصاري ([118])، على إجازات عدة أشهرها إجازة أبي عبدالله الطلاعي([119])([120])، وأجاز أبو بكر بن أحمد بن أبي حمزة للشهيد ابن الأبار، وروى عنه بها([121]).

المهمل وتمييز المشكل، ورحل الناس إليه وأخذ عنه الأعلام(ينظر: الذهبي، العبر، ج2، ص377؛ اليافعي، مرأة الجنان، ج1، ص471).

[111] ابن الأبار، المعجم، ج1، ص132.

[112] هو محمد بن يوسف بن علي الإمام شهاب الدين أبو الفضل الغزنوي المقري(ت:599هـ=1202م) الفقيه الحنفي نزيل القاهرة، قرأ القراءات وحدث ببغداد والشام، وتصدر للإقراء(الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج2، ص579).

[113] هو عبد الله بن بري بن عبد الجبار بن بري(ت:582هـ= 1186م) يكنى أبو محمد المقدسي المصري الأصل، كان نحوياً لغوياً شائع الذكر مشهوراً بالعلم، قرأ كتاب سيبويه، وتصدر للإقراء بجامع عمرو بن العاص، له عناية تامة في تصحيح الكتب وله مقدمة سماها اللباب وحواشيه على الصحاح ست مجلدات (ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج7، ص46؛ الذهبي، العبر، ج4، ص247).

[114] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص100.

[115] هو أبو الحسن محمد بن محمد بن سعيد الأنصاري الأشبيلي(ت:622هـ=1225م) شيخ المالكية ومن كبار المتعصبين للمذهب، وقد صنف كتاب المعلى والرد على المحلى لابن حزم(ينظر: اليافعي، مرأة الجنان، ج4، ص49).

[116] ابن الأبار، التكملة، ج2،ص63.

[117] هو خازم بن محمد بن خازم(ت: 496هـ= 1102م) يكنى الأمام أبو بكر المخزومي القرطبي، تصدر للإقراء والتسميع وأخذت عنه القراءات وطال عمره وبعد صيته، وكان وافر الأدب(ينظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج1، ص445).

[118] هو علي بن ثابت بن عبدالله بن محمد(ت:539هـ=1144م)، أبو الحسن الأنصاري الخزرجي العبادي، من ولد عبادة بن الصامت، المقرئ المجود الغرناطي، تصدر للإقراء بغرناطة، وولي الصلاة والخطبة بها، وكان مقرئاً مجاهداً موصوفاً بالصلاح والفضل، توفي بغرناطة وقد قارب السبعين(ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج36، ص510).

[119] هو محمد بن الفرج القرطبي(ت:497هـ= 1104م) يكنى أبو عبد الله، ويقال له الطلاعي، مفتي الأندلس ومحدثها في عصره، من أهل قرطبة، كان أبوه مولى لمحمد بن يحيى البكري الطلاع، فنسب إليه، له كتاب في أحكام النبي صلى الله عليه وسلم، وكتاب في الشروط(ينظر: الزركلي، الأعلام، ج6، ص328).

[120] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج36، ص510.

[121] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص283.

ويُستدل من النصوص أن عدداً كبيراً من العلماء وطلاب العلم حـــازوا علـــى إجـــازات بالفتيا، أو التدريس، أو عراضات الكتب، من علماء وشيوخ كبار، وهي وسيلة لبداية التـــدريس، حيث أنه لا يستطيع أحد التدريس دون إجازة من شيخه، ويصف ذلك القلقــشندى قـــائلاً: "أمـــا الإجازة بالفتيا، فقد جرت العادة أنه إذا تأهل بعض أهل العلم للفتيا والتدريس؛ أن يأذن له شيخه في أن يُفتي، ويُدرس، ويكتب، ويكتب له بذلك... أما الإجازة بعراضة الكتب فإنه إذا حفظ طالب العلم كتاباً في الفقه أو النحو، أو غير ذلك من الفنون يعرضه على شيخه، فيمتحنه ثم يجيـــزه إذا نجح فيه"([122])، كما حصل العديد منهم على أكثر من إجازة من علماء وشيوخ عدة، قـــد تكـــون جزئية أو شاملة لمرويات الشيخ أو مؤلفاته، وقد يتضمن نص الإجازة معلومـــات عـــن إنتـــاج المجيز وذكر بعض شيوخه وما درس عليهم، كما حرص الذين يتلقون معارفهم خارج الأنـــدلس على أن يعودوا بأكثر ما يمكن من الإجازات، فعلى سبيل المثال: فقد حصل ابن سيد الناس على الإجازة من أربعمائة عالم بالمشرق والمغرب([123])، وحيث أن مقدرة الدارســـين الـــذين أنهـــوا دراستهم تحتاج للتدليل عليها إلى شهادة يدلي بها الخريج عند الحاجة، مما أدى إلـــى الحـــرص على هذه الإجازة التي تسلم من الأستاذ إلى الطالب بعد رواية الكتاب أو الكتب التي درسها مـــع الأستاذ، وبلغ الاهتمام بالإجازة حداً دفعهم إلى وضع مصنفات بها، أشهرها مصنف الوليـــد بـــن بكر الغمري صاحب كتاب"الوجازة في صحة القول بالإجازة"([124])، كما كتب ابن فطيس كتـــاب "الإجازة والمناولة"([125])، والأمر الذي يدعو إلى الانتباه هو عدم وجود سن معينة لأخذ الإجـــازة العلمية، ولم أجد في المصادر ما يشير إلى المدة التي يقضيها الطالب للحصول عليها.

5- السماع:

درَّب العلماء الذين اصطفاهم الله شهداء في الأندلس آذانهم على ســـماع آيـــات القـــرآن الكريم، وحديث الرسول(ﷺ)؛ لينالوا الأجر والثواب، قال تعالى: "**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً** "([126]).

فجلس العلماء الشهداء لإسماع الناس، وجلس طلاب العلم للسماع عنهم بآذان صـــاغية، فسمع الشهيد أبو الفضل الشنتمري من شريح([127]) صحيح البخاري بقراءة ابـــن عبيـــد الله([128])،

[122] القلقشندى، صبح الأعشى، ج14، ص369.

[123] الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج4، ص162.

[124] الوادي أشي، برنامج، ج1، ص273؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص380.

[125] ابن بشكوال، الصلة، ص300.

[126] سورة الإسراء، الآية 32.

[127] هو أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني(ت:539هـــ=1144م) خطيـــب إشـــبيلية ومقرئهـــا ومسندها روى عن أبيه وعبد الله بن منظور، وأجاز له ابن حزم، وقرأ القراءات على أبيه وبرع فيها، ورحل

وسمع الشهيد ابن أبي مروان، القرآن الكريم والحديث الشريف على يد العديد من علماء عصره، وتميز بحفظ الحديث ومعرفة رجاله، وكان فقيهاً ظاهري المذهب على طريقة ابـن حـزم([129])، وسمع الشهيد ابن الجد على عدد كبير من الشيوخ في أماكن عدة، فسمع بقرطبة من أبي الوليـد بن رشد([130])، وبإشبيلية من أبي بكر بن العربي، وسمع كتاب سيبويه على أبـي الحـسن بـن الأخضر([131])، وأخذ عنه كتب اللغة، وسمع صحيح مسلم من أبي القاسم الهوزني([132])، وللشهيد أبي الحجاج الإندى(ت:515هـ=1121م)([133])، سماع كثير علي يد عدد كبير من المشايخ فـي أماكن متعددة وعلوم عدة أبرزها: سماعه الحديث ببغداد من أبي القاسم بن بيان([134])، وصـحيح مسلم من إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي([135])([136])، وجامع الترمذي من أبي العلاء صاعد بن

الناس إليه من الأقطار للحديث والقراءات(ينظر: الذهبي، العبر، ج4، ص107؛ ابن العمـاد، شـذرات، ج4، ص122).

[128] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص196.

[129] المصدر نفسه،ج1، ص55؛ الذهبي، سير، ج20، ص249؛ الزر كلي، الأعلام، ج1، ص164.

[130] هو العلامة أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي(ت:595هـ=1198م)، تفقه وبـرع فـي الحديث وأتقن الطب، وأقبل على علم الكلام والفلسفة حتى صار يضرب به المثل فيها، صنف تصانيف عدة في الفقه والطب والمنطق وتوفى بمراكش(ينظر: ابن العماد، شذرات، ج1، ص320).

[131] هو علي بن عبد الرحمن بن محمد بن مهدي بن عمران(ت:514هـ=1120م) التنوخي الأشبيلي، كـان مقدماً في علم اللغة العربية و الأدب، أخذ عن الأعلم، وكان موصوفاً بالدين والإتقان والثقة(ينظر: الـصفدي، الوافي بالوفيات، ج21، ص151).

[132] الذهبي، سير، ج21، ص178.

[133] هو يوسف بن علي بن عبد الله بن علي محمد القضاعي(ت:515هـ=1121م)، من أهل إنده عمل بلنسية، واستوطن المرية، يعرف بالقفال وبالحداد، كان صدوقاً، صحيح السماع، ليس عنده كبيـر علـم ولا ضـبط، استشهد يوم غلبة العدو الملعونين على المرية، وقتل يومئذ خلق كثير(ينظر: ابن الأبار، التكملة،4، ص206؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج10، ص234).

[134] هو أبو القاسم علي بن محمد بن بيان بن الرزاز البغدادي(ت:510هـ= 1116م) من أهل بغداد، ومـسند العراق حدث عن أبي مخلد الرزاز وطلحة الكتاني، وكان محدثاً كثير الرواية توفي عن سبع وتـسعين سـنة (ينظر: ابن العماد، شذرات، ج4، ص27).

[135] هو أبو عبد الله إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي(ت:502هـ=1108م) كان إماماً في الحـديث واللغـة والأدب والبلاغة، حدث عن جده لأمه، صنف كتاب تاريخ نيسابور ومصنف مجمع الغرائب، والمفهم في شرح مختصر صحيح مسلم(ينظر: اليافعي، مرأة الجنان، ج3، ص256).

[136] الذهبي، سير، ج20، ص187.

سيار([137])، وسمع الناس منه كثيراً، وروى عنه جلة منهم([138])، وسمع مقامات الحريـــري مـــن أبي محمد الحريـــري([139])، وكـــان صـــدوقاً صـــحيح الـــسماع([140])، وســـمع الـــشهيد ابـــن الفريشي(ت:633هـ=1235م)، وسمع الحديث من أبي القاسم بن بشكوال، وســمع بمكـــة مـــن يونس الهاشمي، وكان مشهوراً بالصلاح والزهد وإجابة الدعاء، ومن تلاميذه الذين سمعوا عنـــه ابن مسدي([141])، وسمع الشهيد أبو عمر بن عات أباه العلامة أبا محمد و ابن هذيل، وسمع مـــن السلفي([142])، وكان عجيباً في سرد المتون، ومعرفة الرجال والأدب([143])، وسمع الشهيد أبو عبد الله بن الجالطي من ابن الأحمر([144]) وطبقته بقرطبة، وكان محمود الطريقة في حكمـــه، رفيـــع المنزلة في علمه، وسمع منه أبو عمر بن عبد البر الحافظ، والشهيد ابن الحصار([145]).

ومن المؤكد أن العلماء الشهداء في الأندلس خفضوا أجنحتهم لطـــلاب العلـــم، فجلـــسوا لإسماع الناس حديث الرسول(ﷺ)؛ للاقتداء به، ونيل الأجر والثـــواب مـــن الله، ونـــشر الـــدين الإسلامي، ومما لا شك فيه أن طالب العلم كان بإمكانه أن يسمع من العديد من علماء بلده، وقـــد يكون العالم أباه أو جده أو يتنقل إلى أكثر من بلد؛ ليسمع من علماء آخرين، كما كـــان العلمـــاء يسمعون ببلدهم ويتنقلون إلى أماكن مختلفة للإسماع.

---

[137] هو أبو العلاء صاعد بن سيار بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم الهروي الدهان(ت:520هـ=1126م) كان حافظاً متقناً واسع الرواية، عالماً بالحديث، جمع الأبواب وعرف الرجال(ينظر: ابن العمـــاد، شـــذرات، ج4، ص60).

[138] ابن الأبار، التكملة، ج4، ص206، 207.

[139] هو القاسم بن علي بن محمد البصري(ت:516هـ=1122م) يكنى أبو محمد الحريري صاحب المقامات، حامل لواء البراعة، وفارس النظم والنثر، روى الحديث، كثير الاطلاع وغزير العلم(ينظـــر: اليـــافعي، مـــرأة الجنان، ج3، ص213).

[140] الذهبي، سير، ج20، ص187.

[141] المصدر نفسه، ج46، ص168؛ ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج1، ص381.

[142] هو أحمد بن محمد بن سِلُفة(ت:576هـ=1180م) يكنى أبو الطاهر السلفي، صدر الدين، حافظ مُكثر من أهل أصفهان، رحل في طلب الحديث، وكتب تعاليق كثيرة، وله شعر حسن، وبنى له وزير الظـــاهر العبيـــدي مدرسة في الإسكندرية(ينظر: السمعاني، الأنساب، ج3، ص274)

[143] المقري، نفح الطيب، ج2، ص601؛ ابن العماد، شذرات، ج5، ص37.

[144] هو محمد بن معاوية بن عبد الرحمن(ت:359هـ= 969م) يكنى أبو بكر الأمـــوي المروانـــي القرطبـــي ويعرف بابن الأحمر، محدث الأندلس، وكان ثقة، روى عن خلق كثر، رجع إلى الأندلس، وأُخذ عنـــه الـــسنن الكبير للنسائي(ينظر:ابن العماد، شذرات، ج3، ص27؛ الذهبي، العبر، ج2، ص103).

[145] عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص23.

6- القراءة على الشيخ:

جلس الرسول(ﷺ) يعلم الناس القرآن الكريم، الذي نزل بـــه الـــروح الأمـــين مـــن رب العالمين دستوراً للمسلمين، فحفظه الجيل الأول من الصحابة على سبع قراءات، قال(ﷺ): "نـــزل القرآن على سبعة أحرف"([146]) ؛ لذلك عنى العلماء الشهداء بتعلـــيم النـــاس القـــراءات اقتـــداء برسولهم الكريم؛ ولكي يتقن الطالب قراءة القرآن كان لا بد من المحاكاة والتقليد للشيخ المقـــرئ، فقد تصدر الشهيد أبو الحسن الأنصاري الخزرجي العبادي للإقراء بغرناطـــة، وولـــي الـــصلاة والخطبة بها، وكان مقرئاً مجاهداً موصوفاً بالصلاح والفضل([147])، وقرأ الـــشهيد أبـــو جعفـــر الحصار([148])،على أبي عبد الله محمد بن سعيد([149])، وأبي اسحاق بن محـــارب([150])، وتـــصدر للإقراء، فرأس أهل العصر بالأندلس، ورحل الناس إليه، ولم يكن أحـــدٌ يدانيـــه فـــي الـــضبط والتجويد والإتقان، وأخذ عنه ابن الأبار ووالده القراءات([151])، وأخذ عنه القراءات محمـــد بـــن إبراهيم بن عبد الملك الأزدي([152]) وسمع منه([153])وأخذ الشهيد القبري([154])، القراءات عن أبـــي

---

[146] الإمام أحمد، مسند، ج2، ص332، رقم الحديث:8372.

[147] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج36، ص510.

[148] هو أحمد بن علي بن يحيى بن عون الأنصاري(ت:609هـ=1212م) الأندلسي الداني المقرئ المـــالكي، نزيل بلنسية، ولم يكن بدانية مثله في الضبط والتجويد والإتقان، استشهد في وقعة العقاب في شهر صفر من عام 609هـ(ينظر: الذهبي، العبر،ج5، ص30؛ الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج2، ص592؛ ابـــن العمـــاد، شذرات، ج5، ص36).

[149] هو سعيد بن علي بن يوسف الأنصاري الأندلسي الغرناطي المقرئ(ت:645هـ = 1247م)، كان مقرئـــاً جليلاً ومحدثاً وتلا بالسبع، ضابطاً متقناً بارع الخط، عارفاً بالأسانيد والطرق وطبقاتهم، مشاركاً فـــي علـــوم العربية والفقه والأصول، كاتباً نبيلاً(ينظر: الذهبي، سير، ج23، 259).

[150] هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن محارب القيسي(ت:641هـ= 1243م) مـــن أهـــل الإسكندرية ودخل الأندلس، وأصله من المغرب، سمع عن أبي الطاهر السلفي، وكانت له رواية بغرناطة عن أبي محمد بن عبد المنعم بن الفرس(ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج2، ص168).

[151] الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج2، ص593.

[152] هو محمد بن إبراهيم بن عبد الملك الأزدي(ت:643هـ=1245م) من أهل قيجاطة يعرف بالقارجي، أخـــذ القراءات، والعربية واللغة والأدب وسمع الحديث، ورحل حاجاً وأدى الفريضة، وزار مصر والشام والقدس ثم عاد إلى مرسية وأقرأ بها(ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج2، ص148).

[153] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص98؛ ابن العماد، شذرات، ج5، ص36.

[154] هو الإمام العلامة أبو شاكر عبدالواحد بن محمد بن وهـــب التجيبـــي(377-456هــــ=987-1063م) الأندلسي القبري، نسبة إلى مدينة قبرة، وتفرد في وقته بالإجازة من الفقيه أبو محمد بن أبي زيـــد، وولـــي القضاء والخطابة ببلنسية، وهو خال أبي الوليد البـــاجي، بـــرع فـــي الحـــديث والأدب والخطابـــة والـــشعر (ينظر:الذهبي، سير، ج18، ص179)

القاسم بن النخاس[155]، وتصدر للإقراء، وأخذ عنه أبو الحسن الشقوري[156] قراءة نافع، وهو معدود في شيوخه[157]، وعُرِفَ الشهيد أبو الوليد التدميري بالقارئ الزاهد، وعلم بالقرآن، وكان مشهوراً بالفضل والزهد، وكثرة التقرب إلى الله[158]، وقرأ الشهيد أبو بكر الغافقي[159] بغرناطة على شيخ الجماعة أبي عبد الله بن الفخار[160]، وببلده على الأستاذ أبي عبد الله الطرسوني[161]، وبه انتفاعه، وكان جهوري الصوت متقناً للقراءة[162]، وكان الشهيد أبو عبد الله الفريشي، مقرئاً زاهداً مجاب الدعوة، تلا بالسبع على أبي القاسم بن الشراط[163]، وتصدر الشهيد ابن سكرة للإفادة والإقراء بمرسية، وكان عالماً بالقراءات[164]، وأخذ الشهيد ابن الأبار

---

155 هو عبد الله بن الحسين بن سليمان(ت:368هـ= 977م)، أبو القاسم المقرئ المعروف بابن النحاس من أهل القرآن والفضل والخير والستر والعقل الحسن والمذهب الجميل والثقة(ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج9، ص438).

156 هو محمد بن عبد العزيز بن علي بن عيسى(ت: 673هـ=1274م) المعروف بالشقوري، كان حافظاً لأخبار الأندلس معنياً بالرجال ضابطاً، متقناً، له مشاركة في اللغة والنحو مع الزهد والفضل، وولى قضاء شقورة وحمدت سيرته وأخذ الناس عنه(ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج40، ص295).

157 ابن الأبار، التكملة، ج2، ص71.

158 المصدر نفسه، ج4، ص154.

159 هو محمد بن أحمد بن زيد بن أحمد بن زيد بن الحسن بن أيوب بن حامد بن زيد بن منجل الغافقي(ت702هـ=1320م) يكنى أبا بكر من أهل غرناطة، وسكن وادي أشي، أصل هذا البيت من أشبيلية، وكان عيناً من أعيان الأندلس، وصدراً من صدورها، نشأ عفاً متصاوناً عزوفاً نزيهاً أبياً كريم الخؤولة، طيب الطعمة، حر الأصالة، نبيه الصهر، استعمل في الوزارة ببلده، حسن الشيعة والاسترسال في ذكر التواريخ= =والأشعار الجاهلية، والأمثال والتمسك بأسباب الدين، وسحب أذيال الطهارة، وهجر الخبائث، وإيثار الجد(ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة،ج1، ص189؛ ابن حجر، الدرر، ج5، ص45).

160 هو محمد بن علي بن أحمد الخولاني(ت:754هـ= 1353م) ويعرف بابن الفخار كان فاضلاً تقياً عاكفاً على العلم، ملازماً للتدريس إمام الأئمة، متبحر العلم، أستاذ الجماعة وعلم الصناعة وسيبويه العصر، له مشاركة في القراءات والفقه والعروض والتفسير(ينظر: ابن العماد، شذرات، ج6، ص176).

161 هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرج اللخمي الطرسوني(ت:730هـ = 1329م) كان قيماً على النحو والقراءات، واللغة، مجداً في ذلك محكماً كان له منزلة عند الوزير المحروق فجعله ناظراً لخزانة الكتب السلطانية ثم اعتقله وأخرجه إلى أفريقيا(ينظر: ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ج1، ص73).

162 ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص191؛ ابن حجر، الدرر، ج5، ص45.

163 الذهبي، تاريخ الإسلام،ج46، ص168؛ ابن الجزري، غاية النهاية، ج1، ص381.

164 السيوطي، طبقات الحفاظ، ج1، ص208.

قراءة نافع عن أبي حامد البلنسي([165])، وكان الشهيد تاشفين المكتب زاهداً عابداً معلماً بـــالقرآن له حظ في قرض الشعر([166])،وأخذ أبو الربيع الكلاعي القراءات عن ابن الشيخ([167]).

ومن المؤكد اهتمام العلماء الشهداء بالقراءات؛ لما لذلك من أجر عظيم عند الله في الدنيا والآخرة، قال رسول الله(ﷺ): "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"([168])؛ لذلك حرص هؤلاء العلمـــاء على الحصول على الخيرية فتصدوا لتعليم القرآن و خاصة في المراحل الأولى، فتصدوا للتعليم في الكتاتيب، وجسموا القدوة الصالحة، واشتهروا بالقناعة والزهد، وقد وصـــف ابـــن الخطيـــب معلمه محمد بن عبد الولي الرعيني([169]) بإتقان القراءات وتجويد القرآن وعدله في المعاملة بـــين أبناء الموسرين والمعسرين([170])، ويتبين من كلام ابن خلدون مـــدى الاهتمـــام بـــإقراء القـــرآن وحفظه في هذه المرحلة المبكرة، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعـــده، وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخاً وهو أصل لما بعده([171]).

7- تعليم الخط:

من أهم طرق التعليم عند العلماء الشهداء طريقة تعليم الخط، حيث يقول ابـــن خلـــدون: "وليس الشأن في تعليم الخط في الأندلس والمغرب كذلك في تعلم كل حرف بانفراده على قوانين يلقيها المعلم للمتعلم، وإنما يتعلم بمحاكاة الخط في كتابة الكلمات جملة، ويكون ذلك مـــن المـــتعلم ومطالعة المعلم، إلى أن تحصل له الإجادة وتتمكن في بنائه الملكة فيسمى مجيداً"([172]).

ولمَّا كان الخط الجميل الخالي من الأخطاء يحتل مقاماً كبيراً في المعـــاملات، وفـــي دواليـــب الدولة، والنشاط الثقافي، فقد أولاه الأندلسيون عنايةً خاصةً، يتبين ذلك من كلام ابن خلدون فـــي المقدمة، وأن التعليم في مراحله الأولى لم يقتصر على حفظ القرآن ورواياته، بل كـــان يـــشمل تعليم الخط، بالإضافة إلى دراسة قواعد اللغة العربية([173])، فقد كان الشهيد أبو الربيع الكلاعـــي إماماً حافظاً عارفاً، وكان الخط الذي يكتبه لا نظير له في الإتقان والضبط، مع الاستبحار فـــي

---

[165] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 46، ص166.

[166] ابن الأبار، التكملة، ج4، ص19.

[167] الذهبي، سير، ج21، ص479.

[168] البخاري، صحيح،ج4، ص1919، رقم الحديث: 4739.

[169] هو محمد بن علي بن عبد المؤمن الرعيني الحاكم(ت: 540هـ= 1145م) يكنى أبو عبد الله مـــن أهـــل غرناطة روى عن أبي علي الصدفي، وله رواية عن أبي الأصبغ بن سهل الغساني، ورحل حاجاً فـــسمع فـــي طريقة الكتاب الجامع في الأحكام (ينظر: ابن الأبار، المعجم، ج1، ص149).

[170] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص356.

[171] ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص538.

[172] المصدر نفسه، ج1، ص539.

[173] المصدر نفسه، ج1، ص377.

الأدب والاشتهار في البلاغة([174])، وكان حسن الهيئة، والمركب والملبس، والصوت، كريم النفس، يُطعم فقراء الطلبة، وينشطهم ويتحمل مؤنتهم([175])، وكان الشهيد أبو علي الصدفي عالماً بالحديث وطرقه عارفاً بعلله ورجاله، بصيراً بالجرح والتعديل، مليح الخط جيد الضبط، كثير الكتابة([176]).

وكتب سلطان المغرب الملك المجاهد المرابط أبو الحسن المريني صاحب مراكش ثلاثة مصاحف شريفة بخطه، وأرسلها إلى المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، وأوقف عليها أوقاف جليلة.

ويبدو واضحاً أن طريقة تعلم الخط عند الأندلسيين تبدأ من الكلمة والجملة، إلى أن تتم الإجادة، وهذه الطريقة ما زالت تُستخدم في وقتنا الحاضر في التعليم في مدارسنا، والتي يطلق عليها الطريقة الكلية في تعليم الكتابة، حيث ينتقل الطالب من الكلمة والجملة التي لها مدلول عند الطفل، إلى الحرف الذي ليس له مدلول فبالتالي تحدث الإجادة.

حقاَ إن الجهود التي بذلها العلماء الذين اصطفاهم الله شهداء كبيرة، حيث شاركوا بمعرفة واسعة بالعلوم الدينية والأدب واللغة، وهناك حالات من المشاركة تتجاوز هذه المجالات شكلاً ومحتوى مثل: حالة ابن باجة الذي جمع بين علوم اللغة والفقه والأدب والفرائض والهندسة والحساب والفلسفة([177])، كما تميزوا بسمات الوقار والتقوى والورع، ولم يأخذ العديد منهم الأجر مقابل تعليمه، كما عُرف كثير من الشيوخ ببرهم وأعمالهم الصالحة، والإنفاق من دخلهم على طلابهم وأصحابهم لإطعامهم مثل: أبو الربيع الكلاعي الذي كان يحتمل مؤونة طلابه، وإبراهيم ابن خلف الذي كان لا يقبل أجراً ويحنو على الضعفاء واليتامى، ومثله في التطوع أبو عمر بن عات الذي كان كثير الإحسان والتطوع لخدمة طلابه([178]).

---

[174] ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج2، ص538.

[175]ابن الفرضي، تاريخ قضاة الأندلس، ج35، ص368.

[176] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج8، ص91.

[177] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج1، ص34؛ البابانى، هداية العارفين، ج1، ص49.

[178] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص352؛ النباهي، المرقبة العليا، ج1، ص119؛ المقري، نفح الطيب، ج3، ص358.

المبحث الثاني

الانجازات العلمية للعلماء الشهداء

المجتمع الأندلسي مجتمع مسلم، نشأ محباً للعلم وأهله، وفطر أبناؤه على ذلك؛ لأن العلم فرض في العقيدة الإسلامية على كل مسلم ومسلمة، ولا يقبل أن يكون المسلم غير متعلم أو مثقف.

لذلك كان العلم منتشراً في الأندلس انتشاراً، يفوق الكثير من البلدان، من حيث الدرس والتدريس والتعليم والتأليف، وكان مصدر فخر وتقدير، مع التزام بخط معلوم، وشروط معروفة، واهتمام بكل الوسائل والأسباب المؤدية إليه، وعدت الأندلس سوقاً كبيرة للكتب، راجت بضاعتها وازدهرت صناعتها، حتى الخلفاء والأمراء وأصحاب المراكز الأخرى كانوا بذلك يفتخرون، بل وضع الكثير منهم في مصاف العلماء الكبار الذين لهم مؤلفات، أو يقيم العلماء لآرائهم وزناً، وذلك في كل ميدان([1]) .

لقد حفز شوق الأندلسيين للعلم إلى النهوض بمختلف فروع المعارف البشرية؛ طلباً للأجر والثواب، وبرز العلماء الشهداء الذين هم عنوان الأمة الحية وفخرها الماجد؛ لكي يسهموا في علو الحركة العلمية، ووفرة إنتاجها في الكم والنوع([2]).

وأخذ المسلمون بحظ وافر من العلوم على اختلافها، وميز كتابهم بين العلوم التي تتصل بالقرآن الكريم، والعلوم التي أخذها العرب عن غيرهم من الأمم، ويطلق على الأولى العلوم النقلية أو الشرعية وعلى الثانية العلوم العقلية أو الحكمية([3]).

إنجازات العلماء الشهداء:

أولاً العلوم النقلية:

أخذت العلوم الدينية المكان الأول عند الأندلسيين؛ لارتباطها بالإسلام، وعرفت بالعلوم الشرعية أو النقلية؛ لأنها مستمدة من الدين الإسلامي أو منقولة عنه، ولقد اهتم علماء الأندلس بالعلوم النقلية اهتماماً كبيراً، وبرز صنفان من العلوم النقلية: الأول العلوم الشرعية وتشمل: علم القراءات، وعلم التفسير، وعلم الحديث، والفقه، والثاني علوم اللغة العربية وآدابها وتشمل: النحو، واللغة، والشعر، والأدب التي لا غنى عنها([4]).

---

[1] **المقري، نفح الطيب، ج3، ص198،190.**

[2] **المصدر نفسه، ج3، ص192.**

[3] **ابن حزم، رسائل، ج4، ص12؛ ابن خلدون، تاريخ، ج1، ص435؛ ابن حجر، الدرر، ج1، ص186.**

[4] **ابن خلدون، تاريخ، ج1، ص36.**

أ- العلوم الشرعية:

1- **علم القراءات القرآنية:**

علم القراءات هو العلم الذي يبحث في كيفية النطق بالقرآن وبه يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض؛ لاختلاف بعض المسلمين في قراءة آياته([5])، حيث قال رسول الله(ﷺ): "إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه"([6]).

ويقول ابن خلدون عن هذا العلم:"القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه، المكتوب بين دفتي المصحف، وهو متواتر بين الأمة، إلا أن الصحابة رووه عن الرسول(ﷺ)على طرق مختلفة، في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها، وتنوقل ذلك واشتهر، إلى أن استقرت منها سبع معينة، وتواتر نقلها بأدائها، واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها من الجم الغفير، فصارت هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة"([7]).

وبتوسع الدولة الإسلامية واختلاف لهجات العرب والمسلمين، اشتهرت سبع قراءات منسوبة إلى سبعة من أشهر القراء([8])، وأصبحت هذه القراءات أصولاً للقراءة([9]).

ونظراً للمناخ الديني في الأندلس، باعتبارها قاعدة للجهاد الإسلامي في الحوض الغربي للبحر المتوسط، فقد برزت فيها العلوم النقلية، وخاصة القراءات القرآنية بعد أن استقرت دعائم الإسلام فيها([10]).

وأسهم العلماء الذين قضوا نحبهم شهداء في ازدهار علم القراءات في الأندلس، ومن أشهر الذين نشروا علم القراءات فيها، الشهيد أبو العباس الإقليشي ([11])، وكان عالماً بالقراءات،

---

[5] السيوطي، الإتقان، ج2، ص478.

[6] البخاري، صحيح، ج2، ص851، رقم الحديث:2287.

[7] ابن خلدون، المقدمة،ج1، ص437.

[8] القراء السبع هم عبد الله بن عامر(ت:18هـ=639م)، ومعبد بن عبد الله بن كثير(ت:120هـ=737م) بمكة، وأبو بكر عاصم(ت:127هـ=744م) بالكوفة، وأبو عمرو بن العلاء(ت:154هـ=770) بالبصرة، ونافع بن نعيم(ت:169هـ=785م) بالمدينة، وأبو الحسن علي بن حمزة الكسائي(ت:189هـ=804م) بالبصرة، وأبو عمارة حمزة بن حبيب(ت:216هـ=830م)، ثم جاء القراء الثلاثة فصارت بهم القراءات عشراً وهم: أبو محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمي(ت:225هـ=839م) بالبصرة، وأبو محمد خلف بن هشام(ت:230هـ=844م) بالمدينة، أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي(ت:230هـ=844م) بالمدينة(ينظر: القطان، مباحث في علوم القرآن، ج1، ص173؛ الزرقاني، مناهل العرفان، ج1، ص466).

[9] السيوطي، الإتقان،ج1، ص198؛ المقري، نفح الطيب،ج2، ص552.

[10] سيسالم، عصام، جزر الأندلس المنسية، ص469.

[11] هو العلامة أبو العباس أحمد بن معد بن عيسى بن وكيع التجيبي الإقليشي الداني(363-410هـ=972-1019م) نسبة إلى أقليش وهي بلدة من أعمال طليطلة بالأندلس، سمع من أباه، وتفقه بأبي العباس بن=

وله كتاب في معاني القراءات"تفسير العلوم والمعاني المستودعة في السبع المثاني"([12])، والشهيد أبو عمر بن عياد شيخ القراء، أخذ القراءات عن أبي عبد الله بن أبي إسحاق، وقدم بلنسية سنة(528هـ=1133م)، ولقي بها أعلام المقرئين أبا مروان بن الصقيل([13])، وأبا الحسن بن هذيل([14])، وأبا الحسن بن النعمة([15])، وسمع من أبي الوليد الدباغ([16]) وطارق بن يعيش([17])، وأشهر مصنفاته في القراءات كتاب "الكفاية في مراتب الرواية"([18])، ومن أشهر القراء الشهيد أبو جعفر الحصار، نزيل بلنسية، قرأ القراءات على ابن هذيل وعلى ابن غلام الفرس([19])،

=عيسى، وسمع من صهره طارق بن يعيش وابن الدباغ وبمكة من أبي الفتح الكوفي وبالثغر من السلفي وله تصانيف ممتعة منها "النجم في كلام سيد العرب والعجم "، "وكتاب ضياء الأولياء" وشعر وفضائل، ويد في اللغة(الذهبي، سير، ج20، ص358؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص599).

[12] الزر كلي، الأعلام، ج1، ص197.

[13] هو عبد الملك بن سلمة بن عبد الملك بن سلمة(ت:540هـ= 1145م) من وشقة، نزيل بلنسية يكنى أبو مروان بن الصقيل، تلا بالسبع وكان مقرئاً مجوداً فقيهاً فصيحاً، توفى بالمرية، وعن عمر يناهز الخمسون عاماً، وليس له وريث(ينظر: ابن عبد الملك المراكش، الذيل والتكملة، س5، مج1، ص19).

[14] هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن هذيل البلنسي(ت:564هـ = 1168م) مقرئ العصر، تلا بالسبع وسمع صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود، لازم الطلبة ليلاً ونهاراً، انتهت إليه رئاسة الإقراء(الذهبي، سير، ج20، ص506).

[15] هو علي بن عبد الله بن خلف بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المولى(ت:567هـ= 1171م) تصدر للقرآن والفقه والنحو والرواية ونشر العلم وكان عالماً متقناً للتفسير، مقدماً في علم اللسان وصنف كتاب ري الضمآن في تفسير القرآن، وصنف كتاب الإمعان في شرح مصنف النسائي، وانتفع الناس به(الصفدي، الوافي بالوفيات، ج21، ص140؛ الذهبي، سير، ج20، ص584).

[16] هو يوسف بن عبد العزيز اللخمي(ت:546هـ=1151م)، وكان إماماً مفتياً رأساً في الحديث وطرقه ورجاله، وهو تلميذ أبي علي بن سكرة، وعاش خمساً وستين عاماً، وله تأليف صغير في تسمية الحفاظ وشوور في الأحكام ببلده وله قضاء دانية(ينظر: ابن العماد، شذرات، ج4، ص142؛ الذهبي، العبر، ج4، ص126)

[17] هو طارق بن موسى بن يعيش المخزومي(ت:549هـ= 1154م) من أهل بلنسية، ويعرف نسبة إلى قريته ويكنى أبا الحسن، كان شيخاً صالحاً عالي الرواية، مجاب الدعوة عالماً بالحديث، حدث بالسماع والإجازة جلة من العلماء، جاور بمكة في أواخر عمره وتوفي بها(ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج1، ص274).

[18] ابن الأبار، التكملة، ج4، ص212؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج4، ص108؛ الذهبي، سير، ج21، ص181.

[19] هو عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الأنصاري الخزرجي(ت:597هـ=1200م) شيخ المالكية بغرناطة، برع في الفقه والأصول وشارك في الفضائل، وتلا بالسبع، وألف كتاباً في أحكام القرآن، وعاش ما يقارب من سبعين سنة(الذهبي، سير، ج21، ص364).

وتصدر للإقراء، فرأس أهل العصر بالأندلس، ورحل الناس إليه، وتتلمذوا على يديه([20])، ومن أشهر تلاميذه ابن الأبار ووالده ومحمد بن إبراهيم الأزدي([21])، ومن القراء الكبار الشهيد أبو عبد الله الفريشي، الذي اشتهر بالصلاح والتقوى والورع، وأتقن القراءات السبع، وتلا بها على أبي القاسم بن الشراط([22])([23])، ومنهم الشهيد المقرئ أبو بكر البلنسي، الذي أخذ القراءات عن ابن هذيل، وتميز بشدة الذكاء والفهم، وقعد لتعليم الناس القراءات حتى استشهد في كائنة غربالة([24])، وتصدر أبو الحسن الأنصاري الخزرجي العبادي، للإقراء بغرناطة، وولي الصلاة والخطبة بها، وكان مقرئاً مجاهداً موصوفاً بالصلاح والفضل، قرأ على أبيه، وقرأ القراءات على أبي الحسن بن كرز([25])، وأجاز له العديد من الشيوخ أشهرهم: أبو عبد الله الطلاعي، وخازم بن محمد([26])، وأخذ الشهيد ابن سكر القراءات عن ابن أبي الإصبع السماني، وروى عن أبي بكر بن خير ولزمه واختص به، وكان مقرئاً ماهراً حسن الأداء، معنياً بالحفظ، والذكاء والضبط([27])، وروى الشهيد أبو الحسن الباغي([28]) عن أبي داود المقرئ([29])، وأبي عبد الله

---

[20] الذهبي، العبر، ج5، ص30؛ الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج2، ص593؛ ابن العماد، شذرات، ج5، ص36.

[21] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص291؛ الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج2، ص593؛ ابن العماد، شذرات، ج5، ص36.

[22] هو عبد الرحمن بن محمد بن غالب الأنصاري القرطبي(ت:586هـ=1190م)أخذ القراءات وتصدر للإقراء بجامع قرطبة، لتعليم النحو، ولإسماع الحديث، وكان مقرئاً، محققاً، ضابطاً، ورعاً، وزاهداً(ينظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج2، ص562).

[23] ابن الجزري، غاية النهاية، ج1، ص381 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج46، ص168؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص65.

[24] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ج1، ص116؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج40، ص310؛ ابن الأبار، التكملة، ج4، ص23.

[25] هو علي بن أحمد بن كرز(ت:5112هـ= 1117م) يكنى أبو الحسن الأنصاري الغرناطي المقرئ، أخذ القراءات وعني بالروايات وتلا بالسبع، وأقرأ بالمسجد الجامع، وكان ثقة فاضلاً (الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج1، ص481).

[26] ابن الأبار، التكملة، ج3، ص90 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج36، ص510.

[27] ابن الأبار، التكملة، ج4، ص137.

[28] هو علي بن محمد بن لب بن سعيد القيسي(ت:535هـ=1140م) المقرئ الشهيد يكنى أبا الحسن، ويعرف بالباغي وهو من باغة دانية وسكن إشبيلية، روى عن أبي عبد الله المغامي وأبي داود المقري، وأقرأ وحدث وكان إماماً في صلاة الفريضة بمسجد ابن رزق، وأخذ عنه أبو بكر بن خير وسمع منه وأجاز له(ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج3، ص189؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ج1، ص387).

المغامي المقرئ، وأقرأ وحدث، وكان إماماً في صلاة الفريضة في مسجد ابن رزق، وأخذ عنه أبو بكر بن خير وأجاز له "([30])، واشتهر من القراء الشهيد أبو الوليد الزاهد من سكان قرطبة، عالم بالقرآن، وكان مشهوراً بالفضل والزهد، وسعة المعرفة([31])، وتصدر الشهيد ابن سكرة للتعليم والإقراء بمرسية، وكان عالماً بالقراءات، وتنافس الأئمة في الإكثار عنه؛ لدينه وورعه وتقواه، وإكبابه على العلم([32])، وقرأ عليه عبد الملك بن عبد الرحمن الأنصاري([33])، وأخذ الشهيد القبري القراءات عن أبي القاسم بن النخاس، وتصدر للإقراء بإبذه([34]) وأخذ عنه أبو الحسن الشقوري قراءة نافع، وهو معدود في شيوخه([35])، وكان الشهيد تاشفين المكتب([36]) زاهداً، عابداً، معلماً بالقرآن وله حظ في قرض الشعر([37])، كما أخذ ابن الأبار قراءة نافع عن أبي حامد البلنسي([38]).

ومما يسترعي الانتباه استشهاد ثلاثة من كبار القراء في المجزرة الرهيبة التي، أوقعها الروم في ميورقة عام(627هـ= 1229م)، بعد استيلائهم عليها، وهم يقاومون الغزاة ويحثون على الجهاد، حيث أُسر أبو الحسن المطرقة([39])، وهو يحث الناس على الجهاد والصمود في

---

[29] هو أبو داود بن يحيى المقرئ (ت519هـ= 1124م) من أهل دانية ، كان عالماً بالقراءات وتلا بالسبع أخذت عنه القراءات ومن أشهر تلاميذه أبو الحسن الأنصاري وابن عروس، وقاسم بن عبد العزيز.(ينظر: ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ص547).

[30]ابن الأبار، التكملة، ج3، ص189؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج36، ص386.

[31] ابن الأبار، التكملة، ج4، ص154.

[32] السيوطي، طبقات الحفاظ،ج1، ص96؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج4،ص34؛ الذهبي، سير، ج19، ص378.

[33] ابن الأبار، المعجم، ج1، ص247.

[34] إبذة مدينة بالأندلس بينها وبين يابسة سبعة أميال، وهي مدينة صغيرة وعلى مقربة من النهر الكبير بها مزارع وغلات وقمح وشعير كثيرة جداً، وفي سنة(609هـ=1212م)، مالت عليها جموع النصرانية بعد كائنة العقاب، ولم ترفع تلك الجموع يداً عن قتالها حتى ملكتها بالسيف(ينظر: الحميري، الروض المعطار، ج1، ص6؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ج1، ص6).

[35] ابن الأبار، التكملة، ج3، ص71.

[36] هو أبو محمد تاشفين بن محمد المكتب من أهل فاس كان زاهداً عابداً معلماً بالقرآن له حظ من الشعر ودخل الأندلس غازياً وقدم قرطبة في ذي الحجة سنة 608هـ فأقام هناك أياماً يلقي الزاهد بن ثم خرج إلى غزوة العقاب التي استشهد فيها (ينظر : ابن الأبار ، التكملة لكتاب الصلة ، ج1، ص190).

[37] ابن الأبار، التكملة ، ج1، ص190 .

[38] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج46، ص166.

[39] هو الحافظ علي بن أحمد العبدري الميورقي(ت:627هـ= 1229م)، يعرف بأبي الحسن بن المطرقة، روى عن كبار علماء جزيرة منورقة وعلماء المشرق، وحدث في بلده إلى أن تغلب الصليبيون عليها، ووقع= =في

وجه الغزاة، وكان قد أدى فريضة الحج، وأخذ عن علماء المشرق، وعاد إلى بلده، وتصدر بــه لإقراء القرآن، وكان خطيب جامع مدينة ميورقة، وتوفي بأسر الروم بعــد تغلــبهم علـــى بلـــده بخمسة وأربعين يوماً([40])، وعبد الملك بن إبراهيم بن هارون العبدري الميورقي الذي قتل فـــي المجزرة، وكان مُقرئاً مُجوداً تصدر لإقراء القرآن واستشهد إثـــر تغلـــب الـــروم علـــى مدينـــة ميورقة([41])، وأبو إسحاق الغرناطي([42])، الذي أخذ عن علماء قرطبـــة، وغرناطـــة، والمريـــة، ومالقة القراءات السبع "وكان من أهل المعرفة الكاملة في علوم القرآن ويتقن علـــم القـــراءات، ويشارك في علوم عديدة، ثم استقر بجزيرة ميورقة وتصدر للإقراء، وتقلد قضاءها، وأخذ الناس عنه، وانتفعوا به، إلى أن تغلب الروم عليها فاستشهد"([43]).

ويبدو واضحاً اهتمام العلماء بالقراءات عامة، وبقراءة نافع خاصة، ويرجع ذلك حـــسب اعتقادي إلى أسباب عدة أهمها:

1- لأن رحلتهم كانت غالباً إلى الحجاز، وهو منتهى سفرهم، والمدينـــة يومئـــذ دار العلـــم، فاقتصروا على الأخذ عن علماء المدينة([44]).

2- إصدار الحكم مرسوماً يتضمن تهديداً لمن يخرج عن مذهب مالك([45]).

3- تشابه العقليتان الحجازية والأندلسية، فالبداوة كانت غالبة على أهل المغـــرب والأنـــدلس، ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق، فكـــانوا لأهـــل الحجـــاز أميـــل لمناســـبة البداوة([46]).

4- انتشار قراءة نافع في المدينة معقل الإمام مالك، مما ساعد على نقلها مع المذهب المالكي إلى الأندلس، فكما أخذوا بفقه أهل المدينة أخذوا بقراءتهم([47]).

الأسر، وتوفي في الأسر بعد خمسة وأربعين يوماً(ينظر: ابن عبدالملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ج1، ص183).

[40] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ج1، ص183.

[41] ابن الأبار، التكملة، ج3، ص85؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ج1، ص12.

[42] هو إبراهيم بن الحاج أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان الأنصاري، يكنى بأبي إسحق الغرناطي لنشأته فـــي غرناطة(ت:627هـــ=1229م)، واستقر في جزيرة ميورقة في جوار أميراها اسحق بن محمد بن غانية، فقلده قضائها، وتصدر للإقراء، وأخذ الناس عنه وانتفعـــوا بـــه، إلـــى أن تغلـــب الـــروم علـــى مدينـــة ميورقـــة فاستشهد(ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج1، ص 133).

[43] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص133.

[44] القنوجي، أبجد العلوم، ج2، ص410.

[45] التطواني، أصول المذاهب، ج1، ص 13.

[46] القنوجي، أبجد العلوم، ج2، ص410.

[47] التطواني، أصول المذاهب، ج1، ص 13.

2- علم الحديث:

هو علم يعرف به أقوال النبي(ﷺ) وأفعاله وأحواله([48])، والحديث الشريف هو أحد أصلين قام عليهما التشريع الإسلامي، باتفاق جميع المذاهب الإسلامية، ومن هنا نرى الحديث الشريف يلي القرآن الكريم في الأهمية، وكان له رجال عرفوا باسم المحدثين([49]).

وقد نال الحديث الشريف حظاً وافراً من جهود الفقهاء، كونه المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، كما أن له أثراً كبيراً في تنظيم أحوال المسلمين، وبيان ما لهم من حقوق، وما عليهم من واجبات([50]).

ولقد اهتم الأندلسيون اهتماماً كبيراً بالحديث وعلومه، وروايته وإسماعه للعامة والخاصة؛ لتعليم الناس دينهم، ونيل الأجر والثواب من الله عز وجل، قال تعالى: "**مَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً**"([51]).

وكان لعلم الحديث شهرة واسعة عند علماء الأندلس، وكان للعلماء الشهداء حظ وافر منه، بصفة عامة، ومن الذين اشتهروا بهذا العلم أبو الربيع الكلاعي "شيخ الحديث والبلاغة بالأندلس، وكان من كبار أئمة الحديث، إماماً في صناعة الحديث بصيراً، حافظا حاملاً عارفاً بالجرح والتعديل، تام المعرفة بطرقه ضابطاً لأحكام أسانيده، ذاكراً للمواليد والوفيات يتقدم أهل زمانه في ذلك"([52])، سمع ببلنسية، ومرسية، وشاطبة، وإشبيلية، ومالقة، ودانية، وسبتة، وجمع مجاميع تدل على غزارة علمه، وكثرة حفظه، ومعرفته بهذا الشأن([53]) وله تصانيف مفيدة في فنون عدة منها: "كتاب الاكتفا في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء"، و"مصباح الظلام في الحديث"، و"الأربعون" عن أربعين شيخاً لأربعين من الصحابة، و"الإعلام بأخبار البخاري"([54])، و"نكتة الأمثال"، و"نفثة السحر الحلال"، و"المسلسلة والإرشادات"([55])، و"الأربعون السباعية"، و"السباعيات في حديث الصدفي"، و"حيلة الأمالي في الموافقات الموالي"، و"تحفة الوارد ونخبة الرائد"، و"ميدان السابقين وحيلة الصادقين المصدقين" في عرض كتاب الاستيعاب ولم يكمله،

---

[48] **مصطفى، المعجم الوسيط، ج1، ص160.**

[49] **السمعاني، أدب الإملاء والاستملاء، ج1، ص9.**

[50] **عطية، تاريخ التعليم، ص69.**

[51] **سورة النساء، الآية 80.**

[52] **ابن الأبار، التكملة، ج4، ص100؛ الذهبي، سير، ج23، ص138 ؛ ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص463؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5، ص263؛ ابن العماد، شذرات، ج5، ص163.**

[53] **الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج4، ص 141؛ الذهبي، سير، ج23، ص134، 138.**

[54] **الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج4، ص142؛ ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج2، ص81.**

[55] **النباهي، المرقبة العليا، ج1، ص119.**

و"المعاجم فيمن وافقت كنيته كنية زوجته من الصحابة رضي الله عنهم"، و"المعجم في مشيخة أبي القاسم بن جبيش" وبرنامج في رواياته، و"جني الرطب في سيئ الخطب"، و"اختراع الأمثال"، و"معارضة القلب العليل"، و"منابذة الأمل الطويل بطريقة أبي علي المقرئ في ملقى السبيل"، و"مجاز فتيا اللحن اللاحن الممتحن" يشتمل على مائة مسألة ملغزة في نتيجة الحب الصميم، و"زكاة المنظوم والمنثور"، و"الصحف المنتشرة في القطع العشرة"، وديوان رسائل، وديوان شعر([56])، ويقول ابن الأبار تلميذ الكلاعي: "انتفعت به في الحديث كل الانتفاع "([57])، وكتب الكلاعي بالإجازة لأبي محمد المنذري([58]) عام(614هـ=1217م)([59]).

وجلس أبو علي الصدفي للإسماع بجامع مرسية،" وكان عالماً بالحديث وطرقه عارفاً بعلله ورجاله بصيراً بالجرح والتعديل، مليح الخط جيد الضبط، كثير الكتابة، حافظاً لمصنفات الحديث ذاكراً لمتونها وأسانيدها، وكان قائماً على الصحيحين بالإضافة إلى جامع أبي عيسى الترمذي"([60])، وروى عنه محمد بن عيسى الغافقي من أهل مرسية وحدث عنه بالموطأ([61])، وأجاز لابن جنان جميع رواياته عام(509هـ=1115م)([62])، وقال ابن بشكوال:"هو أجل من كتب لي بالإجازة عام(512هـ=1118م)"([63]) .

ومن أشهر علماء الحديث أبو عبدالله الرشاطي، كان محدثاً متقناً، ذاكراً للرجال، حافظاً لأنسابهم([64])، وله مؤلفات عدة أشهرها كتاب "اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار"، أخذه الناس عنه وأحسن فيه، وجمع ما قصر([65])، وكتاب "الإعلام بما في كتاب المختلف والمؤتلف للدار قطني من الأوهام"، وكتاب "إظهار فساد الاعتقاد"، وكتاب

---

[56] الذهبي، سير، ج23، ص138؛ ابن فرحون، الديباج، ج1، ص122،123.

[57] الذهبي، سير، ج23، ص138.

[58] هو عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد(ت:656هـ=1258م)، يكنى أبو محمد المنذري شيخ الإسلام، قرأ القرآن وتأدب وتفقه، وسمع في أماكن مختلفة وعمل معجمه في مجلد، واختصر صحيح مسلم وسنن أبي داود، كان عالماً بالحديث، وقرأ بالسبع(ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج4، ص153).

[59] الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج4، ص142؛ الذهبي، سير، ج23، ص138.

[60] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج35، ص369؛ الذهبي، سير، ج19، ص378.

[61] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص351.

[62] ابن الأبار، المعجم، ج1، ص156.

[63] الذهبي، سير، ج19، ص378.

[64] ابن فرحون، الديباج، ج1، ص68؛ المقري، نفح الطيب،ج4، ص 462؛ الذهبي، سير،ج20، ص259.

[65] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج36، ص538؛ الصفدي، الوافي بالوفيات،ج17، ص175؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص462.

انتصاره من القاضي أبو محمد بــن عطيــة، واستــشهد فــي تغلــب الــروم علــى المريــة عام(542هـ=1147م) ([66]).

وكان أبو عمر بن عات من أكابر المحدثين وجلة الحفــاظ المــسندين للحــديث يــسرد الأسانيد والمتون غيباً، فلا يخل بحفظ شيء منها([67])، وكان أهل شاطبة يفاخرون به، قــال أبــو عمر عامر بن نذير: "لازمته مدة ستة أشهر فلم أرَ أحفظ منــه، وحــضرت إســماع الموطــأ، وصحيح البخاري منه، فكان يقرأ من كل واحد من الكتابين نحو عشر أوراق عرضاً بلفظه كــل يوم عقب صلاة الصبح لا يتوقف في شيء من ذلك([68])، وله تواليف دالة على سعة حفظه منها: "التعريف بشيوخ الوجهة"، وهو كتاب حافل وجامع، وكتاب "ريحانة التنفس وراحة الأنفس"([69])، ويروى عنه أنه حدث في المدينة المنورة([70])، وقال ابن الأبار: "هــو ممــن أجــاز لــي "([71])، واستشهد في وقعة العقاب(609هـ=1212م)([72]).

وكان ابن أبي مروان، حافظاً محدثاً، عالماً بالحديث ورجاله على طريقه ابن حزم، ولــه تأليف مفيد في الحديث سماه "المنتخب المنتقي"، جمع فيه ما اختلف من أمهات المسندات، وعليه بنى عبد الحق أحكامه([73])، وله كتاب في الأحكام وهو نسختان كبرى، وصغرى، وكتــاب فــي "الجمع بين الصحيحين"، وكتاب في "الجمع بين المصنفات الستة"، وكتاب في "الرقائق المخرجــة من الصحاح"، وكتاب في "التهجد"، وكتاب في "فضل الحج"([74])، استشهد في كائنة لبلة([75])([76]).

---

[66] الذهبي، سير، ج20، ص259؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج1، ص199؛ الزركلي، الأعلام، ج4، ص105.

[67] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص90؛ ابن فرحون، الديباج، ج1، ص36؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص602؛ ابن العماد، شذرات، ج5، ص37.

[68] المقري، نفح الطيب، ج2، ص602.

[69] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص90؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص602 .

[70] السخاوي، التحفة اللطيفة، ج1، ص157.

[71] المقري، نفح الطيب، ج2، ص603.

[72] اليافعي، مرآة الجنان، ج4، ص18.

[73] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص55؛ الــذهبي، تــاريخ الإســلام، ج37، ص353؛ الــذهبي، ســير، ج20، ص249؛ الزركلي، الإعلام، ج1، ص164.

[74] الذهبي، سير، ج20، ص249؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج18، ص40.

[75] لبلة مدينة قديمة في غرب الأندلس بها ثلاث عيون، تعرف لبلة بالحمراء وفيها أثار كثيرة وهــي مدينــة مسورة وسورها منيع ونهرها بأتيها من ناحية الجبل، كورها جامعة لفوائد الكور، حدثت بها كائنة سقط فيها العديد من لشهداء عند ثورة أهلها على حكم المــرابطين عــام (549هـــ= 1154م)(ينظــر: الحميــري، جزيرة الأندلس، ج1، ص59).

وعني الشهيد ابن أبي الخصال بالحديث فأتقنه، وكان عالماً بالأخبار، ومعاني الحديث، قرأ على أبي علي الصدفي صحيح مسلم وجامع الترمذي، وسمع مصنف أبي داود، وأكثر من صحيح البخاري، وكتاب عبد الغني "مشتبه النسبة"([77])، استعمله ولاة لمتونة وأمراؤها في الكتابة بمراكش و بفاس، وله رسالة بديعة([78])، وله كتاب "منهاج المناقب ومعراج الحاسب الثاقب" في نسب الرسول(ﷺ)([79]).

ومن أشهر علماء الحديث المحدث الأندلسي المقرئ، شيخ القراء والمحدثين الشهيد أبو عمر بن عياد، كان حجة في صناعة الحديث، بصيراً بتراجم الرجال، يجمع الدفاتر والدواوين([80])، وله تصانيف منها: "شرح المنتقي لابن الجارود"، وشرح كتاب "الشهاب"، وكتاب "الكفاية في مراتب الرواية"، و"الأربعين في الحشر"، و"الأربعين في العبادات"، وكان قد شرع تذييل "صلة ابن بشكوال"([81]).

كما اشتهر من كبار علماء الحديث الشهيد ابن القصير، "وكان من بيت علم، بصيراً بصناعة الحديث، كثير العناية بالرواية، واستقلال بعقد الشروط و مشاركة في العلوم، سمع الحديث المسلسل، وله تواليف منها: كتاب "استخراج الدرر"، و"عيون الفوائد" و"الخبر"، وكتاب "مناقب أهل عصره"([82]).

واشتهر أيضاً الشهيد أبو الحجاج القضاعي، وكان محدثاً صحيح السماع، سمع جامع الترمذي، وصحيح مسلم، ومقامات الحريري، وحدث بالكثير، وحدث عنه أبو عبد الله النميري([83])، وأبو الوليد بن الدباغ، وأبو القاسم بن بشكوال([84]).

---

[76] الزركلي، الأعلام، ج1، ص164.

[77] ابن الأبار، المعجم، ج1، ص63.

[78] ابن الأبار، التكملة،ج3، ص75.

[79] أبو زيد، طبقات النسابين، ج1، ص20.

[80] الذهبي، تاريخ الإسلام،ج4، ص191؛ الذهبي، سير، ج21، ص181؛ الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج2، ص554؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، ج1، ص100.

[81] الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج4، ص108؛ الذهبي، سير، ج21، ص181 .

[82] ابن الأبار، التكملة، ج3، ص75.

[83] هو محمد بن عبد الرحمن بن علي(ت:610هـ= 1213م) يكنى أبو عبد الله النميري الغرناطي، تجول في بلاد الأندلس طالباً للعلم، ثم حج ولقي الحافظ السلفي وغيره واستوطن تلمسان، وكان حافظاً للحديث محافظاً على إسماعه، ومن تواليفه برنامجه الأكبر والأصغر و معجم شيوخه(ابن الأبار، التكملة، ج2، ص102؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص379).

[84] ابن الأبار، التكملة، ج4، ص206؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج40، ص192.

ومن العلماء الشهداء الذين اشتهروا بالحديث ابن بطال([85])، صاحب كتـــابي"صـــناعات الفؤاد" و"مناظرة الخريف والشتاء"([86])، والمحدث محمد بن أبي الخيار العبدري صاحب كتـــاب "الشجاح" وكتاب "أدب النكاح"([87])، والمحدث أبو الحسن بن أضحى مؤلف كتاب "فوت النفـــوس وإنس الجلوس"([88])، والمحدث أبو العلاء الحضرمي([89]) الذي ألف كتاب في رجال الموطأ سماه "الدرة الوسطى في السلك المنظوم"([90]) والمحدث الزاهد أبو عبد الله بن أبي الحسام، لـــه كتـــاب "في الإجابات والكرامات"([91]).

وممن تصدر لتدريس الحديث، والاشتغال به من العلماء الشهداء، أبو جعفر بـــن بـــصلة ([92])، فقد كان يعقد الشروط، ويقرأ الحديث بالجامع([93])، والشهيد ابن قبروق، الذي صحب أبـــو علي الصدفي وسمع منه، وحدث عنه تلميذه ابن مغاور([94])، والشهيد أبو الحسن البـــاغي الـــذي أقرأ وحدث، وكان إماماً في صلاة الفريضة بمسجد ابن رزق([95])، والشهيد محمـــد بـــن حمـــاد

---

[85] هو عمرو بن زكريا المعروف بابن بطال الأشبيلي(ت:549هــ= 1154م) يكنى أبو الحكم، أخذ القـــراءات عن شريح، والعربية عن أبي الحسن الأخضر، ولي القضاء والخطبة، وحدث، توفي شهيداً على يد أبي زكريا بن يومر القائد الموحدي، ومن آثاره، مناظر الخريف والشتاء، وصناعات الفـــؤاد(ينظـــر: ابـــن عبـــدالملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ج2، ص477 ؛ الباباني، هدية العـــارفين، ج1، ص426؛ كحالـــة، معجـــم المؤلفين، ج8، ص9).

[86] الباباني، هدية العارفين،ج1، ص426؛ البغدادي، اسماعيل باشا، إيضاح المكنون، ج2، ص71.

[87] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص350؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج36، ص175؛ الذهبي، سير، ج20، ص18؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص43.

[88] ابن الفرضي، تاريخ قضاة الأندلس، ج1، ص125.

[89] هو محمد بن إبراهيم الحضرمي(ت:609هــ=1212م)، من أهل إليسانة عمل قرطبة، يكنى عبـــد الله روى عن أبي القاسم بن بشكوال، وصحب أبا محمد القرطبي وأخذ عنه، وولي قضاء موضعه مضافاً إلى الـــصلاة والخطبة لجامعة، واستشهد في وقعة العقاب في منتصف صفر(ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج2، ص100).

[90] ابن الأبار، التكملة،ج2، ص100؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج8، ص197.

[91] عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص23.

[92] هو أحمد بن إبراهيم بن بصلة بن عبد الله بن إبراهيم الأنصاري(ت:734هــ=1133م) أبو جعفر بن بصلة، كان أصله من بلقين واستوطن مالقة وتردد إلى غرناطة، وكان يعقد الشروط، ويقرأ الحديث بالجامع، وكـــان محمود السيرة، ومال أخيراً إلى الحنابلة ولازم الأسفار، حتى استشهد بظاهر جبل الفتح(ينظر: ابـــن حجـــر، الدرر، ج1، ص102).

[93] ابن حجر، الدرر، ج1، ص102.

[94] ابن الأبار، التكملة، ج4، ص167؛ ابن الأبار، المعجم، ج1، ص309.

[95] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ج1، ص387.

العجلاني صحب قاضي الجماعة، وكان من أهل العناية بسماع العلم ورواية الحديث([96])، ومنهم الشهيد أبو عبد الله بن أبي الخصال ممن له اليد الطولى في علم الحـــديث([97])، والمحـــدث أبـــو الفضل الشنتمري، حدث عن أبيه وعن جده أبي الحجاج الأعلم جميع روايته وتواليفه، وسمع من شريح صحيح البخاري وحدث، وقال أبو القاسم الملجوم([98]) بحق الشنتمري "أجاز لـــي جميـــع رواياتي وتواليفي"([99])، وحدث أبو عبد الله بن الحاج الأنصاري، عن أبي عبد الله بن الفخـــار، وعبد الحق بن بونة([100])، وأخذ عنه تلميذه أبو القاسم الملاحي([101])([102])، وأخـــذ أبـــو اســـحق الغرناطي([103]) عن كبار علماء عصره علم الحديث، وكان فيه مجيداً، واستقر بميورقـــة، وقلـــده أميرها محمد بن غانية قضاءها، "أخذ الناس عنه وانتفعوا به، ولم يدخل مثله في دولة بنى غانية وبعدهم، إلى أن استشهد بعد تغلب الروم عليها ([104])، ومن كبار علماء الحديث في ميورقة، أبي

---

[96] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص163.

[97] ابن الأبار، المعجم، ج1، ص306.

[98] هو عبد الرحيم بن عيسى بن يوسف(ت:603هـ= 1206م) يكنى أبو القاسم الملجوم، سمع ببلده على أبيه وعمه، وكبار علماء عصره، كان بصيراً في الحديث والآثار، أخذ عنه الناس واستجازوه(ينظر: ابن الأبـــار، التكملة، ج3، ص63).

[99] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص196.

[100] هو عبد الحق بن عبد الملك بن بونه بن سعيد(ت:587هـ=1191م) يكنى أبو محمد، نزيل مدينة المنكب بالأندلس أجاز له أبو علي بن سكرة، قال ابن الأبار كان عالي الإسناد صحيح السماع، ورحل إلى قرطبة وأخذ عنه جماعة من شيوخ قرطبة، وروى عنه ابن دحية وغيره(ينظر: ابن الأبار،ج3، ص121؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج6، ص47؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج41، ص267).

[101] هو محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن مفرج الغافقي(ت:619هـ= 1222م) من أهل غرناطة يكنى أبو القاسم، كان مقدماً في صناعة الحديث، شديد العناية بالرواية، حسن الخط جيد الضبط، حافظاً لأسماء الرواة، عارفاً بأخبارهم، له العديد من المؤلفات، منها: تاريخ علماء البيرة وأنسابهم، ولمحـــات الأنـــوار ونفحـــات الأزهار، وكتاب أنساب الأمم العرب والعجم وكتاب الأربعين وشُهد له بحفظ أسماء الرجال(ينظر: ابن الأبـــار، التكملة، ج2، ص119؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص50).

[102] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج9، ص386.

[103] هو إبراهيم بن الحاج أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان الأنصاري، يكنى بأبي إسحق الغرناطي لنشأته في غرناطة(ت:627هـ= 1229م) استقر في جزيرة ميورقة في جوار أميرها اسحق بن محمد بن غانية، فقلـــده قضائها، وتصدر للإقراء وأخذ الناس عنه وانتفعوا به، إلى أن تغلب الروم على مدينـــة ميورقـــة فاستـــشهد (ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج1، ص133).

[104] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص133؛ النباهي، المرقبة العليا، ص116.

مروان العبدري الميورقي([105])، عالم جليل، أخذ عنه كثيرون إلى أن استشهد في تغلب الروم على بلده، وروى أبو الحسن المطرقة عن علماء جزيرة ميورقة وعلماء الشرق، وحدث في بلده إلى أن تغلب الروم عليها، ووقع في أسرهم، وتوفي في الأسر([106]).

3- علم الفقه:

الفقه هو العلم الذي يتناول القرآن والحديث، بقصد الفهم واستخراج الأحكام، وقد كان للفقهاء منزلة عظيمة لدى الأندلسيين، و"للفقه رونق ووجاهة، وكانت سمة الفقه عندهم جليلة" ([107])، حتى لقد تسمى بعض السلاطين وكبار رجال الدولة باسم الفقيه، ومنهم محمد الفقيه ثاني سلاطين بني نصر([108]).

ويقول ابن خلدون في تعريف الفقه: "بأنه معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب، والحظر، والندب، والكراهية، والإباحة، وهي متلقاة من الكتاب والسنة، وما نص به الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة، قيل لها فقه"([109]).

وقد برع العلماء الشهداء بالأندلس في علم الفقه وأصوله وفروعه، واستنبطوا الأحكام الشرعية من مصادرها المرسلة، وعلى رأسها القرآن الكريم، والسنة النبوية، لمعرفتهم الواسعة بكتاب الله قراءة وتفسيراً، وبسنة رسوله حفظاً، وفهماً، واستيعاباً، وقد استخدموا القياس، والاستحسان، والإجماع، والاستصلاح، في استنباط الأحكام الشرعية، التي هي أساس الفقه وأصوله([110]).

ويرى ابن خلدون أن علم الفقه:"أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدراً وأكثرها فائدة "([111]).

ولقد كان للعلماء الشهداء نصيباً وافراً من الفقهاء، الذين كان لهم دوراً بارزاً في الحياة العامة والخاصة، لأهل الأندلس منهم: الشهيد ابن الفرضي([112])، كان فقيها عالماً في فنون العلم،

---

[105] هو عبيد الله بن هاشم(ت:627هـ=1229م)، أبو مروان العبدري السرقسطي قرأ وروى عن أبي هارون بن أبي درهم صحيح البخاري وأجاز له بسرقسطة(ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج2، ص310).

[106] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ج1، ص183.

[107] المقري، نفح الطيب، ج1، ص221.

[108] ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص172.

[109] ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص255.

[110] سيسالم، عصام، جزر الأندلس المنسية، ص499.

[111] ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص250.

[112] هو الوليد بن محمد الأزدي الأندلسي القرطبي المعروف بابن الفرضي(ت403هـ=1112م)، كان فقيهاً عالماً بفنون العلم والحديث، وعلم الرجال والأدب البارع، وله من التصانيف تاريخ علماء الأندلس، وله= كتاب المؤتلف والمختلف في مشتبه النسبة، وكتاب أخبار شعراء الأندلس، رحل إلى المشرق وحج وأخذ عن العلماء وسمع منهم(ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق1، مج1، ص614؛ الذهبي، العبر، ج3، ص87).

وله تصانيف عدة فيها، ومن أشهرها في علم الفقه كتاب "حسن المؤتلف والمختلف ومشتبه النسبة"([113])، والفقيه الشهيد محمد بن أبي الخيار العبدري الذي كان مستبحراً في علم الرأي، وقعد للتدريس وله تنابيه على المدونة، وقال أبو القاسم بن الحاج: "قرأت عليه المدونة تفقهاً أعواماً"، وله من التواليف كتاب "الشجاح" وكتاب "أدب النكاح"([114])، وكان الشهيد ابن القصير، فقيهاً مشاوراً، له خبرة واسعة، أخذ عن العلماء الأعلام أمثال: أبي الفضل عياض، وابن الباذش وابن العربي، وله تأليف وخطب ورسائل ومقامات، وجمع مناقب من أدركه من أهل عصره، واختصر كتاب "الجمل" لابن خاقان الأصبهاني، وألف برنامجاً يضم رواياته([115])، والفقيه الشهيد أبو الحسن بن أضحى، مؤلف كتاب "قوت النفوس وإنس الجلوس"([116])، وكان الشهيد أبو عمر بن عياد فقيهاً عالماً جليلاً، شارك في علوم عدة وله العديد من التواليف أشهرها "الكفاية في مراتب الرواية"، و"المرتضى في شرح المنتقى" لابن الجارود، و"بهجة الألباب في شرح الشهاب"، و"الأربعون حديثاً في النشر وأهوال الحشر"، وأربعون حديثاً في وظائف العبادة، و"المنهج الرائق في الوثائق"، و"بهجة الحقائق في الزهد والرقائق"، وكتاب "طبقات الفقهاء" من عصر ابن عبد البر إلى عصره، وشرح في تذبيل كتاب ابن بشكوال([117])، وكان الشهيد أبو الحسن الأنصاري فقيهاً مشاوراً، له مؤلفات عدة منها: "الاستذكار"، وشرح في رقائق ابن المبارك، سماه "رمز الحدائق"([118])، ومنهم ابن جزي الكلبي، "كان فقيهاً قائماً على التدريس، جماعة للكتب، ألف "وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم"، و"الأنوار السنية في الكلمات السنية"، وكتاب "الدعوات والأذكار"([119]) .

وتذكر المصادر الإسلامية عدداً كبيراً من الفقهاء الشهداء، الذين لهم باع طويل في تدريس الفقه، منهم: أبو الحسن القرشي الزهري، كان فقيهاً مشاوراً، محدثا متقدماً بنفسه وبشرفه ناظر في المدونة وحُدث عنه([120])، والفقيه أحمد بن أحمد الأميبي كان يدرس الفقه، ويعقد

---

[113] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج17،ص286؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج3، ص5؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص129.

[114] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص350؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ج1، ص11؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص43؛ الزركلي، الأعلام، ج3، ص294.

[115] ابن فرحون، الديباج، ج1، ص152.

[116] النباهي، المرقبة العليا، ج1، ص125.

[117] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج40، ص191.

[118] المصدر نفسه، ج36، ص511.

[119] ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ج1، ص46.

[120] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج39، ص286.

الشروط مع مشاركة في فنون أخرى([121])، وكان أبو عمر بن عات من الأكابر حافظاً لفــروع الفقه، له معرفة واسعة بالمسائل الفقهية، يعتني بها أشد اعتناء؛ مما جعل أهل شاطبة يفــاخرون به، وله تأليف دال على سعة حفظه([122])، وكان أبو علي الصدفي فقيهاً شديد التدين، مكباً علــى العلم، تصدر لنشر الكتاب والسنة، وتنافس الأئمة في الإكثار عنــه([123])، وكــان أبــو الفــضل الشنتمري فقيهاً مشاوراً مفتياً كاتباً شاعراً، روى عن أبيه وعن جده أبي الحجاج يوسف الأعلــم جميع رواياته([124])، وكان أبو بكر بن الجد(ت:586هـ=1190م)، فقيه عصره، كبيــر الــشأن، وقدم للشورى، وكان أحد الفصحاء والبلغاء، تخرج به أئمة، انتهت إليه رئاسة الفقه أزيــد مــن ستين سنة، وسمع منه أبو الربيع بن سالم أشياء كثيرة([125])، وكان أبو عبــد الله القيــسي فقيهــاً عظيماً، كثير الخير، منقطعاً إلى الله تعالى، طلب العلم ببلده، وأخذ بحظ وافر منه، وتوســع فــي علم السنة، وبالغ في صالح العمل([126])، وكان أبو الحسن بن أضحى فقيهاً متميزاً صاحب بديهة، يعقد الكثير من المناظرات([127])، وكان أبو جعفر الغرناطي(ت:539هـ=1144م)([128]) فقيهــاً جليلاً، استشهد في دخول اللمتونيين غرناطة([129])، وكان أبو الحسن الفارسي فقيهاً عدلاً، جليــل القدر، كامل العناية برواية العلم، اهتم بدراسة الفقه وتدريسه، وكتب بخطه علمــاً كثيــراً([130])، وكان ابن أبي مروان حافظاً محدثاً فقيهاً ظاهري المذهب([131]) على طريقة ابن حزم، له كتــاب "المنتخب المنتقي" جمع فيه ما تفرق في أمهات المسندات من نوازل الشرع، وعليــه بنــى عبــد

---

[121] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص100.

[122] المقري، نفح الطيب، ج2، ص602.

[123] الذهبي، سير، ج 19، ص378؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج13، ص28؛ ابن فرحون، الــديباج، ج1، ص57.

[124] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج38، ص238؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج11، ص113.

[125] الذهبي، سير، ج21، ص179.

[126] عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص23.

[127] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص215.

[128] هو أحمد بن طلحة بن أبي بكر محمد بن أحمد بن طاهر(ت:539هـ=1145م) روى عن أبي بكر عم أبيه وكان فقيهاً جليلاً استشهد في دخول اللمتونين غرناطة(ينظر: ابن فرحون، الديباج، ج1، ص45، 46).

[129] ابن فرحون، الديباج، ج1، ص45.

[130] ابن الأبار، التكملة، ج3، ص208؛ ابن عبد الله المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ج1، ص278؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج39، ص290.

[131] ظاهري المذهب: يعني الأخذ بظاهر نص القرآن والسنة وعدم قبول الرأي و القياس، والظاهرية قد جعلوا المدارك كلها منحصرة في التصوف والإجماع وردوا القياس والعلة والمنصوصة إلى النص، ومن فقهاء هــذا المذهب داود الظاهري، ويعرف أتباعه بالداودية أو الظاهرية(ينظر: حسن، تاريخ الإسلام، ج4، ص425).

الحق أحكامه([132])، وكان أحمد بن محمد بن وسيم من مشاهير الفقهاء، أخذ بحظ وافر من الفقه، بالإضافة إلى علوم عدة، وكان من شدة ورعه أنه إذا مر بذكر الجنة والنار بكى([133]) وكان محمد بن أحمد السكسكي فقيهاً محدثاً، وأخذ عنه جماعة([134])، وتفقه ابن عز الناس ([135]) على يد علماء ميورقة، وكان عالماً مفتياً، استخلصه أبو زكريا يحيى بن غانية، ولازمه ثم استقر في دانية، وقتل مظلوماً على يد عاملها سعد بن مردنيش([136])، وكان عبد الله بن محمد بن وقاص اللمطي، فقيهاً، مفتياً، يستحلف في الأحكام، تفقه بعلماء ميورقة، وتفقه به كثيرون من أهل ميورقة، إلى أن استشهد في الحادثة الكائنة بقصر ميورقة عند وفاة أميرها اسحق بن محمد([137])، وكان إبراهيم بن الحاج الأنصاري، فقيهاً عارفاً بالفقه حافظاً له، بصيراً بالوثائق المختصرة، وله معرفة واسعة بمسائل الفقه والشروط، وله فيها مختصر مفيد، كما كان من أهل المعرفة الكاملة في الأحكام، استقر بجزيرة ميورقة، وتفقه به كثيرون من أهل الجزيرة، إلى أن استشهد بعد اقتحام القوات الصليبية مدينة ميورقة([138])، وكان أبو عبد الله القرطبي المعروف بابن الحزقة([139])، فقيهاً مشاوراً، من كبار المفتين بقرطبة عارفاً بمذهب الإمام مالك([140]).

ويبدو واضحاً اهتمام العلماء الشهداء في الأندلس بمذهب الإمام مالك، الذي ظل سائداً حتى سقوط مملكة غرناطة، إذ كثرت المؤلفات الفقهية على مذهبه، وذلك ربما يعود إلى التشابه بين العقليتين الحجازية والأندلسية، كما يلاحظ ازدياد قوة فقهاء المذهب المالكي في عهد

[132] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص55؛ الذهبي، سير، ج20، ص249؛ الزركلي، الأعلام، ج1، ص164.

[133] ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص8؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج28، ص38.

[134] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص71.

[135] هو علي بن صالح بن أبي الليث الأسعد بن فرج بن يوسف(ت:566هـ=1170م)، طرطوشي المولد، ميورقي الإقامة والسكنة، ويعرف بابن عز الناس، تفقه على يد علماء ميورقة، وكان عالماً مفتياً استخلصه أبو زكريا يحيى بن غانيه ولازمه، ثم استقر في دانية، وقتل على يد عاملها سعد بن مردنيش(ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج3، ص204).

[136] ابن الأبار، التكملة، ج3، ص204.

[137] المصدر نفسه، ج2، ص275.

[138] المصدر نفسه ، ج1، ص134.

[139] هو الحسين بن جني بن عبد الملك بن جني، أبو عبد الله القرطبي المعروف بابن الحزقة، روى عن أبي عيسى الليثي، وابن القوطية، وشاوره محمد بن بقي، وكان من كبار المفتين بقرطبة عارفاً بمذهب مالك (الذهبي، تاريخ الإسلام، ج28، ص40).

[140] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج28، ص40.

المرابطين، وذلك ربما يعود إلى تناسب مذهب مالك مع بساطة المرابطين الصحراوية، الذين ينظرون إلى علماء أهل المدينة باعتبارهم رمز الإسلام ورسل المحبة والصفاء([141]).

ب- علوم اللغة العربية:

1- اللغة العربية:

من المؤكد أن العلماء الشهداء بالأندلس اهتموا اهتماماً كبيراً باللغة العربية، وجلس كبار الأدباء والعلماء؛ لتعليمها للناشئة، وأعتقد أن هذا الاهتمام يرجع إلى أسباب عدة منها:

أ- الصلة القوية بين علوم العربية والعلوم الدينية، فهي التي تساعد على فهم معاني ومقاصد القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة؛ لذلك لا نجد خلال العصور الإسلامية عالماً بالشريعة إلا وهو في الوقت نفسه متضلعاً في علوم العربية([142]).

ب- اهتمام أمراء المسلمين باللغة العربية كونها لغة القرآن والعلم، وتشجيعهم لإقامة المدارس المتخصصة بعلوم اللغة العربية، ودعمها، وتشجيع العلماء للاشتغال بها، ومنحهم العطايا، والمكافأت، والجوائز، ودعوتهم إلى مجالسهم، والتقرب إليهم وملازمتهم([143]).

ج- اختلاف العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي من عرب، وبربر، وعجم، ويهود، فكان لا بد من وجود لغة واحدة تجمعهم.

وحظي تعليم اللغة العربية بشكل ملفت للنظر اهتمام العلماء الشهداء بالأندلس إلى جانب العلوم الدينية، فهذا الشهيد ابن الأبار([144]) "كان إماماً في اللغة العربية، فقيهاً، مقرئاً إخبارياً، فصيحاً، له يد في البلاغة، والإنشاء، والنظم، والنثر كامل الرياسة، ذا جلال، وأبهة، وتجمل وافر"([145])، وأخذ الشهيد أبو الحكم البهراني اللبلي العربية عن أبي الحسن بن الأخضر([146])،

---

[141] حسن، تاريخ الإسلام، ج4، ص431.

[142] عبد المهدي، الحركة، ص143.

[143] المدني، الحياة العلمية في فلسطين في مرحلة الصراع الصليبي الإسلامي،(رسالة ماجستير غير منشورة، ص211، الجامعة الإسلامية، 2005م.

[144] هو محمد بن عبد الله أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن(595هـ- 658هـ=1198-1259م)، الحافظ العلامة أبو عبد الله القضاعي البلنسي الكاتب الأديب المعروف بابن الأبار، عنى بالحديث، وجال في الأندلس وكتب العالي والنازل، وكان بصيراً بالرجال، عالماً بالتاريخ، إماماً في العربية فقيهاً، إخبارياً فصيحاً، له يد في البلاغة والإنشاء، كامل الرياسة، وله العديد من المصنفات، قتل مظلوماً بتونس على يد صاحبها (ينظر: ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج2، ص374؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص283).

[145] ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات،ج3، ص374؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص283.

[146] ابن عبدالملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ج2، ص478.

وأخذ الشهيد أبو الحجاج القضاعي العربية عن أبي ذر الخشني([147])، وأبي بكر بن زيدون، وبرع في النحو، وجلس لإقرائه عامة عمره، قال ابن الأبار فيه: "أخذت عنه جملة من كتب النحو واللغة، وأجاز لي" ([148])، وكان الشهيد أبو بكر بن الجد(ت:586هـ=1190م)، أحد الفصحاء والبلغاء، سمع كتاب سيبويه على أبي الحسن بن الأخضر، وأخذ عنه كتب اللغة، وتميز ببراعته في العربية([149])، وأخذ الشهيد أبو الحسن القرشي الزهري العربية عن أبي الحسن بن الأخضر([150])، وكان الشهيد ابن أبي الخصال لغوياً، عالماً بالعربية، متميزاً بالجودة والإتقان([151])، وشارك الشهيد محمد بن إبراهيم الحضري في العربية واللغة([152])، وأخذ الشهيد عتيق بن أحمد بن سلمون، العربية والآداب عن أبي محمد بن عبدون([153])، وتميز بشدة الذكاء والفهم وسمع الشهيد علي بن صالح بن أبي الليث من أبي بكر بن العربي وأبي عمر بن عياد وغيره([154])، وكان جيد الاستنباط، فصيح اللسان، وله مصنفات عدة([155])، ومن أشهر علماء اللغة العربية الشهيد ابن باجة السرقسطي([156])، حيث "كان متميزاً في العربية، والآداب، حافظاً القرآن ... وكان ذا ثقابة ذهن، ولطف الغوص في تلك المعاني الشريفة الدقيقة"([157]).

---

[147] هو مصعب بن محمد بن مسعود الجياني(ت:604هـ=1207م) يعرف بأبي ذر الخشني النحوي اللغوي الفقيه المالكي، صاحب التصانيف وحامل لواء العربية بالأندلس، ولي خطابة إشبيلية مدة، ثم قضاء جيان، وبعد صيته، وصارت الركبان بتصانيفه، توفي وله سبعون سنة(ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج2، ص188؛ ابن العماد، شذرات، ج5، ص14).

[148] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج37، ص132.

[149] الذهبي، سير، ج21، ص 177 - 179.

[150] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج29، ص286.

[151]أبو زيد، طبقات النسابين، ج1، ص20.

[152] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص100.

[153] هو عبد المجيد بن عبد الله بن عبدون الفهري(ت:529هـ= 1135م) يكنى أبو محمد، أديب الأندلس في عصره، وكان كاتباً عالماً بالتاريخ والحديث، ومن محفوظاته كتاب الأغاني، واستوزره بنو الأفطس سنة (485هـ=1092م)، وانتقل بعدهم إلى خدمة المرابطين(ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج19، ص87).

[154] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص23.

[155] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج39، ص286.

[156]هو محمد بن يحيى الصائغ(ت:533هـ=1138م) يكنى أبو بكر، ويعرف بابن باجه، وكان في العلوم الحكمية علامة وقته وأوحد زمانه، وبلي بمحن كثيرة وشناعات من العوام، وقصدوا هلاكه مرات وسلمه الله منهم، وكان متميزاً في العربية والأدب حافظاً للقرآن، و يعد من الأفاضل في صناعة الطب، وكان متقناً لصناعة الموسيقى جيد اللعب بالعود، وله تعاليق في الهندسة وعلم الهيئة تدل على بروعه في هذا الفن، توفى مسموماً، سمه بعض زملائه من الأطباء غيرة وحسداً(ينظر: العماد الأصبهاني، خريدة القصر،

2- **النحو**:

يقصد بالنحو إعراب الكلام العربي، ويقال نحا نحوه أي قصد قصده([158])، ويقال إن أبا الأسود الدؤلي وضع وجوه العربية وقال للناس: انحو نحوه، فسمي نحواً، ومنه سمي النحو؛ لأنه يحرف الكلام إلى وجوه الإعراب"([159]) .

وظهر اهتمام الأندلسيين بالنحو حتى أنه "قد يقال: للنحوي فقيهاً، وكان النحو عندهم من علو الطبقة حتى أنهم ... كأصحاب عصر الخليل وسيبويه، لا يزداد من هرم الزمان إلا جده، وهم كثيرو البحث فيه، وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه، وكل عالم في أي علم لا يكون متمكناً من علم النحو، بحيث لا تخفى عليه الدقائق، فليس عندهم بمستحق للتميز، ولا سالم من الازدراء"([160]).

ويلحق بالنحو علم الصرف، الذي يبحث في اختلاف معنى الكلمة باختلاف صيغتها، وفي أوزان الكلمة، وطريقة تحويلها من صيغة إلى أخرى، وكان تطوره متمشياً مع تطور علم النحو، حتى أن العلماء يعدونها علماً واحداً([161]).

ولقد اشتهر العديد من العلماء الشهداء بإجادة علوم اللغة العربية، وعلم النحو بصفة خاصة منهم: أبو الحجاج القضاعي الذي أخذ العربية عن أبي ذر الخشني، وأبي بكر بن زيدان، كما برع في النحو وجلس لإقرائه عامة عمره، قال فيه ابن الأبار:" أخذت عنه جملة من كتب النحو واللغة، وأجاز لي"([162])، وتصدر عبد الملك بن هارون العبدري الميورقي؛ لتدريس علم النحو في ميورقة، إلى أن استشهد بعد اجتياح القوات الصليبية لأسوار مدينة ميورقة عام(627هـ= 1229م)([163])، وكان ابن مرطير([164])أديباً، نحوياً مائلاً إلى طريق التصوف

ج3، ص68؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الإنباء،ج1، ص 239؛ المقري، نفح الطيب،ج7، ص17؛ فنديك، اكتفاء القنوع، ج1، ص191).

[157] **ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج1، ص340.**

[158] **الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص271.**

[159] **ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص310.**

[160] **المقري، نفح الطيب، ج1، ص221.**

[161] **عطية، تاريخ التعليم، ص152.**

[162] **الذهبي، تاريخ الإسلام، ج46، ص276.**

[163] **ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ج1، ص2 .**

[164] **علي بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن يوسف(ت:568هـ= 1172م) من أهل مرباطر وسكن بلنسية، ويكنى أبا الحسن ويعرف بابن مرطير، وكان أديباً نحوياً مائلاً إلى طريق التصوف مؤثراً للقناعة، استشهد في الكائنة على أهل بلنسية(ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج3، ص209).**

مؤثراً للقناعة، أخذ عن كتاب سيبويه، وتصدر لتدريس الأدب والنحو([165])، وكان أحمد بن عبد الولي البتى كاتباً، شاعراً بليغاً قائماً على الأدب، وكتب النحو، واللغة، والأشعار الجاهلية والإسلامية([166])، وتصدر أبو بكر البلنسي النحوي؛ لتدريس النحو، والقراءات ببلده، حتى استشهد في كائنة غربالة([167])، وسمع أبو عبد الله الغلاظي ([168]) من أبي محمد بن بري، وجلس لتدريس النحو في بلده([169]).

3- الأدب:

أ- **الشعر:**

الشعر أكثرعلوم العرب شيوعاً، فقد بلغوا به الذروة، فهو سجل أخلاقهم في الديانة، والعادات، والأنساب، والحروب، ولذلك قيل: الشعر ديوان العرب، ومدحه النبي(ﷺ) فقال: "إن من الشعر لحكمة"([170]).

و"كان الشعر عندهم له حظ عظيم، وللشعراء من ملوكهم وجاهة، ولهم عليه حظ ووظائف، والمجيدون منهم فهم ينشدون في مجالس عظماء ملوكهم المختلفة، ويرجع لهم بالصلات على أقدارهم"([171]).

وكان لرسوخ اللغة العربية بين أهل الأندلس، وجمال طبيعتها، و نباهة أهلها، عوامل رئيسة في ظهور عدد كبير من الشعراء و الأدباء في الأندلس([172])، وقد برع العلماء الشهداء في أغراض متعددة من الشعر منها: المديح، والغزل، والزهد، والرثاء.

فقد مدح الشهيد أبو القاسم بن جزى الكلبي النبي(ﷺ) بقوله:

أَرومُ([173]) امتداحَ المصطفى فيصدني   قصوريَ عنْ إدراكِ تِلك المناقبِ

---

[165] **ابن الأبار، التكملة، ج3، ص209.**

[166] **المصر نفسه، ج1، ص30.**

[167] **الذهبي، تاريخ الإسلام، ج40، ص310.**

[168] **هو محمد بن إبراهيم بن يحيى بن محمد الأنصاري الخزرجي(ت:642هـ=1244م) يعرف بالغلاظي ويكنى أبا عبد الله، سمع أبا القاسم بن حبيش وأكثر عنه، واستشهد يوم الجمعة في التاسع والعشرين من ذو القعدة، قتله الروم عند تغلبهم على المركب الذي ركب فيه من ساحل قرطاجنة(ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج2، ص148).**

[169] **ابن الأبار، التكملة، ج2، ص147.**

[170] **البخاري، صحيح، ج1، ص66، رقم الحديث:5679؛ ابن ماجة، سنن، ج11، ص186، رقم الحديث:3745.**

[171] **المقري، نفح الطيب، ح1، ص222.**

[172] **سيسالم، جزر الاندلس المنسية، ص531 .**

ومالي بحصرِ البحرِ والبحرُ زاخرٌ ومنْ لي بإحصاءِ الحصى والكواكبِ
ولو أنَّ أعضائي غدت وهي السُنا إذاً لَّمـــا بلغتْ في المدحِ بعض مآربي
فَأسكْــتُ عنـــه هيبـــةً و تأدبـــاً وعجـــزاً وإعظامـــاً لأرفـــعَ جانـــبِ
وَرُبَّ سكـــوتٍ كان فيه بلاغـــةٌ ورُبَّ كلامٍ فـــيه عَتْـــب لعـــاتِبِ[174].

ومدح ابن المهيرس[175] الوزير أبا العلاء بقوله:

ألا خُـــذهـــا إليـــكَ أبـــا العـــلاء حلـــى الأمـــدح ترفـــلُ في الثَّنـــاءِ
وَهَبهـــا قِيْنـــةً تُجلـــي عروســـاً خَضيبَ الكفّ قـــانيـــةَ الرواءِ[176]
لأجعلهـــا محـــلَّ جليس أُنســـي وأغَنْـــى بالهديلِ عن الغنـــاءِ [177].

ومدح الشاعر أحمد الكورايي[178] الأمير يوسف بن عبد المؤمن قائلا:

إنَّ الإمامَ هـــو الطبيبُ وقدْ شفـــى عللَ البرِّيـــة ظاهراً ودخيلا[179]
حملَ البسيطةَ وهي تحملُ شخصهُ كالروحِ توجدُ حاملاً محمولاً[180].

ومدح الفقيه الكاتب الشهيد أبو زكريا يحيى بن خلدون[181] السلطان أبا حمو[182] صـــاحب تلمسان بقوله:

---

[173] أروم: رام الشيء طلبه(ينظر: الرازي ، مختار الصحاح، ج**10**، ص**111**).

[174] ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ج**1**،ص**48**؛ المقري، نفح الطيب، ج**5**، ص**516**.

[175] هو أبو محمد عبد الله بن عمر الاشبيلي الملقب بالمهيرس، كان بمراكش كاتباً عن ابن الشهيد مدبر دولة يحيي بن الناصر، استشهد في إحدى المعارك المراكشية(ابن سعيد، المغرب،ج**1**، ص**253**).

[176] الرواء : حسن المنظر في البهاء والجمال(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج**14**، ص**295**).

[177] المقري، نفح الطيب،ج**3**،ص**431**؛ ابن سعيد، المغرب، ج**1**، ص**253**.

[178] هو الأديب أبو العباس أحمد بن عبد السلام الكواريي من كواريا، وكواريا قبيلـــة مـــن البربـــر منـــازلهم بضواحي مدينة فاس، وكان نهاية في حفظ الأشعار القديمة والمحدثة، وتقدم في هذا الـــشأن وجـــالس بـــه عبدالمؤمن ثم ولده يوسف ثم ولده يعقوب،وقد ألف كتاب "صفوة الأدب وديوان العرب" فـــي مختـــار الـــشعر للخليفة أبو يعقوب(ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج**7**، ص**137**،**136**).

[179] دخيلا: المداخل المباطن الذي يداخل في الأمور ويختص بها(ينظر: ابن منظـــور، لـــسان العـــرب، ج**1**، ص**241**).

[180] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج **7**، ص **137** ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،ج**42**، ص**590**؛ الناصري، الاستقصا ،ج**2**، ص**158**.

[181] هو يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن خلدون الحضرمي(ت**780**هـــ=**1378**م) ولد بتـــونس وسكن فاس، واستكتبه السلطان ابن زيان، واعتقل، ثم قتل بتلمسان، ومن آثار هذا المورخ كتاب بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد وأيام أبي حمو الشامخة الأطواد(ينظر: ابن أبي الرضا الحموي، معجـــم المـــؤلفين، ج**13**، ص**228**؛ المقري، نفح الطيب، ج**6**، ص**510**).

ماعلى الصبّ فـــي الهوى من جُناحِ أن يُرَى حِلْفَ عــبرةٍ وافتضـــاحِ
وإذا مـــا المحـــبُّ عيـــلَ اصطباراً كيف يُصغـــي إلى نصيحـــةِ لاحِ
يا راعـــى الله بالمحصَّبِ(183) رَبعاً ذنتْ عهده النـــوى بـــانتزاحِ(184)
كم أدرنا كأسَ الهـــوى فـــيه مزحاً رُبَّ جّد من الجوى(185)في المزاحِ
هل إلـــى رَسْمـــه المحيلِ سبيـــلٌ ياحُداة المطيِّ(186)تلك الطّلاحِ(187)
تسألُ الـــدارَ بـــالخليـــطِ و نسقـــي ذلك الرَّبْـــعَ بالدموعِ السِّفاحِ(188).

ومدح الشهيد الفتح بن خاقان، السلطان أبا يحيى بن الحجاج بقوله:

أكعبـــةَ عليَـــاءٍ وهَضْبَـــة سُـــؤددٍ وَرَوْضَـــةَ مَجْدٍ بالمَفاخر تُمْطَـــرُ
هَنيئـــاً لمُـــلكٍ زانَ نُـــورُك أفْقَـــه وفي صَفْحَتيه من مضَائِك أَسْطُرُ
وإنـــي لخفَّـــاق الجَناحَيـــن كلمّـــا سَرَى لك ذكرٌ أو نَسيـــم مُعَطَّـــرُ
فهل لك في وُدِّ زَوَى لك ظـــاهراً وباطِنُـــه يَنْـــدَى صَفَاءً ويَقْطُـــرُ
ولستُ بِعِلْقٍ(189) بيعَ بَخْساً وإنْني لأَرْفَعُ أعْلاقِ الزمان وأنْضَرُ(190).

وأظهر ابن الأبار إعجابه بمراكب الحرب، فراح يصفها بقوله:

يا حَبَذا منْ نباتِ المـــاءِ سابحـــةً تَطْفُـــو لما شبَّ أهل النـــارِ تطفئُـــهُ
تُطيرُها الريـــحُ غِرْباناً بأجنحـــةٍ الحمائـــم البيضِ للإشـــراكِ تـــرزؤهُ
من كـــلّ أدهـــمَ لا يُلفى به جَرَبٌ ممـــا لـــراكبـــه بـــالـــقارِ يـــهنئـــوهُ
يُدعى غُراباً و للفَتْخاء(191) سِرعته وهو ابن ماءٍ و للشاهين جُؤجُؤهُ(192)

---

182 هو أبو حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى(723-791هـ= 1323-1389م) أديب وشاعر، من ملوك المغرب ولد في غرناطة، وانتقل إلى تلمسان، وانتهى المطاف به إلى تونس، وأعانه معاصره مـــن ملوك بني حفص على القيام لاسترداد بلاده من أيدي بني مرين، ومن آثاره السلوك في سياسة الملوك(ينظر: كحالة، معجم المؤلفين، ج13، ص50).

183 المحصب: موضع رمي الجمار في منى (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص319).

184 انتزاح: ذهب وتباعد(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص470).

185 الجوى: الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن، والجوى الهوى الباطن(ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص50).

186 المطي: واحد وجمع يذكر ويؤنث وهو المد في السير(ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص261).

187 الطلاح: نقيض الصلاح أي فاسد لا خير فيه (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص530).

188 المقري، نفح الطيب، ج6، ص510

189 علق: النفيس من كل شيء(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص268).

190 ابن بسام، الذخيرة، ق3.، ج2، ص786؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص251؛ المقري، نفـــح الطيـــب، ج6، ص30.

ونظم العديد من العلماء الشهداء أبياتاً في الزهد، فهذا أبو بكر الغرناطي يقول:

يــأيها المُرتَجــي لُطْــفَ خالــقهِ وفَضلــه في صلاحِ الحــالِ والمــالِ
لو كنتَ توقــنُ حقــاً لُطْفَ قُدْرته فــاشْمَــخ بأنفِــك عن قــيلٍ و قــالِ
فإن للـــه لطفــاً عــزَّ خــالــقــنا عــنْ أن يُقــاس بــتَشْبيــه وتمثــالِ
وكـــل أمْــرٍ وإن أعــياك ظاهــرهُ فالصُّنع في ذاك لا يجري على بالِ([193]).

وانشد القاضي الشهيد أبو الفضل جعفر بن محمد بن يوسف الأعلم، لما رأى الـشيب قـد حـل برأسه قائلا:

عَزفتُ عُزوفَ وأنكرتُ لمَّــا بــدا بــردٌ بــرأســي للمشيبِ مفــوفُ([194])
وتميــزتْ و قــدْ استرابتْ قــولُها فاحمرَ وضاحٌ([195]) وغَمُضَ أوطفُ([196])
ما حــلَ وفــدُ الشيبِ ساحــةَ معْشَرٍ إلا تــنــكــرَ مــنــهــمُ مــا يعــرفُ
إن أنكــرتُ شَيبــي فليسَ بمنكــرٍ ماءِ الفرنــد بصفحتَيــهِ المرهــفُ([197])
والروضُ لا يغتــمُ فــي أوصانــهِ إلا إذا ولـــيَّ الربيعُ الصيــفُ([198]).

ولأبي زيد عبد الرحمن ابن الشيخ المجاهد المقدسي([199]) شعر في شكاية أصابت أباه يقول فيه:

يا دَهــرُ مَــالكَ ضاحكاً وعبوساً أتعيرَنــا بعــدَ النعيــمِ البُؤســا
ولقــدْ عَهدتُــكَ ضَاحكاً متهلــلاً تهــدى القبولَ وتبــذلَ التأنيســا
أتراكَ تَجزعُ من شكايــةِ ماجــدٍ أضحـــى لـــزهرِ النَّيراتِ جَليسا
مَلكٌ تَــدرّعَ مــنْ عنايــةِ ربِّــهِ درعــاً غدتْ للعالميــن لبُوســا

وللوليد بن محمد الأزدي المعروف بابن الفرضي كتاباً في أخبار شعراء الأندلس، وهو نفسه فقيهاً عالماً في فنون العلم، محدثاً أديبا شاعراً، ومن شعره في الزهد:

---

[191] الفتخاء: يقال للعقاب فتخاء(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص41).

[192] الصفدى، الوافي بالوفيات،ج3،ص 284؛ المقرى، نفح الطيب، ج4، ص59.

[193] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص136.

[194] برد مفوف: فيه خيوط بيض، وبرد مفوف أيضاً رقيق(ينظر: الرازي ، مختار الصحاح، ج1، ص215).

[195] وضاح: الرجل أبيض اللون (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص634).

[196] أوطف: كثرة شعر الحاجبين والعينين مع استرخاء وطول(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص357).

[197] المرهف: اللطيف الرقيق(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص128).

[198] ابن عبدالملك المراكشي، الذيل و التكملة، س5، ج1، ص358.

[199] هو أبو زيد بن الشيخ المجاهد المقدّسي(ت:625هـ= 1227م) ولد بعد وفاة أبيه، وولي علـى أفريقيـا، وكان له الأثر الحميد، ثم صرف وانتقل إلى المغرب، وولي بطليوس وثغورها بالأندلس، ولحق بمراكش بعـد ذلك فاستشهد.(ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص280).

أَسِيرُ الْخَطَايَــا عِنْدَ بَابِــكَ وَاقِــفُ   عَلَــى وَجَــلٍ ممَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفُ
يَخَافُ ذُنُوباً لَــمْ يَفِــدْ عَنْكَ غَيْبُهَــا   وَيَرْجوكَ فيهَا وهو رَاجٍ وَ خَائِــفُ
فَمَنْ ذا الذَّي يُرْجَى سِوَاكَ و يُتَّقَــى   وَمَا لَــكَ فِي فَصْلِ الْقَضاءِ مُخَالِفُ
فَيَا سَيِّدي لا تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِــي   إِذَا نُشِرَتْ يَوْمَ الْحِسَابِ الصَّحَائِفُ
وَكُنْ مُؤْنِســي فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ عِنْدَمَا   يَصُدُّ ذَوو الْقُرْبَى ويَجْفُو الْمُوَالِفُ
لَئِنْ ضَاقَ عَنِّي عَفْوُكَ الْوَاسِعُ الَّذِي   أُرجِّي لإِسْرَافِي فَإِنِّــي لَتَالِفُ[200].

وللشهيد أبي الربيع الكلاعي تصانيف، وتواليف مفيدة في فنون شتى، ولــه شــعر فــي الزهد، وضبط النفس، والرضا بالقدر يقول فيه:

إذا بَرِمَــتْ نفســي بِحالٍ أحلتُهــا   علــى أمــلٍ ناءٍ فقرَّت به النَّفــسُ
وأُنْزِلُ إرجــاءَ الرجــاءِ رَكائِبــي   إذا رامِ إلمامــاً بــساحتــيَ اليــأسُ
وإنْ أوحَشتنــي منْ أمانــيَّ نَبْــوة   فلي بالرضا باللهِ والقَدرَ الأنسُ[201].

وكان الشهيد أبو القاسم بن جزى الكلبي فقيها، حافظا، قائما علــى التــدريس، شــاعراً زاهداً، قال مشفقاً متضرعا إلى ربه:

يا ربّ إنَّ ذنوبي اليومَ قدْ عظمتْ   فــما أطيــقُ لها حصراً ولا عــدداً
وليسَ لــي بعذابِ النَّارِ مــنْ قِبَلٍ   ولا أطيــقُ لها صبــراً ولا جلــداً
فانظرْ إلهي إلى ضَعفي ومَسكنتي   ولا تذيقَنــي حَــرَّ الجحيم غداً[202].

كما دعا إلى نشر العلم، وهجر المعاصي والآثام؛ للحصول على الأجر والثــواب فــي قوله:

وكمْ منْ صفحــةٍ كالشمسِ تبــدو   فيُسلــى حسنُهــا قلــبَ الحزيــنِ
غضضتُ الطرفَ عن نظري إليها   محافظةً علــى علمــي و دينــي
وقــائلــةٌ لمــا هجرتَ التصابــيَ   وسنُــكَ فــيْ عــنْفوانِ الشبــابِ
يمــرُ زمــانُ الصبــا ضَــائعــاً   ولــمْ تــلهُ فيــهِ بيضِ الكعــابِ
ولــمْ تــدرِ لــذةَ طيــبِ الهــوى   ولمْ تُروَ منْ سلسبيلِ الرضابِ[203]

---

[200] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص105؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج3، ص186؛ الذهبي، سير، ج17، ص180.

[201] ابن الأبار، التكملة، ج4، ص103؛ الوادي أشي، برنامج الوادي أشي، ج1،ص297؛ النباهي، المرقبة العليا، ج1، ص199؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص332.

[202] ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة،ج1، ص46؛ المقري، أزهار الرياض، ج1، ص298.

[203] الرضاب: ما يرضبه الإنسان من ريقه كأنه يمتصه، ويعني الماء العذب(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص418).

فقلــتُ أبـــى العـــلــمُ إلا التُقـــى ... وهجرَ المعاصِـــي ووصلَ المتابِ
ومـــنْ لـــمْ يقـــدهُ طلابُ العلـــومِ ... رجاءُ الثـــوابِ وخـــوفُ العقابِ
فخيـــرُ لـــهُ الجهـــلُ مـــن علمِـــهِ ... وأنجـــى لهُ منْ أليـــمِ العذابِ([204]).

ونبغ في نظم الشعر الشهيد ابن عمار، وجال في الأندلس مادحاً الملوك ابتغـــاء مـــنحهم وعطاياهم، ومن شعره في الزهد قوله:

خُذْ مَا أَتَاكَ مِـــنْ الزَّمَانِ المُدْبِـــرِ ... فَالطَّـــلُ يُقْنِـــعُ كُلَّ مَنْ لَمْ يُمْطَـــرِ
كَمْ ذا التَأَوُّهُ طُولَ دَهْرِكَ حَسْـــرَةً ... لمَّـــا تَعَّـــداكَ الـــذي لَـــمْ يُـــقْـــدَرِ
لا تَطْمَحَـــنَّ لِمَا خُلِقْـــتَ لِدُونِـــهِ ... لِلبَدْرِ قَدْرٌ لَمْ يَنَلْـــهُ المُشْتَـــرِي([205]).

وبرع والد لسان الدين بن الخطيب بالشعر، والكتابة، ومن شعره في الحكمة قوله:

عليـــكَ بالصمـــتِ فكـــم ناطـــقٍ ... كـــلامُـــهُ أدَّى إلـــى كَـــلْـــمِـــهِ
إن لســـانَ المـــرءِ أهـــدى إلـــى ... غـــرَّتـــهِ واللـــه مـــن خَـــصمهِ
يـــرى صغيـــرَ الجسمِ مستضعفاً ... وجرمُـــهُ أكبـــرُ منْ جرمِهِ([206]).

ولقد أثارت الحروب التي خاضها المسلمون مع النصارى عواطف و مشاعر الـــشعراء، و جعلتهم يكثرون من قول الشعر، وخاصة شعر الجهاد والحماس، والإجادة فيه من أجل بعـــث الحمية، والتحريض؛ لاسترداد الوطن المغتصب، وتمجيد البطولات، وتـــسجيل المعـــارك، فقـــد أدرك الشعراء مسؤوليتهم في المرحلة العصيبة، فانطلقوا يحثون القادة والجنود علـــى تخلـــيص البلاد من خطر النصارى الصليبيين([207])، كما برعوا في الرثاء وخاصة، رثاء الملوك والعلماء، والممالك الإسلامية التي سقطت في يد النصارى، والشهداء، والمساجد التي حولها النصارى إلى كنائس، وعلى سبيل المثال لا الحصر، فقد رثى الإمام أبو عبد الله بن الأبار شيخه أبـــا الربيـــع الكلاعي، ومن فقد معه في الواقعة من العلماء وسائر الفضلاء، في منظوم بديع تزيد أبياته فـــي العد على المائة قائلا:

ألمَّا بأَشْـــلاءِ العُلـــى والمكارمِ ... تُقَدُّ بأطـــرافِ القَنَـــا والصـــوارِمِ
وعوَجـــا عليها مارباً ومفـــازةً ... مصارع غُصَّت بالطلى والجماجِمِ
نحيى وجوهاً في الجنانِ وجبهةً ... بما لقيت حمراً وجـــوه الملاحِـــمِ

[204] ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ج1، ص47؛ المقري، نفح الطيب، ج5، ص516.
[205] ابن سعيد، المغرب، ج2، ص66.
[206] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1،ص480؛ المقري، نفح الطيب، ج1،ص17؛ ابن العماد، شذرات، ج6، ص129.
[207] المقري، نفح الطيب، ج1، ص16.

وأجسادَ إيمانٍ كساهــا نجيعهـــا ... مجاسد من نسْيج الظّبَا واللهاذِمِ([208])

ورثا الأديب أبو بكر يحيى بن مُجبَر([209])، الشاعر المقدام أمير المسلمين أبـــا يعقــوب يوسف ابن عبد المؤمن، بقصيده طويلة أجاد فيها أولها:

جل الأســـى فأسل دم الأجفـــان ... ما ذي الشؤون لغير هذا الشأن([210]).

ورثا الشهيد أبو بكر بن باجة فيلسوف الأندلس وإمامها، أبو بكــر بـــن تيفلويـــت ملـــك سرقسطة، وأكثر من رثائه وغنى بها في ألحانه في قوله :

سَـــلامٌ وَإِلْمَـــامٌ ورَوُحٌ وَرَحْمَـــةٌ ... عَلَـــى الجَّسَـــدِ النَّائي الذي لا أَزُورُهُ

أحـــقاً أَبَا بَكْرٍ تُقْضّـــي فَمَا يُرَى ... تَـــرُدُّ جَمَـــاهِيرَ الوُفُـــودِ سُتورُهُ([211])

لَئِنْ أَنِسَتْ تِلْـــكَ القُبُـــورُ بِقَبْـــرِهِ ... لَقَدْ أُوْحَشَتْ أَمْصَارُهُ وقُصَـــورهُ([212]).

ومن شعره قوله عند الموت وقد أحس بالفوت :

آه مـــنْ حادثاتِ صرفِ الليالـــي ... فـــلِحالـــي انْظُـــْر أعِظْـــكَ بحالِـــي

أمْسِ أبكيتُ حَاســـدي شَرَقاً بـــي ... وهو اليوم رحمة قـــدْ بَكـــى لـــي([213]).

ومن شعر الشاعر أحمد بن عبد الولي البتي في الرثاء قوله:

غضْبْتِ الثُّريا([214]) في البعادِ مكانَها ... وأودعتِ فـــي عينيَّ صادقَ نوئهـــا

وفـــي كلّ حالٍ لم تزالـــي بخيلـــة ... فكيف أُعْرتِ الشمسَ حُلَّـــةَ ضوئهـــا

صَـــدّنـــي عـــن حـــلاوةِ التَّشْيِيعِ ... اجـــتنـــابـــي مـــرارةَ الـــتـــوديـــعِ

لم َيقُمْ أنـــس ذا بـــوحشـــةِ هـــذا ... فرأيتُ الصّـــوابَ تركَ الجميـــعِ([215]).

وكان الشهيد أحمد بن رضوان الجذامي([216]) الغرناطي شاب فاضل، حـــسن الـــصحبة، كريم النفس قال في الرثاء:

---

[208] اللهاذم: اللصوص(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص556).

[209] هو يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن ابن مجبر الفهري(ت:588هـ=1192م) يكنى أبو بكر شـــاعر مجيد من أهل بلش بمالقة، نزل مراكش، واتصل بالملوك والأمراء وله فيهم شعر كثير، وتوفي بها ومن آثاره ديوان شعر.(ابن الأبار، التكملة، ج4، ص183؛ المقري، نفح الطيب، ج3، ص237).

[210] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص136؛ الناصري، الإستقصا، ج2، ص156.

[211] ستوره: ما يستر به كائناً ما كان(ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص120).

[212] ابن سعيد، المغرب، ج2، ص19؛ المقري، نفح الطيب، ج7، ص23.

[213] العماد الأصبهاني، خريدة القصر، ج3، ص68.

[214] الثريا: النجم المعروف، ويقال إن خلال أنجم الثريا الظاهرة كواكب خفية كثيرة العدد والثروة (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص112).

[215] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص30؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص132؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج7، ص108؛ المقري، نفح الطيب، ج6، ص288.

ياسيــداً ودعتـــهُ ومَــدامعـــي تنهــلُ مـــنْ عينـــيَّ يومَ وداعـــهِ
ما سارَ شَخصُكَ عنْ محبكَ إنَّما غُيبتَ عنْ عينيهِ في أضلاعهِ[217].

كما يظهر الشهيد ابن الهوزني وهو يحث الناس على الدفاع عن دين الله، ويحذرهم مـــن التقاعس عن الجهاد، ويستهجن على حكام عصره كثرة استعانتهم باليهود، حتى أصـــبحت لهـــم صلاحيات واسعة ومما قاله:

أيا أسفاً للديـــنِ إذْ ظـــلَّ نُهْبَـــةً بأعـــينِنـــا والمـــسلمـــونَ شهـــودُ
أفـــي حرمِ الرحمن يُلْحَدُ جَهْـــرَةً ويجعـــل أشــــراكَ الإلـــه يهـــودُ
وَيُثْلَبُ[218] بيتُ اللهِ بين بُيوتِكم وقـــادِرُهُ عـــنْ ردّ ذاك قـــعـــيـــدُ
ويوضَـــعُ للـــدَّجال بيتٌ بمكّـــة ويخفى عليكم مَنْزِعٌ[219] وقصودُ[220].

ومن المؤكد أن اهتمام العلماء الشهداء بالشعر وأغراضه، يرجع لأسباب عدة نذكر منها:

1- ورث العلماء الشهداء الشعر نظراً لأنسابهم العربية، واعتزازهم بلغتهم .
2- جمال الطبيعة في الأندلس، بالإضافة إلى الأحداث الـــسياسية التـــي حركـــت مـــشاعر العلماء.
3- يعد الشعر وسيلة مناسبة للوصول إلي أسماع الآخرين وقلوبهم علي اختلاف طبقاتهم.
4- الرغبة في الحصول على العطايا، والهبات، والمنح حيث يقول ابن ضابط:

نَظَمنا لكَ الشعـــرَ البديـــعَ لأنَّنـــا علمنا بأنَّ الشعرَ عندكَ ينفقُ[221].

كما ظهر عند العلماء الشهداء فن الموشحات، وبرع فيه العديد منهم، وفي ذلك يقـــول ابـــن خلدون: "واستحدث المتأخرون منهم فناً منه سموه بالموشح، ينظمونه أسماطاً أسماطاً، وأغـــصاناً أغصاناً، يكثرون من أعارضيها المختلفة، ويسمون المتعدد منها بيتاً واحداً، ويلتزمون في تلـــك الأغصان وأوزانها متتالياً فيها بعد إلى أخر القطعة... وينسبون فيها ويمدحون "[222] .

---

[216] هو أحمد بن رضوان بن عبد العظيم الغرناطي من أهل غرناطة، كان شاب حسن الصحبة، كريم الـــنفس، من الفلاحين ببلده، برع في الأدب، ونظم الشعر، فكان يأتي بكل عجيبة(ينظـــر: ابـــن حجـــر، الـــدرر، ج1، ص152).

[217] ابن حجر، الدرر، ج1، ص152.

[218] يثلب : ثلبه يثلبه ثلباً ،لامه وعابه وصرح بالعيب وقال فيه وتنقصه(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص241).

[219] منزع: الخصومة، والمنازعة في الخصومة مجاذبة الحجج فيما يتنازع به الخصمان (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص352).

[220] ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج1، ص92.

[221] المقري، نفح الطيب، ج3، ص398.

[222] ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص383؛ المقري، نفح الطيب، ج7، ص5.

وبرع من العلماء الشهداء في فن الموشحات ابن الخطيب، صاحب كتاب "الإحاطة"، الـذي خصص فيه موشحة للسلطان محمد الخامس مطلعها:

جادكَ الغيثُ إذا الغيثُ هَمـى ... يـا زمـانَ الوصـلِ بالأندلـسِ
لـم يكـنْ وصلُكَ إلا حُلُمـاً ... في الكَرَى([223]) أو خِلْسةَ المختلسِ
إذْ يقودُ الدهرَ أشتاتَ المُنـى ... يَنْقلُ الخطوَ على ما يَرْسُمُ([224]).

كما كتب ابن الخطيب كتاباً أسماه "جيش التو شيح"، ضم عـدداً مـن الموشـحات وأعـلام التوشيح([225]).

ومن أصحاب الموشحات الشهيد ابن رضا([226])، الذي أنشد قائلاً:

أرادوا بُعـادي فـأدنـيتهـمْ ... فقالوا عجيبٌ عجيـبٌ عجيـبْ
فأهملتُ دمعـي على وجنتـي ... فقالوا مريـبٌ مريـبٌ مريـبْ
فناديتُ فـي الحيِّ يا مزيتـي ... فقالوا غريبٌ غريـبٌ غريـبْ
فقلتُ متى الوصلُ يا سادتـي ... فقالوا قريـبٌ قريـبٌ قريـبْ
فـسلَّمتُ تسليـمَ صبٍّ بهـم ... فقالوا حبيبٌ حبيبٌ حبيـبْ([227]).

ومن أصحاب الموشحات الشهيد ابن باجة الذي يقول في مدح ابن تيفلويت:

جـررْ الذيـلَ أيما جـرٌ ... وصلْ الشكـرَ منكَ بالشكـرِ
عقـدَ اللهُ رايـةَ النصـرِ ... لأميـرِ العُلا أبي بكـر([228]).

وقال الشهيد أحمد بن أحمد بن خلف في موشحه:

لمّا رَأوا كَلفـي به سألوهُ مَـنْ ... هذا الذي تَهـواهُ أو مَـنْ هَـذي
فأجبتُهم و مدامعـي تنهلُ مِـنْ ... خوفِ غلامٍ منْ بني الأستاذِ([229]).

---

[223] **الكرى: النوم والنعاس(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص221).**

[224] **ابن خلدون، المقدمة،ج1، ص385؛ المقري، نفح الطيب، ج7، ص11.**

[225] **ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج2، ص728؛ المقري، أزهار الرياض،ج1،ص178؛ المقري، نفـح الطيـب، ج7، ص68.**

[226] **هو عبد الرحمن بن أحمد بن خلف بن أحمد بن رضا أبو القاسم المقري الخطيب بجامع قرطبة وصـاحب صلاة الفريضة به المشاور في الأحكام، أخذ القراءات عن أبي القاسم بن مدير، سمع من ابن فرج والغساني (ينظر: ابن الأبار، المعجم، ج1، ص237).**

[227] **ابن الأبار، تحفة القادم، ج1، ص110.**

[228] **ابن خلدون، تاريخ، ج1، ص584.**

[229] **ابن حجر، الدرر، ج1، ص30.**

ويبدو واضحاً ميل الأندلسيين للموشح؛ لسلاسته، ولسهولته، وتنميق كلامه، وعذوبة ألفاظه، فتناوله الخاصة والعامة، ومارسه العلماء، ورجال النحو في أوقات فراغهم، واستطرفه الناس.

ب- النثر:

اهتم الأندلسيون بالكلام غير الموزون في الخطب والرسائل، الذي يطلق عليه اسم النثر، وعندما تطورت الإدارة الحكومية، وأُنشأت الدواوين، ومنها ديوان الإنشاء والرسائل، الذي أوجد نوعاً من النثر يسمى النثر الفني، ولقد برع العديد من العلماء الشهداء في هذا المجال من أشهرهم:

الشهيد ابن أبي الخصال الذي عمل كاتباً لعلي بن يوسف بن تاشفين، ويصفه عبد الواحد المراكشي بقوله: "إنه كان من أهمهم وأكبرهم مكانة لديه، إذ هو آخر الكتاب، وأحد من انتهى إليه علم الآداب"([230])، ولقد كتب ابن الخصال رسالة تنم عن احتقاره للمرابطين، ووصفهم بأنهم بدو عراة صحراويون، لا إلمام لهم بأساليب السياسة وأمور الحضارة([231])، ومن أعماله، رسالته السراجية(سراج الأدب) وهي أعلى نثره ومن كلماته قوله: "لولا الظلام ما سطع السراج، ولولا الصبر مانفع الإفراج، أعف صديقك من ريح العقاب، وإن كانت نسيماً، وأقبله من الرضا وجهاً، وسيما من أملك فقد حملك وأوجب عليك احتمال ما حملك حق الأديب على الأديب ... "([232]).

ومن كُتّاب النثر الشهيد ابن القصير، وقد تقلد الكتابة لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وكان قد تقلد الكتابة للمعتمد بن عباد صاحب أشبيلية، ووصفه المراكشي بقوله:"أحد رجال الفصاحة، والحائز قصب السبق والبلاغة، كان على طريقة قدماء الكتاب من إيثار جزل الألفاظ، وصحيح المعاني من غير التفات إلى الأسجاع، التي أحدثها متأخرو الكتاب، اللهم إلا ما جاء في رسائله من ذلك عفواً من غير استدعاء"([233])، وكان أديباً بارع الأدب، عارفاً بالوثيقة نقاداً لها، وله تأليف وخطب ورسائل ومقامات، وجمع مناقب من أدركه من أهل عصره، واختصر كتاب "الجمل" لابن خاقان الاصبهاني، وألف برنامجاً يضم رواياته([234])، ومن هؤلاء الكُتّاب الشهيد أبو جعفر بن عطية، وقد كتب لعلي بن يوسف، ثم لابنيه تاشفين وإسحاق حتى أواخر عهد المرابطين، كما كتب لعبد المؤمن بن علي رسالة طويلة يشيد فيها بالانتصار الذي حققه جيشه،

---

[230] المراكشي، المعجب، ج1، ص173.

[231] المصدر نفسه، ج1، ص176.

[232] ابن سعيد، المغرب، ج2، ص66، 67 ؛ البغدادي، إيضاح المكنون، ج2، ص6.

[233] ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج1، ص239؛ المراكشي، المعجب، ج1، ص164.

[234] ابن فرحون، الديباج، ج1، ص152.

ومما جاء في هذه الرسالة: "كتبنا هذا في وادي ماسة، بعد تزحزح من أمر الله الكريم، ونصره المعلوم، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، فتح فاق الأنوار إشراقاً، وأحدق بنفوس المؤمنين إحداقاً"([235]).

ومن أشهر كتاب الأندلس الشهيد أبو نصر الفتح بن خاقان، وكان أديباً كاتباً شاعراً، وقد أخذ العلم عن طائفة من أدباء عصره، ولما كَبُرَ أصبح من كتاب الأندلس الذين يشار إليهم بالبنان، كما أحرز قصب الكتابة، فألف "بداية المحاسن وغاية المحاسن"، ومجموعة تتضمن ما أنتجه من نثر أدبي، كما ألف من الكتب "قلائد العقيان ومطمح الأنفس"([236])، ومن رسائله: "سيدي، لاعدمت ارتفاقاً، ولا حرمت تكيفاً عن السعد اتفاقاً، أنا الآن منشغل البال لا أفرق بين الإعراض والإقبال، وعند توجهي أفرغ لك ما حضر، ومثلك أرجأ الأمر وانتظر، وفي علم الله تعالى، ولو أمكنني لحملتك على كاهل، وأوردتك منه أعذب المناهل، وعلى أي حال فلا بد أن تجد قراك، وتحمد سراك إن شاء الله"([237])، وكتب رسالة بعث بها إلى أبي بكر بن علي بن تاشفين عند ولايته أشبيلية قال فيها: "أطال الله بقاء الأمير الأجل أبي بكر للأرض يمتلكها، ويستدير بسعده فلكها، استبشر الملك وحق له الاستبشار، وأومأ إليه السعد في ذلك وأشار، بما اتفق من توليتك، وخفق عليه من ألويتك ... فهنيئاً للأندلس لقد استردت عهد خلفائها، واستمدت تلك الإمامة بعد إغفائها ... والله تعالى أسأله انتصار أيامك، وبه أرجو انتشار أعلامك، حتى يكون عصرك أعجب من عصرهم، ونصرك أعز من نصرهم والسلام"([238]).

ومنهم الشهيد ابن الهوزني حيث كان كاتباً ثائراً مجيداً، وقد أشرت إلى مقاطع من رسالته التي أرسلها إلى المعتضد في الفصل الأول عندما رأى تخاذل حكام الطوائف([239]).

وكان الشهيد أبو الربيع الكلاعي لا نظير له في الاتقان، والضبط، والاستبحار في الأدب، والبلاغة، وكان فرداً في إنشاء الرسائل، مجيداً في النظم، وخطيباً مفوهاً، حسن السرد والمساق، ارتسم في كتاب الإنشاء، وله العديد من التصانيف في فنون عديدة([240])، وكان أبو عمر بن عات من الحفاظ المسندين للحديث والأدب، وله تواليف دالة على سعة حفظه مع حظ

---

[235] المراكشي، المعجب،ج1، ص198؛ المقري، نفح الطيب، ج5، ص187.

[236] المقري، نفح الطيب، ج7، ص33.

[237] المصدر نفسه، ج7، ص37.

[238] المصدر نفسه ، ج7، ص37.

[239] ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج1، ص85.

[240] ابن الأبار، التكملة،ج3، ص223؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج4، ص141؛ الذهبي، سير، ج23، ص136؛ ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص463؛ اليافعي، مرأة الجنان، ج2، ص84؛ النباهي، المرقبة العليا، ج1، ص119؛ ابن العماد، شذرات، ج5، ص163.

من النظم والنثر، ومن وتواليفه كتاب: "ريحانة التنفس وراحة الأنفس"([241])، وكان ابن الأبار كاتباً وأديباً شهيراً، ومن أشهر تواليفه كتاب: "معادن اللجين في مراثي الحسين" الذي مدح فيه أل البيت، وذم فيه الأمويين([242]).

ومن الأدباء المشهورين الشهيد أبو الوليد التميمي، وكان له حظ وافر من الأدب، وشوور في الأحكام([243])، وكان الشهيد أحمد الأميبي فقيهاً، يعقد الشروط مع مشاركة في الأدب، وحظ من النظم والنثر([244])، وكان الشهيد أبو الحسن بن أضحى فقيهاً أديباً صاحب بديهة([245])، وكان الشهيد أبو الفضل الشنتمري فقيهاً مشاوراً، مفتياً، كاتباً، وشاعراً([246])، وكان الشهيد عبد الرحمن الأزدي وجيهاً في بلده كثير العناية بالرواية، له حظ وافر من الأدب، واستقلال بعقد الشروط ومشاركة العلوم([247])، وكان قاضي الجماعة الشهيد أبو عبد الله بن الحاج التجيبي من جلة العلماء وكبارهم، متبحراً في العلوم و الآداب، ولم يكن أحد أطلب للعلم منه مع الدين والخشوع([248]).

ويفهم من النصوص أن هناك عدد كبير من العلماء الشهداء برعوا في مجال الأدب، ولهم العديد من المؤلفات الأدبية، التي حفلت بها المكتبة العربية، وهذا دليل واضح على ميل العلماء الشهداء للأدب العربي، مما أدى إلى تقدمه وتطوره وظهور فنون جديدة.

ثانياً: العلوم العقلية:

كان علماء الأندلس موسوعيين وعلى معرفة شاملة وكبيرة، جمعوا بين العلوم النقلية، والعقلية، ولكن المناخ الديني الذي ساد في الأندلس أدى إلى بروز دورهم في العلوم النقلية، والدينية: منها بصفة خاصة، وأضفى ستاراً على العلوم العقلية التي برعوا فيها([249]).

ولم تظهر العلوم العقلية بظهور الإسلام، ولا نقلت عن العرب، إنما هي علوم الشعوب التي فتح المسلمون بلادهم، فقد جاء في مقدمة ابن خلدون: "وأما العلوم العقلية التي هي طبيعة

---

[241] **ابن الأبار، التكملة، ج1، ص90؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، ج1،ص491؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص602؛ ابن العماد، شذرات، ج5، ص35.**

[242] **الذهبي، تاريخ الإسلام،ج46، ص167؛ المقري، نفح الطيب،ج4، ص320.**

[243] **ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص210؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5، ص116.**

[244] **ابن الأبار، التكملة، ج1، ص100.**

[245] **المصدر نفسه ، ج3، ص193؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص211.**

[246] **الصفدي، الوافي بالوفيات، ج11، ص113.**

[247] **ابن الأبار، التكملة، ج3، ص30.**

[248] **ابن العماد، شذرات، ج4، ص92.**

[249] **سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص553.**

للإنسان من حيث أنه ذو فكر، فهي غير مختصة له، بل يوجه النظر فيها إلى أهل الملك كلهــم، ويستوون في مداركها ومباحثها، وهي موجودة في النوع الإنساني منذ عمران الخليفة، وتــسمى هذه العلوم علوم الفلسفة، والحكمة([250])، وتشمل العلوم العقلية عند أهل الأندلس: الطب والكيمياء والفلسفة والرياضيات والفلك والنحو والموسيقى والتاريخ والجغرافيا([251]).

1- الفلسفة

الفلسفة كلمة يونانية تعني حب الحكمة، وهذا العلم لم يعرفــه العــرب إلا فــي العــصر العباسي، ولكن سرعان ما سرى هذا العلم في الأندلس، فظهر في عــصر الإمــارة الفيلــسوف عباس بن فرناس(ت:274هـ=887م)، ويحيى الغزال(ت:250هـ=864م)، وكلاهما في عهــد عبد الرحمن الثاني وابنه محمد([252])، وفي عهد الخلافة ظهر الفيلسوف الــشهيد عبــد الله بــن مرة([253])، ثم أصيبت الفلسفة بانتكاسة وذلك لمقاومة المنصور للفلــسفة، كــي يكــسب الفقهــاء والعامة إلى جانبه، فأحرق كتب الفلسفة([254]).

ومن أشهر العلماء الشهداء الذين نبغوا في الفلسفة ابن باجة، الذي عمل وزيــراً لــوالي سرقسطة(510هـ=1116م)،ولكن هذا العمل قد أثار غضب الجند والفقهاء، فهجاه ابن خاقــان لعداوة بينهما قائلاً: "الأديب أبو بكر بن الصائغ هو رمد عين الدين، وكمــد نفــوس المهتــدين، اشتهر سخفاً وجنوناً، وهجر مفروضاً ومسنوناً، فما يتشرع ولا يأخذ في غيــر الأضــاليل، ولا يشرع، ناهيك من رجل ما تطهر من جنابة، ولا أظهر مخيلة إنابة، ولا اســتنجى مــن حــدث ..."([255])، ثم رحل إلى غرناطة، ووزر أيضاً ليحيى بن يوسف تاشفين عشرين ســنة، وكانــت سيرته حسنة، فصلحت به الأحوال، ونجحت على يديه الآمال، فحسده الأطباء والكتاب وغيرهم، وكادوه فقتلوه مسموماً([256])، وصنف ابن باجة مؤلفات عدة في الفلسفة: أشهرها رسالة الــوداع، وشرح كتاب السماع الطبيعي لأرسطوطاليس، وفصول السياسة المدينة، وكتاب اتــصال العقــل بالإنسان، وكتاب تدبير المتوحد، وكتاب النفس، وله ديوان شعر([257]).

---

[250] ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص290.

[251] حسن، تاريخ الإسلام، ج4، ص416.

[252] المقري، نفح الطيب، ج1، ص347.

[253] النباهي، المرقبة العليا، ج1، ص217.

[254] المقري، نفح الطيب، ج1، ص221.

[255] ابن خاقان، قلائد العقيان، ص300؛ ابن سعيد، المغرب، ج2، ص119.

[256] المقري، نفح الطيب، ج7، ص28.

[257] البابانى، هدية العارفين، ج1، ص490.

وكان أمير المسلمين الشهيد يوسف بن عبد المؤمن([258]) أعرف النـــاس كيــف تكلمــت العرب، وأحفظهم لأيامها في الجاهلية والإسلام، صرف عنايته إلى ذلك، ولقي فــضلاء أشــبيلية أيام ولايته لها، وكان يحفظ القرآن الكريم، وصحيح البخاري، مع جملة من الفقه، ثم طمح إلـــى علم الحكمة، وكان ممن صحبه من العلماء بهذا الشأن أبو بكر محمد بن الطفيل([259])، حيث كـــان حريصاً على الجمع بين علم الشريعة والحكمة، ولم يزل يجمع إليه العلماء من جميع الأقطار من جملتهم أبو الوليد بن رشد([260])، وكان ميله إلى الحكمة والفلسفة أكثر من ميله إلى الأدب وبقيـــة العلوم، وكان أحد الأسباب التي حملت أبو الوليد بن رشد على ما لخــصه مــن كتــب الحكــيم أرسطو طاليس، لخص فيه كتاب "السماء" و"العالم"، و"رسالة الكون"، و"الفساد"، وكتاب "الآثـــار العلوية"، وكتاب "الحس والمحسوس"، ثم لخصها بعد ذلك وشرح أغراضها([261])، وأخذ الــشهيد أبو عبد الله التدميري بحظ وافر من علم الرأي، وبالغ في صالح العمل، وكان أعظم علمه الورع والتشدد([262])، وكان الشهيد ابن مرطير أديباً مائلاً إلى طريق التصوف مؤثراً للقناعة([263]).

ويبدو واضحاً أن الفلسفة من الدراسات غير المرغوب فيها بالأندلس بصفة عامة، وعند العلماء الشهداء بصفة خاصة، لذلك نجد أن عدد الفلاسفة لم يكن كثيراً بالنــسبة لأقــرانهم فـــي الأدب والشعر، وفي الوقت نفسه "كان فقهاء الأندلس والمغرب يكفرون الفلاســفة، ويتهمـــونهم

---

[258] **كان يوسف بن عبد المؤمن حسن الحديث، طيب المجالسة أعرف الناس، كيف تكلمت العرب، وأحفظهـــم لأيامها في الجاهلية والإسلام، صرف عنايته إلى ذلك، ولقى فضلاء إشبيلية أيام ولايته لها، ويقال أنـــه كـــان يحفظ صحيح البخاري، وكان شديد الملوكية بعيد الهمة سخياً جواداً، وكان يحفظ القرآن العظيم مع جملة من الفقه، ثم مال إلى علم الحكمة، جمع فيها شيئاً كثيراً، صحبه ابن الطفيل، وابــن رشــد(ينظــر: المراكــشي، المعجب، ج1، ص 118؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص130).**

[259] **هو أبو بكر عبد الملك بن طفيل، نشأ في مدينة وادي أش القريبة من غرناطة، من أسرة قيسية عربيـــة، وتلقى العلم في غرناطة، وكان بارعاً في جميع العلوم والفنون المعروفة في عصره، وكان طبيبـــاً فيلـــسوفاً، واستوزره أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن واتخذه طبيباً له، فصار من قرنائه المقربين، ومن أشهر رسائله قصة "حي بن يقظان"(ينظر: ابن سعيد، المغرب، ج2، ص85).**

[260] **هو الفيلسوف العلامة أبو الوليد محمد بن أبي القاسم أحمد بن شيخ المالكية أبي الوليد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي(520هــ-604هــ=1126- 1207م) أقبل على علوم الأوائل حتى صار يضرب به المثل في ذلك، لم ينشأ مثله بالأندلس كمالاً وعلماً وفضلاً، وكان متواضعاً منخفض الجناح له العديد مــن التــصانيف أشهرها بداية المجتهد في الفقه، وكتاب في الطب ومختصر المستصفي في الأصول، ولي قضاء قرطبة، ومات محبوساً بداره بمراكش في أواخر سنة(ت:604هــ=1207م)(ينظر: الذهبي، سير، ج21، ص308).**

[261] **المراكشي، المعجب،ج1، ص243؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص135؛ زبيب، الموسوعة العامـــة لتاريخ المغرب والأندلس، ج2، ص248.**

[262] **عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص23.**

[263] **ابن الأبار، التكملة، ج3، ص209.**

بالزندقة، وكانت العامة في الأندلس تطلق على كل من يشتغل في الفلسفة زنديق، فـإن زل فـي شبهة رجموه بالحجارة أو أحرقوه"([264]).

2- علم الرياضيات:

من العناصر الأساسية في قيام الثقافة، والكتابة، والعدد؛ لتيسير طرق التفاهم ووسـائل التعاون بين الناس([265])، لذلك كان من الضروري أن يهتم العلماء الشهداء بعلم الرياضيات الذي يشمل: الحساب، والجبر، والهندسة، وقد ارتبط بها علم الفلك أيضاً، فلم يظهر عالم رياضـي إلا وقد عرف الفلك واشتغل به([266]).

واشتهر من العلماء الشهداء في علم الرياضيات الشهيد ابن باجة، وله تصانيف في الرياضـيات، والمنطق، والهندسة فاق فيها المتقدمين، ووصف بالتفرد بعلم الهيئة، والهندسة العلمية والنظريـة، وسائر العلوم الحكمية والأدبية([267])، وبلغ من شدة اهتمامه بالرياضيات أن التفت إلى علم الفلـك الوثيق الصلة بالرياضيات؛ فألف عدة رسائل في الفلك، كما اعتقد أن الكواكب تدور([268])، وانتقد افتراضات بطليموس([269])، فمهد بذلك السبيل لابن طفيل، وغيره من الفلاسفة([270])، وكان الشهيد عبد الرحمن بن أحمد الأزدي موصوفاً بنباهة السلف والبيت مشاركاً في العلوم، وأكثر تصانيفه في الحساب، والفرائض([271])، واقترن علم الحساب بعلم الفرائض([272])، فكان الشهيد أحمد بـن خلف من أهل المعرفة التامة بالفرائض، والحساب([273]).

ومن المؤكد أن تعلم الحساب كان ضـرورياً للعلمـاء الـشهداء؛ لخدمـة أغراضـهم ومعاملاتهم اليومية، فاهتموا به من جانب، والجانب الآخر يظهر من اقتران علم الحـساب بعلـم

---

[264] المقري، نفح الطيب،ج1، ص221.

[265] حسن، تاريخ الإسلام، ج4، ص499.

[266] بدري، الحياة العقلية، ص299.

[267] ابن أبي أصبيعة، عيون الأنباء، ج1،ص340؛ الأصبهاني، خريدة القصر،ج3، ص68؛ البابانـي، هديـة العارفين، ج1، ص490.

[268] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج13، ص331.

[269] بطليموس رجل حكيم في وقته فيلسوف ببلاد الروم في زمانه، كان يوالي أرسطو طاليس ويحبه وينتصر له على من عاداه ومن كثرة عنايته بأرسطو طاليس صنف كتاب أخبار أرسطو طاليس ووفاته ومراتب كتبـه (ينظر: القفطي، أخبار العلماء بأخيار الحكماء، ج1، ص42).

[270] ابن أبي أصبيعة، عيون الأنباء، ج1،ص339؛ الذهبي، سـير، ج20، ص93؛ الزركلـي، الأعـلام، ج7، ص137.

[271] ابن الأبار، التكملة، ج3، ص30.

[272] يعني العلم بقسمه المواريث،(ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص209).

[273] ابن حجر، الدرر، ج1، ص30.

الفرائض، وهذه تمثل ضرورة دينية، ومن يقوم بتقسيم المواريث يجب أن يكون عالماً بالحساب، حتى يعطي كل ذي حق حقه.

3- **الطب**:

كانت معرفة العرب بالطب قبل الإسلام قليلة، وسرعان ما نقلوا عن الأمم الأخرى عند اتصالهم بهم، ولم يقف علم الطب عند العرب على النقل وحده، بل تقدم على أيديهم نتيجة التجربة والملاحظة، وعرفوا كثيراً من الأمراض.

وقد عرف علماء المسلمين نظام التخصص في الطب، وظهر أطباء تخصصوا في أعضاء الجسم والجراحة، واستعملوا الآلات الطبية في علاج الأمراض، وكان الأطباء بحسب تخصصهم أنواعاً مختلفة: كالطبائعية، والكحالين، والجرائحية، والمجبرين، والحجامين، والكوائين، والفاصدين، والخاتنين، والحاقنين([274]).

ويعد الشهيد ابن باجة من العلماء الشهداء المشهورين، حيث جمع بين الطب والفلسفة([275])، وألف رسائل في المواد والعقاقير الطبية، أخذ عنها فيما بعد ابن البيطار، ووضع رسائل في الطب تأثر بها ابن رشد "([276]) ومن أشهر مصنفاته في الطب "اختصار الحاوي للرازي"، وكتاب "التجربتين على أدوية ابن واقد"([277])، و"كتاب النبات"([278])، ومن العلماء الشهداء الذين برعوا في الطب والد لسان الدين بن الخطيب([279])، الذي وصفه ابنه بقوله: "كان ذكاء يتوقد، وطلاقة يحسد نورها الفرقد، وكانت له في الأدب فريضة، وفي النادرة العذبة منادح عريضة"([280])، وعندما عرض الابن على والده مسائل في الطب، أنشد الوالد قائلاً":

---

[274] **ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، ص110.**

[275] **الذهبي، تاريخ الإسلام، ج36، ص332؛ الذهبي، سير، ج20، ص93.**

[276] **ابن أبي أصبيعة، عيون الأنباء، ج1، ص340.**

[277] **الباباني، هدية العارفين، ج1، ص490.**

[278] **ابن أبي أصبيعة، عيون الأنباء، ج1، ص341.**

[279] **هو عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد بن علي بن السلماني(672هـ-741هـ =1273-1340م) أبو محمد غرناطي الولادة والاستيطان لوشي الأصل طليطلي، قرطبي، تُضيئ مجالس الملوك بحضوره، وكان ذكياً طليقاً أديباً عالماً بالطب والشعر و الكتابة، واستشهد في الوقيعة الكبرى بظاهر طريف يوم الاثنين سابع جمادى الأول مع أحد أبناءه، ورثاه ابنه لسان الدين بن الخطيب في قصيده مطلعها:**

خطب ألم فأذهب الأخ والأبا رغما لأنف شاء ذلك أو أبى

(ينظر: المقري، نفح الطيب، ج5، ص16، 17).

[280] **المقري، نفح الطيب، ج5، ص16.**

الطبُّ والشّعرُ والكتابةْ سِماتُنا في بني النَّجابةْ([281])
هــنَّ ثــلاثٌ مُبَلّغــاتٌ مراتباً بعضها الحِجابةْ([282]).

كما كان للشهيد لسان الدين بن الخطيب منزلة عالية في الطب، بالإضافة إلى الــشعر، والنثر، والفلسفة([283]).

وله من التصانيف الطبية الشهيرة كتاب "عمل من طب لمن حب"، وكتاب "اليوسفي في صــناعة الطب"([284])، وكان أحمد بن أحمــد الأميبــي طبيبــاً مــاهراً، بالإضــافة إلــى نبوغــه فــي علوم أخرى([285]).

ويبدو واضحاً أن الطب ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالفلسفة، حيث أطلق علــى مــن يــشتغل بالطب لقب حكيم، كما يطلق على من يزاول الفلسفة حكيم، ويتضح الأمر عندما نرى الفلاســفة أطباء، ومن الطبعي أن يهتم العلماء الشهداء بالطب، وذلك لحاجة الأندلس للكثير مــن الأطبــاء؛ لعلاج الجرحى الذين أصيبوا في المعارك مع الأسبان.

4- **العلوم الاجتماعية:**

تناقل العرب كثيراً من أخبارهم، وأخبار الأمم الأخرى، إلا أن هذه الأخبار كانت تختلط ببعض الأساطير، وللإسلام أثر كبير في تقدم التاريخ و تطوره.

لقد لقي التاريخ الاهتمام الشديد عند العلماء الشهداء، فبرز عدد مــن المــؤرخين الــذين برعوا في الكتابة التاريخية، وتناولوا علم التاريخ بصور مختلفة، وألفــوا كتبــاً تحــدثت عــن الأحداث التاريخية المهمة في حياة المسلمين، وفضائل البلدان، والتــراجم والطبقــات، ومناقــب الرجال، والحروب، وغيرها من الموضوعات التاريخية، حيث أقبل الطلاب على سماعها منهم، وروايتها عنهم([286]).

واشتهر من العلماء الشهداء ابن عياد الذي برع في علوم عدة منها: التــاريخ([287])، فقــد كان يحفظ أخبار المشايخ، ويؤرخ ويضبط وفياتهم، ويدون قصصهم، ويسجل تراجم الرجال وقد

---

[281] **النجابة: مصدر النجيب من الرجال وهو الكريم ذو الحسب إذا خرج خروج أبيه في الكرم (ينظــر: ابــن منظور، لسان العرب، ج1، ص748).**

[282] **المقري، نفح الطيب، ج5، ص16؛ ابن العماد، شذرات، ج6، ص127.**

[283] **ابن خلدون، تاريخ، ج7، ص332.**

[284] **المقري، نفح الطيب، ج7، ص98.**

[285] **ابن الأبار، التكملة، ج1، ص100.**

[286] **عبد المهدي، الحركة، ص170؛ عطية، تاريخ التعليم، ص221.**

[287] **الذهبي، تاريخ الإسلام، ج40، ص191؛ الذهبي، سير، ج21، ص181.**

شغل جل وقته في ذلك خدمة للإسلام والمسلمين([288])، ومن مصنفاته الهامة في علـم التـاريخ "تذييل صلة ابن بشكوال"([289]).

واشتهر منهم: الشهيد أبو عبد الله الرشاطي، فقد كان حافظاً للتاريخ والأنـساب، ذاكـراً للرجال([290])، ومن أشهر مؤلفاته في هذا المجال كتاب "اقتباس الأنوار والتماس الأزهـار فـي أنساب الصحابة ورواة الآثار"، وضع فيه خلاصة إبداعاته؛ فحاز إعجاب طلاب العلـم فأخـذوه عنه، وقد اعتمد فيه على أسلوب كتاب أبي سعد السمعاني، المسمى "الأنساب"([291])، قال فيه ابـن كثير: "هو من أحسن التصانيف الكبار"، وقال حاجي خليفة: "هو من الكتب القديمة في الأنساب"، ولخصه مجد الدين اسماعيل بن إبراهيم البلنسي(ت:802هـ=1399م)([292])،وأضاف إليـه مـا زاده ابن الأثير على أنساب السمعاني وسماه "القبس"([293])، وله من المصنفات "الإعلام بما فـي كتاب المؤتلف والمختلف للدار قطني من الأوهام في الحديث"، و"إظهار فساد الاعتقاد"، وكتـاب انتصاره من القاضي أبي محمد بن عطية([294])([295]).

ويعد الشهيد أبو الربيع الكلاعي من رجال التاريخ المشهورين حيث تقدم أهل زمانه في حفظ أسماء الرجال، وخصوصاً من تأخر زمانه وعاصره، كما كان عارفاً بـالجرح والتعـديل، وذاكراُ للمواليد والوفيات([296])، وله تصانيف مفيدة في فنون عدة، ألف كتاب "الاكتفا في مغـازي

---

[288] الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج4، ص108.

[289] المصدر نفسه ، ج4، ص108؛ الذهبي، سير، ج21، ص181.

[290] الذهبي، سير، ج20، ص259؛ ابن فرحون، الديباج، ج1، ص177؛ الصالحي الشامي، سـبيل الهـدى والرشاد، ج1، ص199؛ أبو زيد، طبقات النسابين، ج1، ص21.

[291] الزركلي، الأعلام، ج4، ص105؛المقري، نفح الطيب،ج1، ص462؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،36، ص537.

[292] هو أبو الفداء مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن علي(ت:802هـ=1399م) قاضي مصر، تفقه فبرع في الفقه والأصلين والفرائض والحساب والأدب وشارك في عدة علوم كالحديث والنحـو والقـراءات، استقل بقضاء قضاة الحنيفية، اختصر كتاب الأنساب في كتاب سماه القبس(ينظر: ابن العماد، شـذرات، ج7، ص15؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج1، ص174).

[293] الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج1، ص199 ؛ الزركلي، الأعلام،ج4، ص105؛ أبو زيد، طبقات النسابين، ج1، ص20.

[294] هوعبد الله بن أحمد بن محمد بن عطية القيسي(ت646هـ= 1248م) من أهل مالقة يكنى أبـو محمـد اختص بأبي محمد القرطبي وسمع عليه، وأجاز له ابن زرقون وابن حبيش، وكان من أهل الزهـد والفـضل (ابن الأبار، التكملة،ج2، ص299).

[295] الذهبي، سير، ج20، ص 259؛ المقري، نفح الطيب،ج4، ص462؛ الزركلي، الأعلام، ج4، ص105؛ أبو زيد، طبقات النسابين، ج1، ص20.

[296] الذهبي، تذكرة الحفاظ،ج4، ص141؛ الذهبي، سير، ج23، ص138؛ ابن فرحون، الديباج، ج1، ص123.

المصطفى والثلاثة الخلفا"، وهو في أربع مجلدات، وله كتاب حافل في معرفة الصحابة والتابعين، وهو "ميدان السابقين وحلية الصادقين المصدقين" في عرض كتاب "الاستيعاب" ولم يكمله، و"المعاجم فيمن وافقت كنيته كنية زوجته من الصحابة"، و"الإعلام بأخبار البخاري"، و"المعجم في مشيخة أبي القاسم ابن جبيش"، وبرنامج في رواياته، إلى غير ذلك([297])، وكان الشهيد أبو عمر بن عات عجيباً في سرد المتون، ومعرفة الرجال والأدب، وكان زاهداً ورعاً حافظاً ثقة مأموناً([298])، وله كتاب "التعريف بشيوخ الوجهة" وهو كتاب حافل وجامع، وكتاب "ريحانة التنفس وراحة الأنفس"([299])، ومن رجال التاريخ المشهورين بالأندلس، الشهيد أبو عبد الله بن الأبار الذي جال في الأندلس، وكتب الكثير عن أخبارها، فقد كان بصيراً بالرجال،عارفاً بالتاريخ، إخباريا له قدرة عالية على البلاغة والإنشاء، والنظم والنثر، بما يخدم التاريخ([300])، وله مصنفات في الحديث، والتاريخ والأدب، منها: "التكملة لكتاب الصلة" لابن بشكوال في ثلاثة أسفار، وكتاب "تحفة القادم" تراجم شعراء، وكتاب "إيماض البرق"، وكتاب "الحلة السيراء" في أشعار الأمراء و"إعتاب الكتاب"([301])، وله كتاب "درر السمط في خبر السبط" ينال فيه من بني أمية جاء فيه:" رحمة الله تعالى وبركاته عليكم أهل البيت، فروع النبوة والرسالة، ينابيع السماحة والبسالة، صفوة أل أبي طالب، الذين حياهم الروح الأمين، وحلاهم الكتاب المبين ..."([302])، ومنهم الشهيد ابن فيد الفارسي من أهل العناية بالكلمة والرواية، والتقييد ثقة ثبتاً عارفاً بصناعة الحديث، موصوفاً بالذكاء والفضل والتواضع، كتب علماً كثيراً، ومن جملة ما كتبه "سيره ابن هشام"([303])، ومنهم الشهيد أبو زكريا يحيى بن خلدون أحد حفظة التاريخ، وله كتاب فيه سماه "بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد وأيام أبو حمو الشامخة الأطواد"([304])، ومنهم موسى بن قاسم بن خضر" كان خيراً فاضلاً، غلبت عليه قراءة الآثار، وإليها كان يذهب([305])، وكان ابن باجه فيلسوفاً، عالماً بالأنساب بالإضافة إلى علوم عدة([306]).

---

[297] **الذهبي، سير، ج23، ص138؛ ابن فرحون، الديباج، ج1، ص122، 123.**

[298] **اليافعي، مرآة الجنان، ج4، ص18؛ ابن العماد، شذرات، ج5، ص37.**

[299] **المقري، نفح الطيب، ج2، ص601.**

[300] **ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج3، ص374؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص283.**

[301] **الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص283؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص500 .**

[302] **الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص284 المقري، نفح الطيب، ج4، ص500.**

[303] **ابن الأبار، التكملة، ج3، ص 208؛ ابن عبدالملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ج1، ص278.**

[304] **المقري، نفح الطيب، ج7، ص133.**

[305] **ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص197.**

[306] **أبو زيد، طبقات النسابين، ج1، ص20.**

ويبدو واضحاً اهتمام العلماء الشهداء بالتاريخ بشكل عام، وبالأنساب بشكل خاص، وقد نظروا إلى الأنساب نظرة فاحصة، فعدوا معرفتها فرض عين، وفرض كفاية، فهي فرض عين على كل مسلم ومسلمة، أن يعرف نسب الرسول الكريم، ومكان وزمان البعثة الشريفة، وهجرته، ومعرفة ما يترتب على ذلك من أمور شرعية، وهي فرض كفاية، ومن ذلك معرفة أنساب العرب وأصولهم، وأنساب القبائل وأصولها، وهو غير ملزم للجميع، يختص به جلة من العلماء والحكماء ورجال اختصوا بهذا الجانب([307]).

ومن المؤكد أن اهتمام العلماء الشهداء بالتاريخ بشكل عام وبالأنساب بشكل خاص، يرجع لأسباب عدة:

1- خدمة للدين؛ لأن القرآن الكريم عرض قصصاً من التاريخ وحض على الاعتبار منها.

2- خدمة للمجتمع؛ لأنها تؤكد على عمق الروابط الفردية والاجتماعية.

3- خدمة للدراسات الفقهية؛ لأنها تتصل بدراسة أحوال الرجال.

4- خدمة للدراسات التاريخية؛ لأنها تدون تاريخ الأمة، وتثبت الأحداث والأخبار من خلال دراسة أحوال القبائل ورجالاتها.

5- خدمة للدراسات الجغرافية؛ لأنها تعين على تثبيت مواقع انتشار العشائر والقبائل، وتحدد أماكنها ومواضعها.

6- خدمة للدراسات الاقتصادية؛ لأنها ترسم خط سير القبائل في إقامة أسواقها، وفي رحلاتها وتنقلاتها، وفي حلها وترحالها.

7- خدمة للدراسات الاجتماعية؛ لأنها تعين البحث العلمي في معرفة عادات العشائر والقبائل وتقاليدها، وتثبيت انجازاتها في مجال العمران والاستقرار.

ويبدو واضحاً من خلال العدد الكبير من المؤرخين، والمؤلفات أن الدافع الرئيس وراء كتابة مثل هذه الأعمال العظيمة، هو انتماء المؤرخ لبلده وواجبه نحوه، كذلك الأحداث الجسام بين مسلمي الأندلس والأسبان، وفرت موضوعات خصبة للكتابة، مما جعلهم يدونون تلك الأحداث، ويجهدون أنفسهم في البحث عن أسبابها([308]).

واشتملت كتب المؤرخين على الكثير من المعلومات الجغرافية، وأبرزها كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة، وجغرافيتها، واقتصادياتها، ورجالها منذ الفتح حتى عصر ابن الخطيب([309]).

---

[307] ابن حزم الأندلسي، قلائد الذهب في جمهرة أنساب العرب، ص2، 3.

[308] آل البعاج، عبد الغني، أهمية النسب عند العرب، ص36، 37.

[309] المقري، نفح الطيب، ج7، ص103.

وتبدو حقيقة لابد من الإشارة إليها، أن العلماء الشهداء لم يكونوا مختصين في علم واحد، بل اشتمل الواحد منهم على مجموعة من المعارف، التي كانت معروفة في زمانه، فهو عبارة عن موسوعة من المعلومات، شاعر، وأديب، وطبيب، ونحوي، وفلكي، و رياضي، وفيلسوف، بالإضافة إلى العلم بالقرآن والحديث والفقه والعقيدة، كما أن الكثير من كتبهم، ومؤلفاتهم، ومصنفاتهم عبارة عن موسوعات شملت جميع أنواع المعرفة في عصرهم.

المبحث الثالث

رحلات العلماء الشهداء في طلب العلم

تُعَدُّ الرحلة من أهم الوسائل إلى طلب العلم والاستزادة منه، والالتقاء بالعلماء والشيوخ والحصول على العلم من مصادره المختلفة، وهي في حقيقة الأمر سياحة تفتح الأفاق وتوسع المدارك، وليس أدلَّ على ذلك من القول المأثور الذي تناقلته الأجيال في التشجيع على الرحلة في طلب العلم "اطلبوا العلم ولو في الصين"([1]).

ولقد كان من عادة طلاب العلم في الأندلس السفر إلى المشرق، وخاصة مكة، والمدينة، والبصرة والكوفة وبغداد ودمشق والقاهرة والإسكندرية؛ لتلقي العلم على يد أساتذة المشرق، حيث التقدم العلمي الكبير، وكانت الرحلة إلى المشرق غاية الأمل لكل طالب علم في الأندلس بصفة عامة؛ للالتقاء بعلماء المشرق([2]).

كانت التقاليد المعتادة للأندلسيين توجه علمائهم إلى بلاد المشرق؛ لتأدية فريضة الحج والتزود بالمعرفة من علماء البلاد الإسلامية التي يمرون بها، وكانوا يصلون في رحلاتهم إلى أقاصي بلاد المشرق، وإلى شرق إفريقية عبر طريقين: أولهما هو: الطريق الملاحي البحري من ثغور الأندلس إلى الإسكندرية، وإلى عكا بساحل الشام، وتميز هذا الطريق بكثرة المخاطر والقراصنة، والطريق الثاني: هو الطريق البري الطويل، بعد اجتيازهم سواحل بلاد المغرب وإفريقية إلى مصر([3])، وكانوا يحصلون في رحلاتهم هذه على معارف جغرافية جمة ينقلونها إلى مواطنهم في الأندلس([4])، "وكان الحج إلى مكة هو السبب في تأصل حب الرحلة في قلوب الأندلسيين، ومن ثم أولعوا بالتنقل والأسفار ولعاً شديداً، وكانت النتيجة الطبيعية لذلك أن ظهر بينهم من ألفَّ في وصف رحلته، أو في وصفه نواحي المعمورة"([5]).

وكان من العلماء الشهداء الذين وصلتنا أخبار رحلاتهم، رحلة أبي عبد الله بن أبي الحسام الذي خرج حاجاً، وجاور في الحرمين ثمانية أعوام فلقي هناك العلماء والصالحين، وسمع منهم، وسار إلى العراق للقاء أبي بكر الأبهري، فتفقه معه، ودخل واسط، فلقي العلماء والنساك واقتدى بآثارهم، ولبس الصوف وأعرض عن شهواته، وظهرت له بالمشرق إجابات

---

[1] **العجلوني، كشف الخفاء، ج2، ص44 .**

[2] **ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص248 .**

[3] **سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص550.**

[4] **ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5،ج1، ص278؛ ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص246.**

[5] **سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص550.**

وكرامات، وذكره هناك مشهور، ثم انصرف إلى بلده مجيباً لدعوة والده، وعندما نكبت مرسية نزل خارجاً منها في قرية بني طاهر ([6]).

ورحلة أبي الحجاج القضاعي الذي رحل قبل الخمسمائة حاجاً فأدى الفريضة، ودخل العراق فسمع من أبي طالب الحسين بن محمد الزينبي، وأبي القاسم بن بيان، وأبي الغنائم النرسي وغيرهم([7])، وسمع صحيح مسلم من إسماعيل بن عبد الغافر النيسابوري، وجامع الترمذي من أبي العلاء صاعد بن سيار([8])، وسمع من أبي محمد الحريري مقاماته الخمسين سنة(504هـ=1110م)، وكتب بخطه فوائد جمة، ثم انحدار من العراق، فأخذ الناس عنه بمكة و مصر و المغرب([9])، وقفل إلى الأندلس سنة(512هـ=1118م) فنزل المرية وحدَّث بها، ورحل رحلة أخرى أخذ عنه الناس فيها، ثم رجع إلى الأندلس سنة(516هـ=1122م) فاستوطن المرية([10]).

ورحل ابن فيد الفارسي سنة(530هـ=1135م) فأدى الفريضة، و لقي بمكة ابن عشير الشرواني، وأبا علي بن العرجاء، وأبا المظفر الشيباني وغيرهم، فسمع منهم، و سمع من أبي الطاهر السلفي بالإسكندرية، وأكثر عنه وعليه جُلَّ اعتماده في رواياته، وكتب بخطه علما كثيرا، وكان جملة ما كتب سيرة ابن هشام([11])، وانصرف إلى بلده قرطبة وقد جلب فوائد جمة، فسمعوا منه، وكان من أهل العناية الكاملة بالرواية والتقييد، ثقة ثبتاً عارفاً بصناعة الحديث موصوفاً بالذكاء، والحفظ فاضلاً متواضعاً([12])، كتب ما يزيد على ألف ورقة منها: كتاب السيرة لابن هشام، ومشكل القرآن لابن قتيبة، والمجالسة للمالكي، والفاصل بين الراوي والواعي لابن خلاد، وأمثال الحديث([13]).

ورحل ابن سكرة فسمع ببلنسية من أبي العباس بن دلهات([14])، وبالمرية من محمد بن سعدون([15]) القروي الفقيه، وحج سنة(481هـ= 1088م)، ودخل مصر على أبي إسحاق

---

[6] عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص23 .

[7] ابن الأبار، التكملة،ج4، ص206 الذهبي، تاريخ الإسلام، ج8، ص268؛ الذهبي، سير، ج20، ص186.

[8] ابن الأبار، التكملة،ج4، ص206؛ الذهبي، سير، ج20، ص187.

[9] ابن الأبار، التكملة، ج4، ص206.

[10] المصدر نفسه، ج4، ص482؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج37، ص132.

[11] ابن عبدالملك المراكشي، الذيل والتكملة ، س5، ج1، ص278؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج39، ص290.

[12] ابن الأبار، التكملة، ج3، ص208؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج39، ص290.

[13] السلفي، الوجيز في ذكر المجاز والوجيز، ج1، ص115.

[14] هو أبي العباس أحمد بن عمر بن دلهات الأندلس (ت:478هـ=1085م) من تواليفه النظام المذهب في مفردات المذهب، ونظام المرجان في المسالك والممالك، وعلام النبوة(ينظر: البغدادي، ايضاح الكنون ،ج2، ص656).

الحبال([16])، ورحل إلى العراق، فسمع بالبصرة عن جعفر بن محمد بن الفضل العبادان([17])، وعبد الملك بن شعبة([18])، وبالأنبار أبي الحسن الأقطع، وببغداد علي بن الحسين بن قريش، وعاصم بن الحسن الأديب وغيرهم، وبواسط أبا المعالي محمد عبد السلام([19])، وتفقه ببغداد على علي بن أبي بكر الشاشي، وأخذ عنه التعليقة الكبرى، وأخذ بالشام عن الفقيه نصر المقدسي، ورجع إلى بلده سنة(490هـ =1096م) بعلم كثير وأسانيد شاهقة، واستوطن مرسية، ورحل الناس إليه([20])،وخَرَّجَ له القاضي عياض مشيخة، فذكر في أولها ترجمة لأبي علي في أوراق، وأنه أخذ عن مائة وستين شيخاً، وأنه جالس نحو أربعين شيخاً من الصالحين الفضلاء([21]).

وتجول أبو الربيع الكلاعي في بلاد الأندلس والمغرب، فأخذ عن أبي القاسم حبيش، وأبي بكر بن الجد، وابن زرقون([22])، وأبي القاسم وغيرهم، وإليه كانت الرحلة في عصره؛ للأخذ عنه والسماع منه([23])، ورحل إلى المشرق وروى عن أهل المشرق والمغرب([24]).

---

15 هو محمد بن سعدون بن علي(485هـ=1092م) ، أبو عبد الله القيرواني، عالم بالفروع والأصول من فقهاء المالكيه، ولد بالقيروان، ورحل إلى المشرق، وطاف في بلاد المغرب والأندلس للتجارة، ومات في أغمات، من كتبه تأسي أهل الإيمان بما طرأ على مدينة القيروان، ومناقب أبي بكر بن عبد الرحمن وأصحابه، وكتاب في الفقه على مذهب مالك(ينظر: الزركلي، الأعلام، ج6، ص656).

16 الذهبي، تاريخ الإسلام، ج35، ص367؛ الذهبي، سير، ص377؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، ج1، ص96.

17 هو أبو طاهر جعفر بن محمد بن الفضل القرشي العبادان ثم البصري، مسند البصرة وراوي سنن أبي داود عن الهاشمي، كان أعلى أهل بغداد منزله عن الخليفة حنيفياً من جلة الناس وكبرائهم، ثقة، ثبتاً (ينظر : الذهبي، سير، ج19، ص419).

18 هو أبو الفتح بن شعبة بن محمد السهرجي البسطامي (ت:521هـ=1127م)، فهم الحديث وبالغ في طلبه، تتلمذ بنيسابور، وجمع الأجزاء الحديثية، ورجع إلى بلده (ينظر: السمعاني، الأنساب، ج3، ص340).

19 الذهبي، تاريخ الإسلام، ج35، ص368؛ الذهبي، سير، ج19، ص377؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، ج1، ص96.

20 الذهبي، تاريخ الإسلام، ج35، ص367؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، ج1، ص96.

21 ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص310؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج35، ص367 .

22 هو محمد بن محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد بن عبد البر بن مجاهد الأنصاري من أهل إشبيلية ويكنى أبا الحسن، سمع من أبيه ومن أبي بكر بن الجد وتفقه بهما، وأجاز له ابن قزمان وأبو العباس بن سيد الإشبيلي، وكان فقيهاً مالكياً محافظاً متعصباً للمذهب، ومن تواليفه كتاب خطب الشريعة في الجمع بين الصحيحين(ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج2، ص123).

23 الذهبي، سير، ج23، ص135؛ النباهي، المرقبة العليا، ج1، ص119.

24 ابن فرحون، الديباج، ج1، ص122.

ورحل أبو الحسن الأنصاري الخزرجي العبادي إلى دانية، فأخذ عن أبي داود، وبشاطبة عن ابن العروس([25])، وبمرسية عن ابن البيار([26]) وسمع عنه، وحج وسمع من الحسين بن علي الطبري([27])([28]).

ورحل أبو عبد الله بن الحاج الأنصاري، وحج فلقي في طريقه الحافظ أبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن ببجاية فسمع منه، وبالإسكندرية من أبي محمد بن عبد الرحمن الحضرمي، وبمكة من أبي حفص الميانشي([29])([30])، وسمع من الخجندي الأربعين حديثاً وقفل إلى بلده وحدث، وأخذ عنه سليمان بن حوط([31]).

ورحل أبو عبد الله الجالطي إلى المشرق وصحب القاضي أبو عبد الله بن الحذاء في السماع هناك ولقي جماعةً وانصرف([32])، ورحل أبو الوليد التدميري وأدى الفريضة، وقرأ على أبي الطيب بن غلبون، وعاد إلى قرطبة فعلم بالقرآن([33]).

ورحل أبو عمر بن عات إلى المشرق فأدى الفريضة، وسمع أبا الطاهر السلفي، وأبا الطاهر بن عوف، وأبا عبد الله الحضرمي([34])، وكان عجيباً في سرد المتون، ومعرفة الرجال

---

[25] هو محمد بن أحمد بن عروس (ت:530هـ= 1135م) من أهل شاطبة، كانه فقيهاً زاهداً عالماً بالقراءات وتلا بالسبع، أخذ عنه أبو الحسن الأنصاري وأبو القاسم الفرس وعبد الله بن الحسن الأنصاري(ينظر: ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ص37).

[26] هو يحيى بن إبراهيم بن أبي زيد المرسي، قرأ على أبي عمر الداني، ورحل إلى مصر، وأخذ كتاب التلقين، وأقرأ الناس وعاش تسعين سنة(ينظر: الذهبي، العبر، ج3، ص346).

[27] هو أبو عبد الله بن الحسين بن علي الطبري(ت:495هـ= 1102م) إمام الحرمين الشريفين أشعري العقيدة، محدث وفقيه، سمع صحيح مسلم من عبد الغافر الفارسي ، وتلاميذه كثر عاش حوالي ثمانون سنة(ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج4، ص22).

[28] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج36، ص510.

[29] هو أبو حفص عمر بن عبد المجيد الميانشي(ت:581هـ= 1185م) نزيل مكة وقاضي الحرمين ، له رسالة صغيرة في علم الحديث سماها "ما لا يسع المحدث جهله" وتعليقات على الفردوس و الاختيار في الملح والأخبار والمجالس المكية وروضة المشتاق في الرقائق(ينظر: الذهبي، العبر ، ج4، ص245؛ الزركلي، الأعلام ، ج5، ص53).

[30] الذهبي، تاريخ الاسلام، ج43، ص334.

[31] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص99.

[32] عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص23؛ ياقوت، معجم البلدان، ج2،ص 95؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج28، ص91.

[33] ابن الأبار، التكملة، ج4، ص154.

[34] المصدر نفسه،ج1، ص90؛ المقري، نفح الطيب، ح2، ص602؛ ابن العماد، شذرات ،ج5، ص36.

والأدب، زاهداً ورعاً، حافظاً ثقة مأموناً، حدث بالمدينة النبوية([35]).

ورحل محمد بن محمد الفريشي حاجاً، فسمع بمكة من يونس الهاشمي، وسمع منه ابن مسدي وحدث بمصر، وعاد إلى الأندلس، وكان مقرئاً زاهداً مجاب الدعوة تلا بالسبع([36]).

وطلب أبو عبد الله التجيبي([37]) العلم بالأندلس، ورحل فحج، وتردد في الشرق فسمع الأجرى، ثم انصرف إلى الأندلس يدرس الناس حتى استشهد([38])، وتلقى عبد الله بن وقاص اللمطي الميورقي، العلم في بلده على علي بن أبي القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن عمير الثقفي، وروى عنه، ثم توجه بعدها إلى بلاد المشرق؛ لتأدية فريضة الحج، وسمع عن علمائه، وبعد عودته إلى ميورقة وُلّي الصلاة والخطبة بجامع مدينة ميورقة، وحدث عنه ابنه أبو عبد الله، وأبو عبد الله النبولي، واستشهد في الحادث الكائن بقصر ميورقة([39]).

ورحل ابن الفرضي إلى المشرق، فحج وأخذ عن العلماء وسمع منهم، وكتب عن أعلامهم([40])، وخلد ابن الفرضي ذكر هذه الرحلة بأبيات من الشعر أرسلها إلى أهله أثناء رحلته لطلب العلم تعبرعن حنينه لأهله ووطنه قائلاً:

مَضَتْ لي شهور منذ غبتم ثلاثةٌ	وما خِلتُني أبقى إذا غِبتُم شهراً
وما لي حياةٌ بعدكم أستلذُّها	ولو كان هذا لم أكن بَعدَهُ حُرًّا
سأستعتب الدّهر المُفَرِّق بيننا	وهل نافعي أن صرت أستعتب الدَّهرا
أُعلّل نفسي بالمنى في لقائِكم	وأستسهل البَرَّ الذي جُبْتَ والبحرا
ويؤنسني طَيُّ المراحل بعدكم	أروح على أرضٍ وأغدو على أُخرى
وتالله فارقتكم في قلى لكم	ولكنَّها الأقدار تجري كما تُجرى

---

[35] السخاوي، التحفة اللطيفة، ج1، ص157؛ ابن الأبار، التكملة، ج1، ص90؛ ابن العماد، شذرات ، ج5، ص37.

[36] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج46، ص168؛ ابن الجزري، غاية النهاية، ج1، ص381؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص65.

[37] هو أبو عبد الله بن أحمد بن خلف بن إبراهيم بن لب التجيبي(ت:529هـ=1134م) القرطبي المالكي كان من جلة العلماء، معدوداً في المحدثين، والأدباء، بصيراً بالفتوى، وكانت الفتوى تدور عليه لمعرفته ودينه وثقته وكان معتنياً بالآثار، جامعاً لها، ضابطاً لأسماء رجالها ورواتها، مقيداً لمعانيها وغريبها، ذاكراً للأنساب واللغة والنحو(ينظر: الذهبي، سير، ج19، ص614).

[38] ابن الأبار، المعجم، ج1، ص114؛ الذهبي، سير، ج19، ص614؛ النباهي، المرقبة العليا، ج1، ص102؛ ابن الأبار، التكملة، ج2، ص45.

[39] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص375.

[40] الذهبي، سير، ج17، ص178؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج17، ص286؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج3، ص168.

رَعَتكــم من الرَّحمن عينٌ بصيرةٌ ولا كشفتْ أيدي الرَّدى عنكمُ سترا([41]).

ورحل الحسين بن حي حاجاً، وأخذ عن أبي بكر الأجري كثيراً من تصانيفه، وتــردد فيها ستة أعوام ثم قفل إلى الأندلس يعلم الناس([42])، ورحل محمد بن عبيــد الله القرطبـــي إلـــى المشرق، وسمع من إسماعيل القاضي، وموسى بن هارون، وكان فقيهاً نبيلاً حتى استشهد([43]).

وهناك العديد من العلماء الشهداء الذين لم يتسنَ لهم الرحلة إلى المشرق لطلــب العلــم، وتلقيه على أيدي علماء المشرق، فطافوا في مدن الأندلس؛ للبحث عن العلمـــاء للتلقـــي علـــيهم وملازمتهم ومصاحبتهم والإفادة من علومهم.

فقد قدم أبو عمر بن عياد بلنسية قادماً من لرية سنة(528هـ= 1133م)، ولقي بها أعلام المقرئين أبا مروان بن الصقيل، وأبا الحسن بن النعمة، وسمع من أبي الوليد الدباغ وطارق بــن الصقيل وغيره([44])، وكان أصل جعفر بن بصلة من بلقين واستوطن مالقة، وتردد إلى غرناطـــة طالباً للعلم، ثم مال أخيراً إلى الحنابلة، ولازم الأسفار([45])، وكان لأبي بكر بــن حباســة الأزدي رحلة في طلب العلم([46])، ورحل أبو جعفر الحصار، فقرأ علي أبي الحسن بن هذيل، وأكثر من السماع منه ومن أبي الحسن بن النعمة وابن سعادة ورحل الناس إليه([47])، ورحل تاشــفين بــن محمد المكتب إلى قرطبة، وأقام فيها يلقي الزاهدين ويتكرر على قبور الصالحين، للترحم عليهم، وأخذ العظة حتى استشهد في وقعة العقاب([48]).

وسكن الإقليشي قرطبة، ورحل إلى الشرق ثم قفل إلى الأندلس، واستشهد فـــي إحـــدى الوقائع غازياً سنة(410هـ= 1019م)([49]).

وامتحن ابن القصير بالتجوال في البلاد، ورحل عن الأندلس بنية الحـــج وركـــب البحـــر؛ لأداء الفريضة فاستشهد بمرسى تونس([50]).

---

[41] ابن بسام، الذخيرة، ق1، مج2، ص615.

[42] ابن الأبار، الحلة السيراء،ج2، ص6؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج28، ص40.

[43] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج23، ص172.

[44] الذهبي، تذكرة الحفاظ ، ج4، ص108.

[45] ابن حجر، الدرر، ج1، ص102.

[46] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص276.

[47] الذهبي، العبر، ج5، ص30؛ الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج2، ص593؛ ابــن العمــاد، شــذرات، ج5، ص36.

[48] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص190.

[49] الزركلي، الأعلام، ج3، ص294.

[50] ابن الأبار، التكملة، ج3، ص30.

ومن أشهر الرحلات العلمية، رحلة لسان الدين بن الخطيب كرحالة عظيم، وذلك على ضوء ما قدمه لنا من أوصاف دقيقة، ومشاهدات صادقة للبلاد الأندلسية والمغربية التي زارها بنفسه، حيث تلقى العلم على شيوخ المغرب والأندلس، فليس بمستبعد أن يكون قد زار هذه البلاد في شبابه؛ سعياً وراء العلم والاتصال بعلماء عصره، كما كان يفعل مواطنوه، وحينما تولى الوزارة رافق سلطانه أبا الحجاج يوسف في رحلته التفتيشية بمقاطعات غرناطة الشرقية عام(748هـ= 1347م)، كذلك زار ابن الخطيب بلاد المغرب الأقصى كسفير لسلطان غرناطة في عامي(749هـ= 1348م) و(755هـ= 1354م)، ثم التجأ إليها مرة ثالثة، عندما نفي مع سلطانه المخلوع محمد بن يوسف بن نصر الغني بالله عام(760هـ= 1358م)، ولقد استمرت مدة النفي ما يقرب من الثلاث سنوات، عاد بعدها ابن الخطيب مع سلطانه إلى مقر حكمه مرة أخرى([51]).

ولقد سجل ابن الخطيب أثناء مدة النفي كل ما رأته عيناه، وسمعته أذناه في جميع هذه الرحلات، حيث عكف على زيارة البلاد المغربية؛ لمشاهدة آثارها ولقاء العلماء والصالحين فيها([52]).

وجمع ابن الخطيب مشاهداته في أربع رسائل كتبها هي: "خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف"، و"مفاخرات مالقة وسلا"، و"معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار"، و"نفاضة الجراب في علالة الاغتراب"([53]).

وتناولت الرسالة الأولى رحلة رسمية، قام بها سلطان غرناطة، أمير المسلمين أبو الحجاج يوسف بن نصر ومعه وزيره ابن الخطيب؛ لتفقد أحوال الثغور الشرقية لمملكة غرناطة، ويشير إلى أن الركب السلطاني خرج من العاصمة غرناطة عام(748هـ= 1347م)، تتقدمه الألوية الحمراء شعار دولة بني الأحمر، ويبدو من النص خروج النساء في جماعات كبيرة واختلاطهن بالرجال؛ للمشاركة في استقبال السلطان، فمن ذلك قوله: "واختلط النساء بالرجال، والتقى أرباب الحجا([54]) بربات الحجال، فلم تفرق بين السلاح والعيون الملاح، ولا بين حمر البنود وحمر الخدود"([55]).

أما الرسالة الثانية المعروفة باسم "مفاخرات مالقة وسلا"عبارة عن مفاضلة بين المدينة الأندلسية، وأختها المغربية في مختلف النواحي الاقتصادية والجغرافية والاجتماعية، إلا أن ابن الخطيب

---

[51] **المقري، نفح الطيب، ج5، ص84، 85.**

[52] **العبادي، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص6.**

[53] **المقري، نفح الطيب، ج7، ص100.**

[54] **الحجا: العقل والفطنة(ينظر: ابن منظور، لسان العرب،ج14، ص166).**

[55] **ابن الخطيب، خطرة الطيف، ج1، ص7؛ ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج2، ص253.**

رغم حبه لبلاد المغرب ولمدينة سلا بالذات، التي لجأ إليها في أوقات محنته، إلا أن شعوره الوطني جعله يتغاضى عن كل هذه الاعتبارات، ويتحيز إلى المدينة الغرناطية مالقة، فيجعلها المفضلة على طول الخط، وفي ذلك يقول: "مالقة أرفع قدراً، وأشهر ذكراً، وأجل شأناً، وأعز مكاناً، وأكرم ناساً، وأبعد التماساً، من أن تفاخر أو تطاول، أو تعارض أو تصاول([56])، أو تراجع أو تغاول([57])، لكني سأنتهي إلى غرضك، وأبين رفع مفترضك وأباين بين جوهرك وغرضك "([58]).

أما الرسالة الثالثة التي كتبها ابن الخطيب عن مشاهداته، فهي المعروفة باسم "معيار الاختيار في ذكر أحوال المعاهد والديار"، وهي عبارة عن وصف لأهم مدن المغرب الأقصى، مع وصف 34 مدينة من مملكة غرناطة، ويتخلل هذا الوصف ذكر محاسن وعيوب كل مدينة وأنشد فيها قائلاً:

أشْكو إلى اللهِ ذِهابَ الشَّبابْ ... كم حسرةٍ أورثَني واكتئابْ
سدَّ عن اللذاتِ بابُ الصبا ... فزارت الأَشْجانُ من كلِ بابْ
وغُربَةٍ طَالت فما تنتهي ... موصولةِ اليومَ بيومِ الحِسابْ
وشرُّ نفسي كلمَّا هَملجت([59]) ... في الغيِ لم تقبل خِطامَ([60]) المتابْ
يا رب شفِّع فيَّ شَيبي ولا ... تَحْرِمْنيَ الزُّلفى وحسنُ المآبْ([61]).

أما الرحلة الأخيرة التي سجلها ابن الخطيب، فكانت في ربوع المغرب الأقصى في عهد دولة بني مرين، عندما عزل سلطان غرناطة محمد الغني بالله، واضطر إلى الفرار إلى المغرب وصحبه وزيره ابن الخطيب وبعض أفراد حاشيته ومماليكه، وقد دون ابن الخطيب هذه الرحلة في كتابه المعروف باسم "نفاضة الجراب في علالة الاغتراب" جاء فيه : "وفي يوم الاثنين المتصل بيوم القدوم، توجهنا إلى الجبل في كنف أصحابه تحت إغراء بره، وفي مركب قرة عينه، فخرجنا نستقبل بين يديه السهل نساير الجهة، ونشاهد الآثار، ونتخطى المعاهد، ونتنشق النسيم العليل، القريب العهد بمادة الثلج وعنصر البرد"([62]).

---

[56] تصاول: المصاولة المواثبة(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص387).

[57] المغاولة: المبادأة بالشر(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص110).

[58] ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج2، ص345.

[59] هملجت : الهملاج الحسن السير في سرعة وبخترة(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص394).

[60] خطام: هو الحبل الذي يقاد به البعير(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص187).

[61] ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج2، ص272.

[62] ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ج1، ص1.

ويبدو واضحاً أن ابن الخطيب لم يقم برحلة إلى المشرق لتأدية فريضة الحج والاتــصال بالأوساط العلمية فيها؛ بسبب أعباء منصبه التي حالت دون تحقيق مأربه، لكنه أرسل ابنـــه أبـــا الحسن علي إلى المشرق؛ ليأخذ العلم هناك، كما أرسل كتبه وأمواله إلى القاهرة؛ ليـــستفيد منهـــا طلبة العلم هناك([63]).

و يُستَدل من النصوص أن الرحلة من أهم الوسائل؛ لتحصيل العلم لدى العلمـــاء الـــذين اصطفاهم الله شهداء، رغم ما كان يكتنفها من المشاق والمخاطر سواء عن طريق البر، أو عـــن طريق البحر مثل: هجمات قطاع الطرق أو غرق السفن في مياه البحر، وهذا دليل واضح على طول النفس، وحب العلم، والتضحية بالنفس، والجهد، والمال في طلبه.

وربما يكون سبب التفوق الثقافي عند العلماء الشهداء هو حبهم للرحلة، ويبدو أن حـــب الرحلـــة عندهم كان نتيجة لمجموعة من العوامل هي:

أ- أداء فريضة الحج والالتقاء بكبار العلماء في مكة والمدينة، والأخذ عنهم.

ب- الشهرة الكبيرة التي وصل إليها علماء المشارقة في بغداد، والكوفة، والبصرة، ومصر.

ت- الإطلاع على مؤلفات أهل المشرق التي تزخر بها المكتبات.

ث- حرية التنقل، والسفر بين أجزاء الدولة الإسلامية.

---

[63] **المقري، نفح الطيب، ج5، ص110.**

الفصل الثالث

إسهامات العلماء الشهداء في ميدان السياسة

المبحث الأول:

موقف العلماء الشهداء من السلطة الحاكمة.

المبحث الثاني:

مشاركة العلماء الشهداء في الحكم والإدارة.

المبحث الثالث:

دور العلماء الشهداء في تحقيق الوحدة والاستقرار السياسي.

المبحث الأول

موقف العلماء الشهداء من السلطة الحاكمة

كان للعلماءِ الشهداء دور فاعل ومهم في مجال السياسة، في مختلف العهود التي مـرَّت بها الأندلس، وقد تنوعت إسهاماتهم السياسية بين نصحٍ للحكام وتقويم للاعوجاج، وبيان لأصول الحكم الإسلامي، ومشاركة لهم في إدارة الدولـة، أو فـي سـفارات ووفـود تمثـل الحكـام، أو كمستشارين مقرَّبين يدافعون عن المؤسسة الحاكمة، أو كناصحين جريئين فـي قـول كلمـة الحق، أو كمشاركين في الثورة على الظالمين والمنحرفين والمقصرين منهم.

فأما في مجال النصح للحكام فقد أبلى علماء الأندلس الذين قضوا نحـبهم شـهداء بـلاءً حسناً في هذا المجال عن طريق الكتب، والرسائل، والخطب، التي تشمل الوعظ والإرشاد حول فن الحكم، بالإضافة إلى التوجيهات، والمواعظ الأخلاقية، فهم يمثلون النقـد الـسياسي الـواعي لواقع سياسي، فكانت النصوصُ السياسية تُشبه المعارضة السياسية، والنقـد الـسياسي للحكـام، وكان أصحاب النصوص والمقولات يتخذون من نصوصهم أداة سياسية من أجل التغيير الجذري والإصلاح، وكذلك من خلال مقولات الوعظ والإرشاد، التي كانـت تعـالج الواقـع الـسياسي المضطرب، ومن خلال فهم المناخ الفكري والمشكلة السياسية، وطرحها على الحاكم في شـكل مقولات، فوجدنا أن التنبيه يأتي عن طريق مجموعة من المواعظ والحكـم، وعلـى الحـاكم أن يستخلص منها الدروس والعبر([1]).

فقد نصح الفقيه أبو حفص الهوزني لابن عباد؛ ليدفع الظلم عن الناس كما استهجن على حكام عصره كثرة استعانتهم باليهود في أجهزة الدولة الرسمية، حتى أصبحت لهـم صـلاحيات واسعة([2])، وقد أشرت إلى العديد من نصائحه لحكام عصره في الفصل الأول([3]).

كما وجه أبو عبد الله البز لياني رسالة، إلى مظفر ومبارك حاكمي شـاطبة وبلنـسية العامريين، يدعوهما فيها إلى نبذ الخصومات السياسية، وينبه فيها إلـى الخطـر الكـامن وراء الصراعات الداخلية، وينادى بالتصدي للنصارى، متمنياً أن تتم الوحدة والمصالحة على يـديهما، كما يشير إلى حرب وقعت بينهم وبين المظفر أبي محمد، ويبين خشيته من اسـتمرار النـزاع، ويدعو إلى صلاح الأمر، ويحضهم على توحيد الصف ورأب الصدع، ثم يخوفهم الفتنة ونتائجها المدمرة المهلكة "وقد علمتم أنه لم يهلك من هلك مـن الأمـم الماضـية، والقـرون الخاليـة إلا بتقاطعهم، وتحاسدهم، وتدابرهم، وتخاذلهم، وأن الهوى آفة العقل، والحمية من أسباب الجاهليـة،

---

[1] **عبد اللطيف، كمال، في تشريح أصول الاستبداد، ص235.**

[2] **ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج1، ص86.**

[3] **ينظر: ص40 من البحث.**

والعصبية من العنجهية، والحرب تؤتم الأطفال، وتلتهم الرجال، سوق لا ينفق حاضروها غير النفوس والأرواح"([4])، ومضى البزلياني في مشروعه الهادف إلى إنهاء الصراعات، ودعوته إلى التصالح والتعاضد، إذ كتب رسالة إلى يحيى بن منذر التجيبي أمير سرقسطة، يدعوه فيها إلى توحيد صفوف المسلمين، والإقلاع عن الفتنة، ويعظم له جسامة المصاب في اقتتال المسلمين بعضهم مع بعض، فكيف وقد استعانوا بأعدائهم؟([5]).

كما نصح البزلياني لصاحب قرمونة داعياً إلى توحيد الصفوف، ونبذ الخصومات والوقوف في وجه المعتدين في قوله: "إن من النصح تقريع ومن الحفاظ تضييع، ولكل مقام مقال، إذا عدي به عنه استحال... ولم يكن لمن اوحشت جهته، وتغيرت مودته، أن يدخل مدخل الناصحين، وقد خرج من جملة المشفقين"([6]).

وحينما رأى الفقيه ثابت بن عبد الله العوفي([7]) تخاذل أمراء الأندلس، أرسل برسالة إلى أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين إلى سرعة إنقاد سرقسطة قائلاً: "يا حر قلباه على نسوة مكنونات عذارى، يعدن في أوثاق الأساري، وعلى رجال أصبحوا حيارى، بل هم سكارى وما هم بسكارى، ولكن الكرب الذي همهم شديد، والضر الذي مسهم عظيم جهيد وعلى صبية أطفال قد نشئوا في حجور الإيمان، يصيرون في عبيد الأوثان أهل الكفر وأصحاب الشيطان... نحن نأمل منك بحول الله أسباب النصرة بتلك العساكر، التي أقدر الله بهاءها... فالآن أيها الملك الأجل، هذه أبواب الجنة قد فتحت، فالمنية ولا الدنية، والنار ولا العار، فأين النفوس الأبية ؟ وأين الأنفة والحمية ؟ وأين الهمم المرابطية ؟"([8]).

ويبدو واضحا أن النصح ضروري في حياة البشر عامة، وخاصة نصح العالم لصاحب السلطان، ولم يقف النصح على كيفية الحكم و التعامل مع الرعية، ولكن وصل الأمر إلى التحذير من العدو وخطره.

ومن أشهر الكتب، والرسائل، والخطب، التي وجهها العلماء الشهداء للحكام على سبيل النصح والإرشاد، الوعظ من أجل الحفاظ على المال العام، فعندما شرع أمير المسلمين علي ابن يوسف بن تاشفين في جباية المعونة للحرب، كتب إليه الإمام أبو عبد الله بن الفراءقائلاً: "إن الله

---

[4] ابن بسام، الذخيرة، ق1، مج2، ص639.

[5] المصدر نفسه، ق1، مج2، ص628.

[6] ابن سعيد، المغرب، ج1، ص444.

[7] هو الفقيه ثابت بن عبد الله بن ثابت العوفي(ت:514هـ= 1120م)، يكنى أبا الحسن، وكان من أهل العلم العمل بارعاً في الفقه، ضليعاً في الأحكام، ولي قضاء سرقسطة، وخرج منها حين تغلب النصارى عليها فاستوطن قرطبة(ينظر: ابن فرحون، الديباج، ج1، ص102).

[8] مؤنس، الثغر الأعلى في الأندلس في عصر المرابطين، مجلة كلية الأداب، ص133.

قلدك أمر المسلمين؛ ليبلوك فيما آتاك، مما يزلفك لديه، أو يدنيك بين يديه، وهذا المال الذي يسمى المعونة، جُبي من أموال اليتامى، والمساكين بالقهر والغصب، وأنت المسؤول عنه، والمجيب عن النقير([9]) والقطمير([10])، والكل في صحيفتك... ولعل بعض فقهاء السوء أشار عليك بهذا، واحتج لك بأن عمر أخذ من المسلمين معونة، وجه بها جيشاً، فإن عمر لم يفعل حتى توجه إلى القبلة، وحلف أنه ليس في بيت المال درهم، وإن تجهيز ذلك الجيش مهم، فيلزمك أن تفعل كعمر، فلما وقف على هذا الكتاب، قال: صدق، هم والله أشاروا علي، وما بيت المال يحتاج، ثم رد ثلث الأموال إلى أربابها"([11]).

ويبدو واضحاً من خلال الرواية استجابة الأمير لدعوة ابن الفراء، برد الأموال إلى أصحابها، بجرأة ودون خوف أو وجل، وهذا هو جوهر وظيفة العالم، وهي مراجعة الحاكم ونصحه وإرشاده.

وأرسل الحافظ أبو بكر بن الجد رسالة خاطب فيها الأمير يوسف ابن تاشفين، بما يتطلع إليه علماء الأندلس، من رفع الظلم الذي وقع على الأندلس؛ ليخرجها من حالة الإعياء الشديد قائلا: "نستعين بالله وملائكته، وبكم على الكافرين"([12]).

كما دعا الفقيه ابن عطية أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين برسالة لنصرة الدين، ورفع الظلم الواقع على المسلمين([13])، وقد وردت مقاطع عدة من رسالته في الفصل الأول([14]).

وللعلماء الشهداء دور فاعل في مواجهة السلطة السياسية، ونقد تصرفات الحاكم والرقابة على سلوكه ومحاسبته، وظهرت تبعاً لذلك أشكال عدة في كيفية التعامل مع السلطان الجائر، والسلطة الظالمة، فهناك من رفض التعامل معها، وهناك من تعامل معها شفويا عن طريق النصح والإرشاد، فقد انتقد الحسن بن الجد انتقاداً شديداً حكام الطوائف؛ لانشغالهم باللهو والمجون، وتركهم للجهاد، فلم تعد الآيات القرآنية تجدي نفعا عندهم، وألقى عليهم مسؤولية التقصير، الذي خلف نتائج في غاية السوء، وأدى إلى انهيار الإمارات الإسلامية قائلا:

أرى الملوكَ أصابَتْهُمْ بأندلسٍ ... دوائرُ السُّوْء لا تُبقي و لا تَذَرُ
ناموا وأسرى لهم تحت الدُّجى([15])قَدَرٌ ... هوى بأنجمهم خَسْفاً وما شعروا

---

[9] **النقير: النقرة في ظهر النواة(ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص381).**

[10] **القطمير: الفوفة التي في النواة، وهي القشرة الدقيقة التي على النواة بين النواة والتمر(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص108).**

[11] **الذهبي، تاريخ الإسلام، ج25، ص377؛ المقري، نفح الطيب، ج3، ص386.**

[12] **ابن السماك العاملي، الحلل الموشية، ص47.**

[13] **ابن خاقان، قلائد العقيان، ج3، ص668.**

[14] **ينظر: ص49 من البحث.**

وكيــف يشعرُ من في كَفّــه قَــدَحٌ تَحــدو بهِ مُذهلاتُ الناي و الوترُ
صمَّتْ مسامعُــهُ فــي غيرِ نغمتهِ فما تمــرُّ بــه الآياتُ و السُّــوَرُ
كأنني بكــمُ قــد صرتْــم سَمَــراً ومالكــمْ في الورى عَيْنٌ و لا أثرُ
أماتكم قبل مــوتٍ ســوء فعلكــمُ وكيف بالذكــر إذ لم تَحْسنُ السَّيرُ
تلقاهُ كالعِجْــلِ معبــوداً بمجلســهِ له خُوارٌ لكنْ حَشْــوه خَورُ([16])([17]).

وكتب أبو مروان بن أبي الخصال رسالة إلى المرابطين، بعد هزيمة ابن رذميــر لهــم أفحش فيها على المرابطين، وأغلظ لهم في القول فمن فصولها قوله: "أي بني اللئيمــة، وأعيــار الهزيمة، إلامَّ يزيفكم الناقد، ويرد الفارس الواحد، فليت لكم بارتباط الخيول ضــآنا لهــا حالــب قاعد، لقد آن أن نوسعكم عقابا، وألا تلوثوا على وجه نقاباً، وأن نعيدكم إلي صحرائكم، ونطهــر الجزيرة من رحضائكم"([18])([19]).

ويبدو أن هذا الانتقاد اللاذع قد أغضب أمير المسلمين عليه، وعزله عن الكتابة له، ورجع إلى قرطبة، وأقام بها إلى أن استشهد في داره أول الفتنة الكائنة على المرابطين([20]).

ومنهم من اعتزل العمل مع السلطة الحاكمة وذلك لمصلحة الرعيــة، والتفــرغ؛ لنــشر العلم، فكان رجال العلم والعلماء بعيدين عن السلطة، على الرغم مــن تــأثيرهم الواســع فــي المجتمع، وقد شكك ذلك السلطة في نوايا هؤلاء العلماء، ولكن يبدو غرض العلماء هو الاستقلال عن السلطة، إذ أقاموا مراكز؛ لتدريس العلم ونشره وتداوله دون مساعدة الدولة، بل عن طريــق تشجيع جماهير الأمة([21]).

ومن الطبعي أن يصبح ذلك مصدر قلق للسلطة، ويزيد رغبتها في السيطرة على العلماء وضبط نشاطهم، وهذا ما جعل بعض العلماء يتبنون مبدأ العزلــة ويفــضلونها علــى مخالطــة السلطة، فلقد ألزم أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين القاضي أبا علي الــصدفي القــضاء بمرسية في شرق الأندلس، فتقلده عن كره في سنة(505هــ=1111م) ثم استعفى من القــضاء، فلم يعفه، فاختفى مدة، ووردت كتب السلطان عليه برجوعه إلى القضاء وهو يأبى، وبقــي ذلــك أشهراً حتى كتب الطلاب والرحالون كتاباً، يشكون فيه إلى أمير المسلمين حالهم ونفــاذ نفقــاتهم

---

[15] **الدجى: الظلمة(ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص184).**

[16] **الخور: رقيقات الجلود، المقصود هنا أضعف من الجلد(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص263).**

[17] **ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج1، ص256، 257.**

[18] **الرحضاء: يعني عرق الحمى(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج7،ص154).**

[19] **المراكشي، المعجب، ج1، ص176.**

[20] **المصدر نفسه، ج1، ص177.**

[21] **البيضاني، الوظيفة السياسية للعلماء، ص274.**

وانقطاع أموالهم، فسعى له قاضي الجماعة عند الأمير، وبين له وجه عذره فسكت عنه([22])، وكان أبو الربيع الكلاعي مجيداً في الشعر والخطابة، حسن الأسلوب، متكلماً في المجالس، مما جعل الملوك يستخدمونه للتعبير عما يريدونه على المنبر في المحافل([23])، وولي خطابة بلنسية في أوقات([24])، ثم ندب إلى ديوان الإنشاء فاستعفى([25]).

وشغل أبو عبد الله المالقي منصب قاضي الجماعة في غرناطة وتميز بالعدل وقد صدع بالحق فتعرض نتيجة لذلك لغضب الأمير، فلم يبال بذلك ولم يحفل بالتبعة،فناله من المشقة والكيد العظيم ما ناله مثله، حتى كان لا يمشي إلى الصلاة ليلاً، ولا يطمئن على حاله، فاعتزل القضاء وتصدر لبث العلم، ونصح للعامة والخاصة، وشعر الأمير بحاجته إليه فعزم عليه أن يرجع إلى منصبه ليقيم العدل([26])، وعندما كانت موقعة طريف صمد في المعركة وحرض على القتال، وأرسل ناصحاً للأمير أن يكثر من قول: "حسبنا الله ونعم الوكيل"([27]).

ويبدو واضحاً أن العلماء الشهداء اتخذوا أشكالاً عدة؛ لاعتزال السلطة منها: رفض قبول المناصب الرسمية في الدولة؛ إيماناً منهم بأن القبول يشير إلى قبول تجاوزات الحكم، وهذا ما حرصت عليه السلطة في جعل بعض العلماء يتولون الوظائف بالإكراه، ورفض بعضهم الدخول على الحكام، واعتزلوهم من أجل رفعة العلم، فهؤلاء العلماء عرفوا قدر أنفسهم، فلم يذلوا أنفسهم، ولم يترددوا على أبواب السلاطين، وهناك شكل آخر من أشكال اعتزال السلطة، يتمثل في ترك البلد و الفرار إلى بلد أخر، حيث الأمن والاستقرار، وحرية ممارسة الدور الوظيفي السامي لهم، وهذا يعد نوعاً من أنواع الحفظ السلبي من أجل دفع الضرر.

وتسرد هناء البيضاني سبعة أسباب لاعتزال العلماء السلطة هي([28]):

1- الخوف من ضياع الدين والدنيا معاً عند فساد الزمان.

2- اعتزال السلطان عند فساده؛ لأن فساد السلطة مرتبط بالدولة.

3- عدم رغبة العلماء في مواجهات مع السلطة.

4- عدم القدرة على الحفاظ على المقاصد الشرعية الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال.

5- الخلاص من سوء ظن الرعية.

---

[22] ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص310؛ الذهبي، سير، ج19، ص378.

[23] الذهبي، سير، ج23، ص136؛ ابن العماد، شذرات، ج5، ص164.

[24] الذهبي، العبر، ج3، ص219؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج4، ص85.

[25] الذهبي، العبر، ج3، ص219؛ الذهبي، سير، ج23، ص137.

[26] المقري، نفح الطيب، ج5، ص385.

[27] النباهي، المرقبة العليا، ص146.

[28] الوظيفة السياسية للعلماء، ص 282.

6- تجنب الفتنة.

7- ظهور جليس السوء في مجالس السلاطين.

ولقد تعرض العديد من العلماء الشهداء لمضايقات، وتعسفات من الحكام، بسبب مواقفهم التي لم تنل رضى الحكام؛ لما تحمله مواقفهم من مضامين سياسية معارضة من وجهة نظر الحكام، فقد تعرضوا للضرب والتعذيب، ولكن كان هؤلاء العلماء ينظرون إلى القضية التي امتحنوا فيها من منظور مختلف، فكان همهم الأكبر الحفاظ على حدود الله تعالى، وتطبيق شرعه في الأرض([29]).

وتتخذ محن العلماء الشهداء شكلاً سياسياً واضحاً، وترجع لأسباب عدة، فالغالب ما يكون ذلك بسبب فتوى أو موقف عملي اتخذه العالم ضد الحاكم، في إطار تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أو مجرد أن يعبر به عن وجهة نظره، ويكون هذا الرأي مخالف لرأى الحاكم، ويبدو أن الأسباب التي تعرض بسببها العلماء في الإسلام لما تعرضوا له من محن كانت أسباباً معروفة و معلنة، فمنها: الامتناع عن البيعة، أو رفض منصب في الدولة، أو رفض الإفتاء بما يريده الحاكم، أو مخالفة أوامر القائد في المعركة([30])، فقد ولي ابن فيد الفارسي الصلاة و الخطبة في كورة ألش من أعمال مرسية بجامعها مدة، وكان الناس يقصدونه للسماع منه، والأخذ عنه، و عندما خلع دعوة الأمير محمد بن سعد، مع عامة أهلها، خاف من بطش الأمير، فاستشهد في خروجه منها([31]).

وعندما غزا أحمد بن وسيم مع محمد بن تمام إلى بلاد النصارى، وأصابت المسلمين الهزيمة هرب إلى قرطبة، فاتبعه أهل طليطلة، فظفروا به، وتولى بنو عبيد من أهل طليطلة صلبه، وهو يقول: "كان ذلك في الكتاب مسطورا، وجعل يقرأ سورة يس وهو في الخشبة، ويقول لرامي النبل: نكب عن وجهي حتى سقط من الخشبة، ووافق دماغه حجر فمات"([32]).

وعندما ولي يوسف بن عبد المؤمن تخلف أبو حفص([33])عن بيعته، وذلك لعدم التزام الأمير بالحكم الذي أصدره القاضي بمجلس قضائه، وامتنع الموحدون نتيجة لذلك عن بيعة الأمير، فلما رأى الأميرُ ذلك تنازل له، وأُعجب به، فكان ردُ القاضي مبايعته، وأعلن عن الرضا

---

[29] البيضاني، الوظيفة السياسية للعلماء، ص256.

[30] المرجع نفسه، ص302.

[31] ابن الأبار، التكملة، ح3، ص209؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ج1، ص 278؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ح39، ص290.

[32] ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص8، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج28، ص38.

[33] هو الشيخ أبو حفص عمر الهنتاتي قائد الجيش الموحدي(ينظر: نفح الطيب، ج7، ص110).

بخلافته، فكانت عند يوسف وقومه من أعظم البشائر([34])، كما اتصل أبو بكر الغرناطي بصاحب غرناطة، ووقف إلى جانبه، ثم اتصل بالذي بعده إلى أن غضب عليه، وسجنه هو وولـــده، ثـــم نفاهما إلى بجاية عن طريق البحر، فخرج عليهم الفـــرنج فقاتـــل حتـــى استـــشهد ســـنة(702 هـــ=1302م)، وأسر ولده ومن معه ثم خلصوا([35]).

وأراد أمير قرطبة أبو عبد الله محمد بن الحاج داود اللمتوني القيام على علي بن يوسف بن تاشفين ودفع إمرته، ولم يبايعه عندما تولى السلطة، ووقف إلى جانبه الملأ من أهل قرطبـــة ومشيختها وفقهائها وذلك سنة(500هـــ=1106م)، وعندما فشل في تحقيق هدفه هرب إلى شرق الأندلس، إلى أن رضي علي ابن يوسف عن ابن الحاج و أخيه و قومه، وصـــفح عـــنهم، وولاه فاس، وما إليه من أعمال المغرب، ثم بعد ذلك سرقسطة مع بلنسية([36])، حتى استشهد في معركة البورت سنة(508 هـــ=1114م)([37]).

وكان أبو عبد الله بن الحاج التجيبي، من كبار العلماء، متبحراً في العلوم والأدب، وتميز بشدة طلبه للعلم والخشوع الشديد، ينتقد تصرفات الأمراء وأصحاب السلطة ويطالب بالإصـــلاح، فقتل ظلماً بجامع قرطبة في صلاة الجمعة عن إحدى وسبعين، عند اختلال حكم الملثمين([38]).

كما مارس علماء السوء أدواراً غير شريفة، تجاه العلماء الشرفاء الذين وهبـــوا حيـــاتهم لخدمة الدين من أجل تطبيق شرع الله، فقد ألبوا السلطة عليهم، مفتعلـــين مواقـــف و صـــراعات تخدم مصالحهم الشخصية، فقد قُتل علي بن صالح بن أبي الليث مظلوماً بدانية؛ لـــسعاية لحقتـــه عند السلطان محمد بن سعد([39])، وقتل ابن فيد الفارسي عندما خلع دعـــوة الأميـــر محمـــد بـــن سعد([40]).

ويبدو واضحاً أن محن العلماء الشهداء ترجع؛ لكونهم علماء، و يمتلكون سلطة استمدوها من الشرع، والتي تتحدث باسم الدين، ويرجع نزول المحن عليهم من قِبل الحكام، بـــسبب تأييـــد العامة لهم، مما يقلق السلطة الحاكمة، فهم يظنون أن هذه المساندة تشكل خطـــراً علـــيهم وعلـــى

---

[34] ابن خلدون، تاريخ، ج6، ص372.

[35] ابن حجر، الدرر، ج5، ص45.

[36] ابن الأبار، المعجم، ج1، ص55؛ الناصري، الاستقصا، ج2، ص63.

[37] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص34؛ الذهبي، سير، ج 20، ص244.

[38] الذهبي، العبر، ج4، ص79؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج2، ص61؛ ابن العماد، شذرات، ج4، ص94.

[39] ابن الأبار، التكملة، ج3، ص204؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج29، ص287؛ ابن فرحون، الديباج، ج1، ص212.

[40] ابن الأبار، التكملة، ج3، ص209؛ ابن عبد الملك المراكـــشي، الـــذيل والتكملـــة، س5، ج 1، ص278؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج29، ص287.

سلطانهم؛ لأنهم يظنون أن ذلك التأييد يعبر عن عدم رضـا الرعيـة علـى الـسلطة الحاكمـة وسياستها، كما أنهم ظنوا أن تلك المساندة يمكنها أن تتحول في وقت من الأوقات إلى ثورة ضـد السلطة الحاكمة.

وساهمت الظروف السياسية في تبني بعض العلماء الشهداء فكرة الثورة علـى الحـاكم الجائر الظالم، فكانت لهم مبرراتهم ودوافعهم التي جعلتهم يسلكون هذا الطريق، و أبرز الأمثلـة على ذلك ثورة القاضي ابن جحاف التي سبق الإشارة إليها، والتي انتهت بحرقه([41])

وهكذا يبدو واضحاً أن القاضي ابن جحاف قاد ثورته؛ لإصلاح أحـوال بلنـسية ضـد الحاكم الظالم المستبد، ودفع حياته ضريبة لثورته ضد الحكام الخونة.

ولما انقضت دولة الملثمين في سنة(539هـ=1144م) دعـا ابـن حمـدين([42]) لنفـسه بقرطبة، فخاطب القاضي أبا الحسن بن أضحى يحضه على اتباعه، والثورة على الأميـر علـي ابن أبي بكر المعروف بابن فنو([43])، فقام بدعوة ابن حمدين في غرناطة، وتبعـه أهـل بلـده، وأخرجوا الملثمين من المدينة، وتعاون ابن هود مع ابن أضحى في قتال الملثمـين، وحـصارهم بالقصبة أشهراً، ثم إن ابن أبي جعفر([44]) قاضي مرسية الثائر بها أرسل جيـشاً لمعونـة أهـل غرناطة، فلما وصل إلى مشارفها وهو في ألفي فارس خرج الملثمون إليه فهزموه، و قُتِلَ هـو وكثير ممن كان معه، ودفن بغرناطة([45]).

ويبدو واضحاً أنه حين ضعفت دولة الملثمين عام(539هـ=1144م)، ولم تستطع تحمل المهام الموكلة إليها، كثر الثوار عليها في شرق وغرب الأندلس، وخاصة من القضاة، ممـا أدى

---

[41] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص204؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص455.

[42] هـو العلامـة قاضـي الجماعـة، أبـو عبـد الله محمـد بـن علـي بـن حمـدين الأندلسي(ت:508هـ=1114م)،المالكي، صاحب فنون ومعارف وتصانيف، ولي القضاء ليوسف بن تاشفين، فسار أحسن سيرة، وولي قضاء قرطبة، وكان ذكياً بارعاً في العلم أصولياً لغويـاً شـاعراً، حميـد الأحكـام (ينظر:الذهبي، سير، ج19، ص333).

[43] هو علي بن أبي بكر المعروف بابن فنو وأمه أخت علي بن يوسف بن تاشفين كان أميراً على غرناطة بعد أبي زكريا بن غانية، ويذكر أن القاضي ابن أضحى قام عليه(ينظـر: ابـن الأبـار، الحلـة الـسيراء، ج2، ص215).

[44] هو عبد الرحمن بن جعفر بن إبراهيم بن أحمد المعافري من أهل ميورقة وسكن مرسية أسند له عمل فـي الكتابة بحضرة مراكش ثم استعفي فأعفي وانصرف إلى مرسية هاجراً خدمة الأمراء مواصلاً صحبة الفقراء، لما اختلت دولة الملتمين عام(539هـ=1144م) ثار عليهم، فخرج إليه الملثمون وقد اشتدت شوكتهم وكثفت جماعتهم فهزموه وقتل ابن أبي جعفر(ينظر: الحلة السيراء، ج2، ص227).

[45] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص227.

إلى سقوط العديد منهم شهداء، وأشهرهم: القاضي أبو الحسن بن أضحى، والقاضـــي ابـــن أبـــي جعفر، والقاضي أحمد بن طلحة المحاربي.

وفي حقيقة الأمر إن العلاقة والصراع بين العلماء الشهداء، والحكام، لم تكن قضية حاكم صالح أو فاسد، بل كانت مصلحة الأمة؛ فكانت مختلفة الأشكال فأحياناً كانت بالنصح والإرشاد، وأحياناً بالمواجهة والنقد اللاذع، وأحياناً باعتزال العمل مع السلطة الحاكمة، وأحيانـــاً بـــالثورة عليهم، وهدف العالم من ذلك حفظ كرامته، واعتداده بنفسه، وضماناً لأمته ومصالحها، وصـــمام الأمان الذي يحكم هذه العلاقة بين الحاكم والعالم، هي السياسة الشرعية، فهي الإطار الذي يحكم ويضبط تصرفات وأفعال كل من الحاكم والعالم.

المبحث الثاني

مشاركة العلماء الشهداء في الحكم والإدارة

وشارك العديد من العلماء الذين قضوا شهداء في العمل السياسي بالوزارات وفي مناصب الدولة المختلفة.

ويعد منصب الوزارة من أهم المناصب التي شغلها العلماء الشهداء، إذ يأتي بعد الخلافة من حيث الأهمية الإدارية في الدولة([1])، فالوزير هو الذي يشد أزر الخليفة، ويحمل عنه الثقل والعبء، وهو الملجأ الذي يلجأ إليه الخليفة في الأمور المهمة قال تعالى: "**وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي [هَارُونَ أَخِي [اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي [وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**"([2]).

وقد وجدت خطة الوزارة بالأندلس منذ قيام الدولة الأموية، وكانت وزارة متعددة المناصب، لها رئيس وهو الحاجب الذي يتصل بالخليفة، ولكل ناحية من نواحي الإدارة العامة لها، وزير مختص بها، وهناك الرئاسة العامة وهي الحجابة([3]).

ومن أشهر العلماء الذين شغلوا منصب الوزارة في عهد ملوك الطوائف أبو عبد الله التجيبي، الذي قدم للشورى، وتقلد القضاء بجهات عدة، ثم عمل مع المهدي بن عبد الجبار([4])، وكان أحد دعاته، فاستوزره عند ظهوره، وقلده المظالم، ولما انقرضت دولة المهدي لجأ إلى الاستخفاء، والطلب عليه شديد، إلى أن وجد في مقبرة على نعش قد أُخرج من دار ميتاً، وعلى صدره ورقة فيها قصته([5]).

وعمل أبو حفص الهوزني وزيراً في عهد ملوك الطوائف، واستشهد في قتال الروم في وادي طلبيرة، وقد رثاه الوزير الكاتب أبو الخطاب عمر بن أحمد بن عبد الله بن عطيون التجيبي الطليطلي في قصيدة أولها:

نبأٌ بِهِ وافى البريدَ فظيعُ ... صدعَ القلوبُ حديثُهُ المسموعُ
وافى فَكلِ تجلدٍ متعذرٍ ... أسفاً وكلُ تصبرٍ ممنوعُ
طَلَعتْ بمطلعهِ عليَّ غياهبٌ ... لم يبدُ فيها للسرورِ طلوعُ

---

[1] العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، ص134.

[2] سورة طه، الآيات29 – 31.

[3] ابن عذاري، البيان المغرب،ج2، ص417؛ ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص239.

[4] هو محمد بن عبدالجبار المهدي(ت:400هـ=1009م) صاحب قرطبة، وعندما استوثق الأمر لسليمان المستعين اختفى المهدي، وهرب إلى طليطلة، واستنجد بالفرنج، وبعث إليهم بمال عظيم، ثم أقبل في عسكر عظيم، فكان المصاف في عقبة البقر بقرب قرطبة، وانهزم ابن عبد الجبار، فذبح صبراً يوم التروية(ينظر: سير، ج17، ص284).

[5] عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص23؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج28، ص41.

فبكيتُ منْ جزعٍ عليــهِ بمقلــةٍ إنُســانهــا بجفــونِهــا ملســوعُ
ولوْ أنَّ لي عَدَدَ النجومِ مــدامعاً تجري ومنْ فيضِ البحورِ دموعُ
لمْ أقضِ حَقَكَ يــا محمــدُ إنــه حــزنٌ تعاظــمَ قَــدرَهُ وولــوعُ
ماذا نعى الناعونَ صُمَّ صَدَاهُــمُ منْ طــودِ عزً خَرَّ وهُوَ مَنيــعُ
ماذا نعوا منْ جودِ كفٍ أُخْضِبَتْ فــزمانُهــا للــمُعتقِيــنَ ربيــعُ
يا سالكاً بينَ الأسنــةِ و الظّبــا فــي موضعِ فِيهِ السلوكُ فظيــعُ
مازَالَ قَدرُكَ سامياً حتــى غــدا في زُمّرةِ الشهــداءِ وهُوَ رفيــعُ
ما ذُقــتَ موتاً إذ صُرِعْتَ وإنما نِلتَ الحياةَ وصبريَ المصــدوعُ
يا طالعاً فــي الجيشِ منْ طلبيرةٍ هل آن لابن الهُوزنيِ طلــوعُ([6]).

واشتغل أبو بكر بن زيدون في السياسة، وانضم إلى بني جهور، الذين تولوا الحكم فــي قرطبة، بعد سقوط الدولة الأموية، فولوه الوزارة، فحسده أعداؤه، وأفسدوا ما بينه و بــين بنــي جهور، وقد احتال ابن زيدون كثيراً في طلب الصفح فلم يظفر بطائل، ففرمن سجنه إلى إشبيلية، واتصل بصاحبها المعتمد بن عباد لعلو كعبه في الأدب، ثم تقلد الوزارة للمعتمد بن عباد، ثم قُتِــلَ علي يد ابن عباد فيما بعد([7]).

ومن أشهر العلماء الشهداء الذين شغلوا منصب الوزارة في عــصر ملــوك الطوائــف، الوزير أبو بكر محمد بن عمار، الذي اتصل بالمعتمد بن عباد اتصالاً وثيقاً، حتى إنــه كــان لا يفارقه ليلاً أو نهاراً، فاتخذه وزيراً حين ولاه أبوه ولاية شلب، وقد قام ابن عمار بدور سياســي مهم في المفاوضات، التي دارت بين المعتمد بن عباد والفونس السادس زعيم نصارى الأنــدلس، إلا أن المعتمد بن عباد قد ساورته الشكوك في إخلاص وزيره ابن عمار، وأمر بتقييده، وحملــه إلى مدينة قرطبة،فسجن([8]) وكتب ابن عمار أشهر قصائده متوسلا طالبا العفو ومنهــا قــصيدته التي يقول فيها:

سَجَاياكَ إنْ عافيتَ أندى وأسجعُ وعُذرُكَ لو إنْ عاقبت أجلى وأوضحُ
حَنانَيكَ في أخذى برأيِكَ لا تطعْ عِدايَ ولو أثنــوا عَليكَ و أفصحــوا
فإنَ رجائِي أن عنــدكَ غيرَ مــا يخوضُ عَدوي اليومَ فِيهِ و يمــرحُ
واعفُ علــى آثارِ جُرمِ سلكْتُهُــا بهبةِ رُحمى منِكَ تمحــو وتمصحُ([9])
ولا تلتفتْ قولَ الوشاةِ و رأيَهــم فــكلُ إنــاءٍ بالــذي فِيــهِ يَرشــحُ

---

[6] ابن بسام، الذخيرة، ق3، ج2، ص782.

[7] المراكشي، المعجب، ج1، ص105.

[8] المصدر نفسه، ج1، ص119.

[9] تمصح: من الفعل مَصَحَ وتعني غسلك وطهرك من الذنوب(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص598).

ماذا عسى الواشونَ أنْ يتَزَيَــدوا   سوى أنَّ ذنبِـــي واضحٌ متصحح ُ([10]).

ولم يزل ابن عمار بسجن المعتمد إلى قتله في سنة(479هـ=1086)([11]).

ويبدو واضحاً أن المعتمد بن عباد كان حاكماً ظالماً متسلطاً على رقاب العلماء لا يقبــل منهم نصيحة ولا موعظة، ولا كلمة حق، فقتل العديد منهم مثل: ابن الهــوزني و ابــن زيــدون وابن عمار، وسجن وعذب وتكبر؛ ليلقى سوء العاقبــة بنفيــه إلـــى المغــرب، ويقــضي بقيــة حياته غريباً.

ولما جاء المرابطون، احتل الوزير في أيامهم مكانا بارزاً في الدولة، على اعتبـــار أنـــه الشخص المقرب من السلطان، والذي يحضر مجلسه فهو "بمنزلة ســمعه، وبــصره، ولــسانه، وقلبه، وفي الأمثال: "نعم الظهير الوزير"([12])، وحيث أن دولة المرابطين، كانت دولـــة إســـلامية مجاهدة، يقوم نظام الحكم فيها على أسس عسكرية، فأمير المسلمين هو قائــد الجــيش الأعلـــى، ومعاونوه هم قواد الجيش، لهذا كان من الطبعي أن يتسم منصب الوزير بالطابع العسكري، وهم قرابة السلطان عادة، أو من قبائل لمتونة و صنهاجة، التي قامت على أكتافها دولة المـــرابطين، ولكن لما كان الأمر يتطلب من الوزير أيضا كتابة الوثائق، والمراسيم، و صياغتها، فقد وجد في دولة المرابطين وزراء كتاب، وهم من الفقهاء([13]).

كذلك اتخذ أمير المسلمين علي بن يوسف(500- 536هـــ=1106– 1143م) وزراء ومستشارين من الفقهاء وكبار العلماء، واشتد إيثاره لأهل الفقه والدين، وكان لا يقطع أمراً فـــي جميع مملكته دون مشورة الفقهاء، فكان إذا ولى أحداً من قضاته، لا يستطيع هــذا القاضـــي أن يصدر حكماً في صغير من الأمور، ولا كبير إلا بمحضر أربعة من الفقهاء، فبلغ الفقهـــاء فـــي أيامه مبلغاً عظيماً، لم يبلغوا مثله في الصدر الأول من فتح الأندلس، ولم يزل الفقهاء على ذلـــك، وأمور المسلمين راجعة إليهم، وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم طول مدته، فعظم أمـــر الفقهاء، وانصرفت وجوه الناس إليهم([14])، ونخص منهم بالذكر الوزير الشهيد (ذو الـــوزارتين) أبو عبد الله محمد أبي الخصال، كاتب أمير المسلمين، يقول صاحب المعجب في ذلك: "ولم يـــزل أمير المسلمين من أول إمارته، يستدعي أعيان الكتاب من جزيرة الأندلس، وصرف عنايته إلـــى ذلك، حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك، ومنهم أبو عبد الله محمد بن أبي الخصال، وحق لـــه

---

[10] **المراكشي، المعجب، ج1، ص125.**

[11] **المصدر نفسه، ج1، ص127.**

[12] **الطرطوشي، سراج الملوك، ص70.**

[13] **العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، ص152.**

[14] **المراكشي، المعجب، ج1، ص171.**

ذلك إذ هو آخر الكتاب، وآخر من انتهى إليه علم الأدب، وله مع ذلك في علم القرآن والحـديث والأثر وما يتعلق بهذه العلوم الباع الأرحب، واليد الطولى"([15]).

ولابن أبي الخصال ديوان للرسائل، تداوله الكتاب، والأدباء، واتخذوه نموذجاً لرسائلهم، فقد كتب رسالة تنم عن احتقاره للمرابطين، واصفاً إياهم بأنهم بدو عراة صحراويون، لا إلمـام لهم بأساليب السياسة، وأمور الحضارة، وقد سبق الإشارة إلـى مقـاطع منهـا فـي المبحـث السابق([16]).

ويبدو واضحاً أن الهزيمة القاسية التي تعرض لها جيش المرابطين على يد ابن رذميـر، ومقتل عدد كبير من المسلمين في المعركة دفعت الوزير ابـن أبـي الخـصال إلـى مهاجمـة المرابطين وأن يغلظ لهم في القول أكثر من الحاجة، بسبب تخاذلهم وتواكلهم، لعل ذلـك يكـون دافعاً لهم للغيرة على شرف المسلمين، ويحسنوا ذلك في المرة القادمة.

واستوزر أبو بكر يحيى بن إبراهيم بن تاشفين، الفيلسوف ابن باجة وجعلـه صـاحب سره، ووزيره الأول مدة عشرين سنة، "وكانت شكيمته حسنة، وانتفع به الناس، وأُمن به البـؤس واليأس، وصلحت الأحوال، ونجحت الآمال"([17])، لكن عساكر ابن تاشفين حسدت ابن باجة على هذه المكانة، بسبب ما شاع عنه من الذم بأنه فيلسوف منكر، رغم ما تميز به من رجاحة العقـل، فترك كثير من العساكر خدمته([18]).

ودولة الموحدين تشبه دولة المرابطين في وجوه كثيرة، إذ أنها هي الأخرى قامت على أسس دينية إصلاحية، واصطبغت نظمها بالصبغة العسكرية، وكان جهاد الصليبيين في الأنـدلس من أهم أهدافها، وصار للدولة وظائفها الإدارية المعروفة كالوزارة، والكتابة والقـضاء، وكـان منصب الوزير من المناصب المهمة في الدولة الموحدية، الذي شغله عـدد مـن أبنـاء الخلفـاء وإخوتهم من بني عبد المؤمن، كما شغله عدد من أصهارهم، وقوادهم، وكتابهم ([19]).

ومن أشهر العلماء الشهداء الذين شغلوا منصب الوزارة لدى الموحـدين، الـوزير أبـو جعفر ابن عطية القضاعي المراكشي([20])، الذي يُعد من أهم وزراء عبد المؤمن، حيث جمع بين

[15] المراكشي، المعجب، ج1، ص173 ؛ ابن الأبار، التكملة، ح3، ص75 ؛ ابن الأبار، المعجم، ج1، ص63.

[16] المراكشي، المعجب، ج1، ص175.

[17] الأصفهاني، خريدة القصر، ج3، ص68.

[18] فنديك، اكتفاء القنوع، ج1، ص66.

[19]العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، ص255.

[20] هو أبو جعفر بن عطية القضاعي المراكشي(ت:553هـ=1158م)، وأصلة من طرطوشة شـمال شـرقي أسبانيا، وقد كتب لعلي بن يوسف ثم لابنيه تاشفين وإسحاق حتى أواخر عهد المرابطين، ثم انخرط في خدمة الموحدين حتى قتل(ينظر: المقري، نفح الطيب، ج5، ص183).

الكتابة، والوزارة في بادئ الأمر، ثم انفرد بالوزارة([21])، وقد كتب ابن عطية لعلي بن يوسف، ثم لابنيه تاشفين وإسحاق حتى أواخر عهد المرابطين، فلما انقرض أمرهم هرب وغير هيئته وتشبه بالجند، ثم انخرط متنكراً في جيش عبد المؤمن بن علي، وكان يحسن الرماية، ثم صحب أبا حفص عمر لحرب الثائر محمد بن هود الماسي([22])، ولما أخمدت الثورة، طلب الشيخ عمر الهنتاتي قائد الجيش الموحدي من يكتب عنه بأخبار هذا النصر إلى عبد المؤمن، فعُرِفَ بابن عطية، فأمر بحضوره، فحضر وكتب عنه إلى الموحدين رسالة شرح فيها الحال، ومما جاء فيها: "كتبنا في وادي ماسة، بعدما تجدد من أمر الله الكريم، ونصره المعلوم، وما النصر إلا من عند العزيز الحكيم، فتح فاق الأنوار إشراقاً، وأحدق بنفوس المؤمنين إحداقاً"([23]) فأعجب بها عبد المؤمن واستحسنها، واستدعاه إلى بلاطه، وقلده الكتابة ثم ارتفعت مكانته عنده فاستوزره([24])، وعلى الرغم مما بلغه ابن عطية من الجاه والنفوذ في عهد الموحدين، فقد كان يعطف على المرابطين، الذين عمل معهم من قبل، و تزوج أميرة لمتونية، تُعرف ببنت الصحراوية([25])، ونصح أخاها ابن الصحراوية([26]) محذراً صهره بالهجرة إلى جزيرة ميورقة بقوله لامرأته: "قولي لأخيك يتحفظ، وإذا دعوناه غداً، فليعتل ويظهر المرض، وإن قدر على الهروب واللحاق بجزيرة ميورقة فليفعل، فأخبرته أخته بذلك، فتمارض و أظهر ألماً به، فزاره وجوه أصحابه وسألوه عن علته، فأسر إلى بعضهم ما بلغه عن الوزير، فخرج ذلك الرجل الذي أسر إليه، فنقل ذلك كله بجملته إلى عبد المؤمن"([27]).

---

[21] الناصري، الاستقصا، ج2، ص111.

[22]هو محمد بن هود الماسي السلاوي(ت: 548هـ=1153م)، انضم إلى عبد المؤمن في بداية دعوة الموحدين، ثم خرج عليه ثائراً، وأخذ يدعو إلى نفسه باسم الهادي اقتداء بالمهدي بن تومرت، وكاد يطيح بعرش الموحدين، ولكنه قتل على يد أبي حفص عمر قائد جيش الموحدين(ينظر: الناصري، الاستقصا،ج2، ص117).

[23] المقري، نفح الطيب، ج5، ص187؛ الناصري، الاستقصا، ج2، ص111.

[24] الناصري، الاستقصا،ج2، ص113.

[25] هي أميرة لمتونية حفيدة عاهل المرابطين يوسف بن تاشفين، وكان أخوها يحيى بن أبي بكر بن يوسف، تزوجها الوزير ابن عطية(ينظر: المراكشي، المعجب، ج1، ص199).

[26] هو يحيى بن أبي بكر بن يوسف من فرسان المرابطين المشهورين، وله بلاء شديد في مقاومة الموحدين، ثم انقاذ لهم أخيراً حين لم يجد بداً من الانقياد فعظمت مكانته عندهم، وولوه قائداً على من وحد من المرابطين(المراكشي، المعجب، ج1، ص199).

[27] المراكشي، المعجب، ج1، ص200.

ويبدو أن هذه الصلة السياسية والعائلية، التي تربط ابن عطية بالمرابطين، كانت أساس نكبته التي انتهت بقتله سنة(553هـ=1158م)، إذ استغلها أعداؤه، واتهموه بالتعاون مع أعداء الدولة من المرابطين، ولا سيما بني غانية حكام ميورقة([28])،وحاول ابن عطية أن يستدر عطف الخليفة عبد المؤمن، بما نظم من شعر، وبعث برسائل يعتذر فيها عما فرط منه، إلا أن عبد المؤمن أجابه بقوله متمثلاً بالأية الكريمة :" الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين"([29])وأمر بقتله([30])

ويتضح من نكبة الوزير ابن عطية أن بعض الحكام لا تنقصهم الحجة لتبرير أعمالهم العدائية ضد العلماء، فابن عطية لم يحرض ولم يقم بأعمال عدائية، وكل ما في الأمر أنه أوعز إلى أهل بيته بالابتعاد عن مواطن الخطر للحفاظ على حياتهم عندما كَثُرَتْ عليهم الوشايات، ولم يقتصر القتل على ابن عطية فقط، بل قُتِلَ أيضاً أخاه أبا عقيل عطية بن عطية، كما سُجِنَ ابن الصحراوية إلى أن مات في سجنه.

واستوزر الخليفة عبد المؤمن الشيخ عبد السلام بن محمد الكومي([31])، وقد كانت لهذا الوزير مصاهرة مع الأسرة الحاكمة، لهذا كان هذا الوزير يُدعى بالمُقرب، لشدة تقريب عبد المؤمن له([32])، وقد اعتمد الكومي على هذه القرابة في تصرفاته كوزير، ولكن سرعان ما تتغير الظروف وينقلب الحق إلى باطل عند الحاكم الظالم، ويُنسب للكومي العديد من التهم مثل: الاستبداد في عمله، والاستئثار بالسلطة، كما اتهمه بالغلول في الغنائم، فأمر عبد المؤمن باعتقاله وسجنه سنة(555هـ=1160م)، ثم احتال في قتله بأن دس له سماً مسهلاً، أفقده قواه حتى لم يبق فيه إلا عيناه([33]).

وكان أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن(558-580هـ=1163- 1184م) صاحب المغرب، فقيهاً حافظاً متقناً لأن أباه هذبه، ومن رجال الحرب والمعارف، حيث نشأ على ظهور الخيل بين الفرسان، وفي قراءة العلم بين أفاضل العلماء، وكان ميله إلى الحكمة والفلسفة أكثر

---

[28] ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص26.

[29] سورة يونس، الآية91.

[30] المقري، نفح الطيب، ج5، ص185.

[31] كومية إحدى بطون بني فاتن من البربر البتر، وقد تعربت منذ فجر الإسلام، وكانت تسكن الجبال الممتدة بين تلمسان والبحر المتوسط.(ينظر: ابن خلدون، تاريخ، ج6، ص165؛ الناصري، الاستقصا، ج2، ص99).

[32] المراكشي، المعجب، ج1، ص 198؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص238؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ج2، ص172؛ المقري، نفح الطيب، ج5، ص138؛ الناصري، الاستقصا، ج2، ص132.

[33] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص180؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص43؛ الناصري، الاستقصا، ج2، ص141.

من ميله إلى الأدب و بقية العلوم، وكان جماعاً ضابطاً لخراج مملكته عارفاً بسياسة رعيته([34])، وكان يحفظ ما قاله أرسطوطاليس، وأفلاطون، وجميع الفلاسفة، وكان له غزارة حفظ، لم تكـن في أحد من المشتغلين بهذا الشأن المتفرغين له([35])، وكان ممن صحبه من العلماء بهـذا الـشأن أبو بكر محمد بن الطفيل، وكان حريصاً على الجمع بين علم الشريعة والحكمة، ولم يزل يجمـع إليه العلماء من جميع الأقطار، ومن جملتهم أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد([36]).

ويُؤثر عن يوسف بن عبد المؤمن أنه خلع أخاه محمد بن عبد المؤمن؛ لأنه كـان علـى أمور لا يصلح معها للملك، من إدمان شرب الخمر، واختلال الرأي، وكثـرة الطـيش، وجـبن النفس، ويقال إنه كان به ضرب من الجذام، واضطرب أمره، واختلف الناس عليه، فخُلع وكـان مدة ولايته خمسة وأربعين يوماً([37]).

ويبدو واضحاً أن أمير المسلمين يوسف بن عبد المؤمن كان عالماً بأمور الدين والـدنيا، مقرباً للعلماء والفقهاء والحكماء، عارفاً بسياسة رعيته، جاهد في بلاد الروم، حتى استشهد؛ لذلك لم يكن في بني عبد المؤمن من يستحق في الحقيقة لقب ملك غير أبي يعقوب.

واستوزر الخليفة المنصور(580-595هـ=1184-1199م) الفقيه أبا يحيى بن الـشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي، وكان في مقدمته يوم معركة الأرك، وأظهر في ذلـك الموقـف مـن الشجاعة والثبات حتى استشهد في المعركة، وعرف أولاده من بعده ببني الـشهيد([38])، ويقـول صاحب المعجب: أن أمر الوزارة اضطرب قليلاً بعد وفـاة هـذا الـوزير القائـد([39])، ووزر للمنصور الفقيه أبو زيد عبد الرحمن بن يوجان الهنتاتي ابن الشيخ المجاهد المقدسي أبي محمـد، فلم يزل وزيراً إلى أن مات المنصور، ثم ولي أفريقية عام(618هـ=1221م)، فكان له الأثـر الحميد والصيت البعيد، و دخلت محبته في قلوب العباد، ثم انتقل إلى المغرب، وولـي بطليـوس وثغورها بالأندلس، ثم انتقل إلى مراكش بعد ذلك، فاستُشهد هناك سنة(625هـ=1227 م)([40])، ومن شعره قوله:

---

[34] **المراكشي، المعجب، ج1، ص237؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص136؛ الناصري، الاستقصا، ج2، ص156.**

[35] **المراكشي، المعجب، ج1، ص238؛ الناصري، الاستقصا، ج2، ص157.**

[36] **ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص131.**

[37] **المصدر نفسه، ج7، ص131؛ الذهبي، سير، ج20، ص375.**

[38] **المراكشي، المعجب،ج1، ص283؛ ابن خلدون، تاريخ، ج6، ص330.**

[39] **المراكشي، المعجب، ج4، ص262؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص141.**

[40] **ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص380؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج43، ص387.**

هلْ المجــدُ إلا ما تجــرُ العزائــمُ وإنْ ريعَ يوماً فالسيوفُ تمائمُ([41])

وإنْ لاحَ منْ وَجــهِ الزمانِ تَجهــمٌ فَوجهُكَ وضاحٌ وثَغــرُكَ باســمُ

سَأروي أديمَ الأرضِ فيْ طلبِ العُلا وأركبُ عزماً لم تَقدهُ العزائمُ([42]).

وخطة الوزارة من المناصب الهامة، التي شارك في إدارتها العلماء الشهداء في عهد الدولة الحفصية، فقد شغل المحدث أبو بكر محمد بن خلدون وزير المال، و هو المسمى أيضا بصاحب الأشغال، "فهو المختص بالحسبان، وبالنظر المطلق في الدخل و الخرج، يحاسب ويستخلص الأموال، ويعاقب على التفريط([43])، ومن سوء الحظ أن وزير المالية في الدولة الحفصية كان عرضة دائما للقتل، أو السجن والتعذيب، ومصادرة الأموال، فكان مصرع محمد بن خلدون علي يد مغتصب العرش ابن أبي عمارة([44])، وقد شرح حفيده خبر مصرعه بقوله:"واستقل أبو اسحاق إبراهيم بن الواثق(678-683 هــ =1279-1284م)بملك أفريقية، ودفع جدنا أبا محمد إلى الأشغال في الدولة على سنن عظماء الموحدين فيها قبله، من الانفراد بولاية العمال وعزلهم، وحسابهم على الجباية، فاضطلع بتلك الرتبة، ولما غلب ابن أبي عمارة على ملكهم بتونس، اعتقل جدنا أبو بكر محمد، وصادره على الأموال، ثم قتله خنقاً في محبسه" ([45]).

كذلك شغل ابن الأبار منصب وزير الفضل أو كاتب السر([46])، علــى عهــد المنتــصر الحفصي، وكان يكتب العلامة بخطه المغربي، و لكن السلطان رغب أن تكتب بالخط المــشرقي، لهذا أمر أن يكتفي ابن الأبار بإنشاء المكاتبات، ويدع العلامة للوزير أحمد بن إبراهيم الغــساني، فغضب ابن الأبار لذلك، واستمر يكتب العلامة على ما ينشئه من رســائل، فعوتــب فــي ذلــك ورجع، لكنه لم يستطع أن يخفي غضبه، وعندما وصل الخبر إلى السلطان عزله عــن عملــه، وأحس ابن الأبار بخطأ تصرفه، فكتب كتابا بمثابة اعتذار للسلطان أســماه "إعتــاب الكتــاب"، يتضمن حكايات كتاب سبق إليهم، غضب السلاطين ثم حلت بهم نعمة الرضى فأعتبوهم، وعفــا

---

[41] **التمائم : واحداتها تميمة، هي خرزات كان الاعراب يعلقونها على أولادهم يتقون بها النفس والعين بزعمهم (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص70).**

[42] **ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص281.**

[43] **ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص241.**

[44] **ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج2، ص719.**

[45] **ابن خلدون، تاريخ، ج7، ص509.**

[46] **هو المختص بديوان الإنشاء، أي الذي يتولي المكاتبات والأوامر السلطانية، وكذلك كتابة العلامــة، وهــي جملة أوعبارة التوقيع التي تضاف إلى هذه المكاتبات ثم ترفع إلى السلطان؛ ليضع خاتمه عليها، وكذلك كــان هذا الوزير يشرف على أرباب العلم وسائر فنون الفضل، وكان يشترط فيه أن يحسن الإنشاء، ويجيد الترسل باللغة العربية الفصحى وأن يؤتمن على كتمان السر(ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص241).**

عنه السلطان بعد ذلك([47])، وبعد وفاة السلطان تولى الحكم ابنه المستنصر، ورُفع ابن الأبار إلى حضور مجلسه، فلم يحتمل ابن الأبار الظلم والطغيان، فكتب إلى أمير المؤمنين كتاباً يهاجمه فيه قائلاً:

طَغــى بتونــسَ خَلَفَ   سَمُّــوه ظُلمــاً خليفــة

فاستشاط السلطان لها وأمر بقتله وإحراقه، وإحراق مؤلفاته سنة(658هـ=1260م)([48]).

ويذكر ابن خلدون أن ملك تلمسان أبا حمو موسى، كتب إليه يستدعيه مـن بـسكره([49]) ليوليه حجابته، لما كان يعلمه من نفوذه في بجاية وما حولها من القبائل، وأرسـل إليـه بالفعـل مرسوم الحجابة، ولكن ابن خلدون اعتذر عن قبول هذه الخطة، وأرسل إليـه أخـاه الأصـغر الأديب يحيى([50]) نيابة عنه، وقد قتله السلطان أبو تاشفين في رمضان سنة(780هــ=1378م)؛ لمماطلته إياه بعقد ولاية وهران عن أمر السلطان أبي حمو([51]).

أما في عهد غرناطة فقد كانت الوزارة هي القاعدة الأولى بعد رئاسة الدولـة، فـالوزير هو الذي ينوب عن السلطان، و هو الذي يهيمن على شؤون الدولة المدنية والعسكرية، إلى جانب إشرافه على الكتابة و ديوان الإنشاء([52])؛ لهذا كان كثيراً ما يلقب الوزير الغرناطي بألقاب تـدل على قوة نفوذه، مثل: لقب ذي الوزارتين([53])، وهذه الألقاب لم تكن تشريفية بل كانت حقيقية في معناها ومدلولها؛ لأن صاحبها كان يجمع بين سلطتي السيف والقلم([54]).

ويبدو أن غالبية وزراء غرناطة كانوا من أهل العلم، والفضل، والأدب، الذين مارسـوا خطة الكتابة العليا في ديوان الإنشاء قبل ترشيحهم للوزارة، ثم ظلوا محتفظين بهذه الخطة إلـى

---

[47] المقري، نفح الطيب، ج2، ص590.

[48] ابن قنفذ، الوفيات، ص320؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ص 27؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص591.

[49] بسكرة : بلدة بالمغرب من نواجى الزاب بينها وبين قلعة بني كماد مرحلتان فيها نخل وشجر ، بينها وبين طبنة مرحلة، وهي مدينة مسورة ذات أسواق، وجمامات، وأهلها علماء على مذهب أهل المدينة وبها جبل ملح يقطع منه كالصخر(ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص422).

[50] هو أبو زكريا يحيى بن خلدون(ت:780هـ= 1369م) أخو الكاتب عبد الرحمن بن خلدون، شغل منـصب الحجابة مدة طويلة للسلطان أبو حمد موسى الثاني، وأنتج خلالها عدة أعمال أدبية وتاريخية مثل كتاب " بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد وقصيدة في السيف والقلم، ومراسلات سلطانية، وقد مات قتيلاً على يد ولي العهد أبي تاشفين لمماطلته إياه بعقد ولاية وهران(ينظر: ابن خلدون، تاريخ، ص122؛ المقري، نفح الطيب، ج6، ص510)

[51] ابن خلدون، تاريخ، ج7، ص187.

[52] ابن خلدون، المقدمة، ص242.

[53] المقري، نفح الطيب، ج5، ص497.

[54] المصدر نفسه،، ج7، ص103.

جانب عملهم كوزراء([55])، كما أن أصحاب الكتابة العليا هم الذين كانوا موضع الترشيح لمنصب الوزارة في الدولة، و قد أشار والد لسان الدين بن الخطيب إلى ذلك عند قوله([56]):

الطبُ والشعرُ والكتابــةُ   سماتُنــا فيْ بني النجابــةُ

هــيَ ثــلاثٌ مــبلغــاتٌ   مراتبــاً بعضُها الحجابــةُ

ومن العلماء الشهداء الذين شغلوا منصب الوزارة في عهد مملكة بنى نصر المحدث أبي عبد الله محمد بن الحكيم الرندى اللخمى الــذي ابتــدأ كاتبــاً للــسلطان محمــد الفقيــه(671-701هــ=1272-1301م)، ثم صار وزيراً لولده محمــد المخلــوع(701-708هــــ=1301-1308م) مع احتفاظه برئاسة القلــم الأعلــى([57])، وقــد انتهــت حيــاة هــذا الــوزير قتــيلاً سنة(700هــ=1300م) في مجلس السلطان أبي الجيوش نــصر(708- 713 هـــ =1308-1313م)؛ ويبدو أن سبب قتله هو موقفه المعارض لخلع السلطان محمد الثالث، فأراد أن يقــول كلمة حق في مجلس السلطان نصر، فاحتد الموقف بينه وبين الوزير أبي بكر عتيق بن المــول، الذي كان صديقاً، وسنداً للسلطان نصر عند عزله لأخيه محمد الثالث و اعتلائه عرش السلطنة، فكانت نهايته([58])، واستُعمل أبا بكر الغرناطي(ت: 702هــ=1302م)في الوزارة ببلده، فاشــتهر بالشجاعة والإقدام، وعندما غاب السلطان أبو عبد الله عن بلده هارباً من كبار دولته، فداه بنفسه وقام بأمره، وضبط البلد على دعوته، إلى أن خرج عنها إلى العدوة، ولحق بمأمنه([59]).

وشغل ابن الخطيب منصب الوزارة في مملكة بني نصر عام(749هــــ=1348م) فــي عهد السلطان أبي الحجاج يوسف(، واستمر ابن الخطيب في هذا المنصب في عهد السلطان أبي عبد الله محمد الخامس(ت:763هــ=1362م)، فقد كان المنفرد بسر السلطان سفيره لدى ملــوك المغرب([60])، إلا أنه يبدو أن نفوذ ابن الخطيب لم يلبــث أن تــضاءل أمــام طمــوح الحاجــب رضوان([61])، واستئثاره بالسلطة، حتى وقع الانقلاب عام(760هــ=1359م)، الذي أودى بحيــاة

---

[55] المقري، نفح الطيب، ج5، ص 16.

[56] المقري، أزهار الرياض، ج1، ص128؛ ابن العماد، شذرات، ج6، ص187.

[57] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص50 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج7، ص328.

[58] النباهي، المرقبة العليا، ص122؛ ابن خلدون، تاريخ، ج7، ص471.

[59] ابن الخطيب، الإحاطة، ح1، ص190.

[60] ابن الخطيب، الإحاطة، ح 2، ص4، المقري، نفح الطيب، ج7، ص17.

[61] هو الحاجب أبو النعيم رضوان من مماليك بني الأحمر وخاصتهم البارزين، الذي عمل وزيــراً للــسلاطين محمد الرابع، وأبي الحجاج يوسف، ومحمد الخامس، وصار بيده تنفيذ الأمور وتقديم الولاة والعمال، وجواب المخاطبات، وتدبير الرعايا وقود الجيوش، وقد انتهت حياته قتيلاً في الانقلاب الذي دبر لخلع السلطان محمد الخامس سنة(ت:760هــ=1358م)(ينظر: ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص90).

الوزير رضوان، وانتهى بخلع السلطان محمد الخامس، ونفيه إلى المغرب، وتولية أخيه السلطان إسماعيل الثاني مكانه([62])، وصحب ابن الخطيب السلطان المخلوع إلى المغرب مع أفراد حاشيته ورجال دولته، وظل مرافقا له في البلاط المريني حتى عاد السلطان محمد الخامس إلى عرشه عام(763هـ=1362م)، بعد حروب وخطوب شد أزره فيها سلطان المغرب أبو سالم إبراهيم المريني([63])، وعاد ابن الخطيب إلى سابق منصبه كوزير، لكنه في هذه المرة انفرد بالحكم دون منافس([64])، وقد "خلا لابن الخطيب الجو، وغلب على هوى السلطان، ودفع إليه تدبير الدولة، وخلط بنيه بندمائه وأهل خلوته، وانفرد ابن الخطيب بالحل والعقد، وانصرفت إليه الوجوه، وعلقت به الآمال، وغَشيَّ بابه الخاصة والكافة"([65]).

وشرح ابن الخطيب سياسته، التي سار عليها في دولة محمد الخامس بقوله:" ورمى إلي بعد ذلك بمقاليد رأيه، وحكم عقلي في اختيارات عقله، وغطى من جفائي بحلمه، ورمى إليَّ بدنياه، وحكمني فيما ملكت يداه، واستعنت بالله تعالى، وعاملت وجهه فيه بالنظر في سد الثغور، وصون الجباية، وإنصاف المرتزقة، ومقارعة الملوك المجاورة، وإيقاظ العيون من نوم الغفلة، وقدح زناد الرجولية، وجعل الثواب غطاء الليل، ومقعد المطالعة فراش النوم، والشغل لمصلحة الإسلام"([66]).

ويبدو أن نجاح ابن الخطيب في سياسته لا يرجع فقط إلى مكانته العلمية، أو صدق فراسته السياسية، بل يرجع كذلك إلى تمسكه في أحكامه بما جرت عليه الدولة من قواعد، وعادات، وقوانين، حرصاً على استمرارها والمحافظة عليها([67]).

ولقد كانت نهاية ابن الخطيب المؤلمة، تشبه إلى حد كبير نهاية الكثير من وزراء غرناطة، الذين حكموا قبله أو بعده، فعندما أراد ابن الخطيب أن يعالج ضعف غرناطة رسم لها سياسة ثابتة قوامها الارتباط بعجلة فاس، والتعامل بإيجابية مع سلاطين بني مرين ورسم سياسة موحدة للمغرب والأندلس، ولكن كثرة السعايات ضده، وفساد الجو حوله لم تمنحه الفرصة

---

[62] المقري، نفح الطيب، ج5، ص84؛ ابن خلدون، تاريخ، ج7، ص405.

[63] هو السلطان المستعين بالله أبي سالم إبراهيم بن السلطان أبي الحسن المريني صاحب المغرب(ينظر: المقري، أزهارالرياض، ج1، ص61)

[64] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص15.

[65] ابن خلدون، تاريخ، ج7، ص444؛ المقري، نفح الطيب، ج5، ص101.

[66] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص17؛ المقري، نفح الطيب، ج7، ص7.

[67] المقري، نفح الطيب، ج5، ص153.

بالاستمرار، ففر إلى المغرب، ولكن الطلب عليه شديد فقبض عليه وقُتل وأُحــرق وصـــودرت أمواله عام(776هــ= 1274م)([68]).

ويبدو أن ابن الخطيب لم يكتفِ بقول كلمة الحق، بل أراد أن يجسد كلمة الحــق عمليــاً بتطبيقها على الواقع عن طريق رسم سياسة موحدة للمغرب والأندلس، ولكن أنــصار الباطــل والمصالح الخاصة يحاربون الحق وأهله فكادوا له.

وإلى جانب الوزارة شغل العلماء الشهداء العديد من المناصب الدينية، وأبرزهــا خطــة القضاء، حيث يعد القضاء منصباً رفيعاً، قد يأتي بعد الخلافة مباشرة؛ لأن صاحبه يمثل الــشرع، وأحكام الدين، وفي الحقيقة إن خطة الوزارة كانت أوسع سلطة ونفوذاً، إلا أنها كانت تعــد مــن توابع الخلافة، أي أنها لم تكن مستقلة تمام الاستقلال، أما القضاء فكان مستقلاً فــي إدارتــه، ولا يقبل أي تدخل من جانب السلطة التنفيذية، ولهذا كان كثيراً من العلماء يمتنعون عن قبول منصب القضاء؛ خوفاً من تدخل السلطة الحاكمة في شؤونهم، وقد نال بعضهم أذى كبيــراً مــن جــراء هذا الامتناع([69]).

وإلى جانب استقلال القضاء عن السلطة التنفيذية، فإن القاضي كان يتمتع بمكانة كبيــرة بين الجماهير، من حيث أنه المنفذ لأحكام الشريعة والدين، واقتصرت سلطة قاضــي الجماعــة على العاصمة قرطبة ونواحيها، بمعنى أنه لم يكن له سلطان على بقيــة القــضاة فــي الكــور الأندلسية، فهم مستقلون بأنفسهم وليسوا نواباً عنه، بمعنى أن قاضي الجماعة لا يمتاز عن بقيــة القضاة إلا من الناحية الأدبية فقط، بحكم كونه قاضياً للعاصمة، ومستشاراً للخليفة وإماماً للصلاة في أيام الجمعة والأعياد([70]).

ولقد شغل هذا المنصب عدد وفير من العلماء في عهود مختلفة، ففي عصر الطوائــف، ولي أبو عبد الله بن الجالطي الحكم بالشرطة، والصلاة، والخطبة بالزهراء مدينة السلطان، وقدم إلى الشورى أيام المظفر([71])، وكان هشام بن إبراهيم بن هشام التميمي له حظ وافر مــن الأدب، وشوور في الأحكام([72])، كما شغل منصب قضاء بلنسية، القاضي أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن جحاف، حيث كان ثاني القوم في المدينة، وســئم مــن اســتغلال الكمبيطــور لأهــل بلنــسية، واستضعافه لملكها حفيد بن ذي النون فخلعه، وانتقل من خطة القضاء إلى خطة الرئاســة([73])،

---

[68] المقري، نفح الطيب ، ج5، ص110.

[69] العبادي، تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، ص157.

[70] المرجع نفسه، ص163.

[71] عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص23؛ ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص95.

[72] ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص210.

[73] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص125؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص203.

"وتبوأ ابن جحاف الرياسة، ورتب أرزاق الجند، والخدمة، واستشعر عظمة الرؤساء، وأظهر أبهة الملك، وطمح بصره إلى قضية القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد، فما حسن النظر، ولا ساعده القدر، فكان يجلس مكتنفاً بالوزراء، والفقهاء، والزعماء، والعامة أمامه، ويركب فيقدمه العبيد والطرد، ويتأخر عنه الجند، وتستقبله المصانعة بالدعاء والثناء"([74])، وظل ابن جحاف على منصبه بعد أن أمنه الكمبيطور في نفسه، وماله عند دخوله بلنسية صلحاً، وتركه على القضاء نحواً من عام، ثم اعتقله وأهل بيته، وقرابته، وجعل يطلبهم بمال القادر بن ذي النون، ولم يزل يستخرج ما عندهم بالضرب، والإهانة، ثم انتهى به الأمر بإحراقه([75]).

وكان أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن جحاف المعافري([76]) من أهل بلنسية، وصاحب خطة السر والمظالم، من أهل العلم والفقه، قدمه ابن عمه أبو أحمد للقضاء مكانه، وأدركته فتنة الكمبيطور على بلنسية، وهو يتولى بها خطة الرد والمظالم، وقتل على يديه عام(487هـ=1094م)([77]).

وفي عهد المرابطين ولي يحيى بن محمد الأموي، قضاء شاطبة من قبل أبو علي الصدفي، ثم استعفاه، فأعفاه، وانتقل إلى بلنسية، فشاوره قاضيها أبو محمد الوجدي([78])، وولي أبو علي الصدفي قضاء مرسية، ثم استعفى، ثم خلفه تلميذه ابن مفوز([79])([80])، وتولى أبو عبد الله بن الحاج الشهيد قضاء الجماعة في قرطبة، وبقي في هذا المنصب حتى استشهد([81])، وولي علي بن محمد بن لب القيسي الإمامة في صلاة الفريضة بمسجد ابن رزق([82])، وولي أبو الحسن

---

[74] ابن عذاري، البيان والمغرب، ج4، ص32.

[75] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص125؛ ابن عذاري، البيان والمغرب، ص37.

[76] صاحب الرد والمظالم، هو القاضي الذي كان ينظر في القضية مرة ثانية، فإذا وجد فيها مظلمة ردها للقاضي أو رفعها للسلطان، كي يصدر حكمه بعد استشارة مجلس المشورة أو الشورى الذي كان يضم قضاة للفتيا(ينظر: العبادي، تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، ص164).

[77] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص264.

[78] المصدر نفسه، ج4، ص167.

[79] هو أبو الحسن طاهر بن مفوز بن أحمد بن مفوز الشاطبي(ت:485هـ=1091م)الإمام الحافظ الناقد المجود، كان فهماً ذكياً إماماً من أوعية العلم، وفرسان الحديث، وأهل الإتقان والتحرير، مع الفضل والورع، والتقوى والوقار والسمت، وكان حافظاً للحديث وعلله، وعارفاً بالرجال، متقناً أديباً شاعراً فصيحاً نبيلاً(ينظر: الذهبي، سير، ج19، ص88؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج16، ص236؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، ج1، ص447).

[80] السيوطي، طبقات الحفاظ، ج1، ص447.

[81] الذهبي، العبر، ج4، ص79 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج2، ص68؛ ابن العماد، شذرات، ج4، ص93.

[82] ابن الأبار، التكملة، ج3، ص188.

الأنصاري الصلاة والخطبة والإقراء بغرناطة، ووصف بالفضل والصلاح، واستشهد بظاهر غرناطة([83])، وعمل أبو الحسن بن أضحى قاضياً لغرناطة عند انتهاء الدولة اللمتونية([84])، وتولى أبو الفضل الشنتمري قضاء لبلة، وقضاء شنتمرية، والصلاة والخطبة بجامعها، لمكانته العالية في الفقه والإفتاء والعلم والأدب([85])،وولي محمد بن أحمد بن مروان بن محمد بن مروان بن عبد العزيز قضاء بلنسية مرتين: إحداهما في ولاية ابن عمه مروان بن عبد الله، والثانية في إمارة ابن سعد، وكان وقوراً حليماً، حسن السيرة، صلباً في الحق، شديد العارضة، وقتل على يد أبي مروان عبد الملك بن شلبان في ثورته ببلنسية سنة(547هـ=1152م)([86])، وكان أبو الحكم عمرو بن زكريا بن بطال الأشبيلي من القضاة، ولي القضاء والخطبة في بلده، وحدث، وتوفي شهيداً([87]) وشغل أبو عبد الله محمد بن يحيى المعروف بابن الفراء(ت:514هـ=1120م) منصب قاضي المرية، ووصف بالصلاح والتواضع، وكان فيمن استشهد في معركة قتندة([88])، ومنهم القاضي أبو الحسن علي بن صالح، ويعرف بابن عز الناس، كان فقيهاً متقناً، وعالماً بالأصول والفروع دقيق النظر، جيد الاستنباط فصيح اللسان، وكان كبير فقهاء دانية، ورأس الفتوى بها، وقتل على يد السلطان محمد بن سعد بن مردنيش([89]).

وفي عهد الموحدين ولي علي بن محمد بن أحمد بن فيد الفارسي الصلاة والخطبة في ألش([90]) بجامعها مدة، وكان الناس يقصدونه للسماع منه والأخذ عنه، وكان موصوفاً بالذكاء،

---

[83] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج3، ص418؛ الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج2، ص492.

[84] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص211؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص112.

[85] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص196؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،ج37، ص238؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج11، ص113.

[86] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص11.

[87] المصدر نفسه، ج4، ص27؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج8، ص9.

[88] ابن بشكوال، الصلة، ج4، ص461؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص119؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج25، ص377؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص90.

[89] ابن الأبار، التكملة، ج3، ص204؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص212؛ أرسلان، الحلل السندسية، ج3، ص27.

[90] إقليم ألش من كور تدمير بالأندلس، بينه وبين أريولة خمسة عشر ميلاً، وألش مدينة في مستو من الأرض، يشقها خليج يأتي إليها من نهرها، ويشق أسواقها وطرقها، وهو ملح سبخي، ومن ألش إلى لقينت خمسة عشر ميلاً(ينظر: الحميري، الروض المعطار، ج1، ص30؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ج1، ص13).

والحفظ والتواضع([91])، واستقضى ابن القصير ببلاد أفريقيا وعلى مقربة من توزر من قسطيلية، واستقل بعقد الشروط؛ لعلمه الواسع في الحديث، ونباهته، وحظه الـوافر مـن الأدب([92])، ثـم ركب البحر لأداء الفريضة فاستشهد([93])، وولى عبد الله بن محمد بن قـاص اللمطـي(ت:580 هـ=1184م) الصلاة والخطبة بجامعه، وكان فقيهاً مفتياً، يستحلف في الأحكام، تفقه به كثيرون من أهل ميورقة، "استشهد في الحادث الكائن بقصر ميورقة عنـد وفـاة أميرهـا إسـحق بـن محمد"([94])، ومـنهم الفقيـه ابـن الجـد الـذي رأس الفتيـا فـي عـصره، وقـدم للـشورى سنة(521هـ=1127م)، وتعرض لذلك للعديد من المحن حتى استشهد([95])، وتولى أبـو القاسـم عبد الرحمن بن رضا الإقراء والخطبة بجامع قرطبة([96])، وولي محمد بن حماد العجلاني قضاء سبتة، وكان من أهل العناية بسماع العلم ورواية الحديث، وكان المخصوص بقراءة كتب الحديث و دواوينه على الأمراء([97])، وولى أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي قضاء أليسانة عمـل قرطبة، مدة طويلة، بالإضافة إلى الصلاة، والخطبة بجامعه، حتى استشهد فـي وقيعـة العقـاب منتصف صفر سنة(609هـ=1212م)([98])، وتولى الفقيه أبو إبراهيم إسحاق بـن إبـراهيم بـن يغمور المجابري قضاء سبتة ثم بلنسية ثم قضاء جيان، حتى استشهد فـي كائنـة العقـاب([99])، وتولى أبو الحسن المطرقة، الخطابة في جامع مدينة ميورقة حتى وقع فـي أسـر الـروم، ثـم استشهد بعد تغلبهم على المدينة بخمسة وأربعين يوماً([100])، واستقر أبو اسـحق الغرنـاطي([101]) بجزيرة ميورقة في جوار أميرها اسحق بن محمد بن غانية، حيث جلس للإقراء والتدريس، ثـم

---

[91] **السلفي، معجم السفر، ج1، ص 283؛ ابن الأبار، التكملة، ج3، ص208؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ج1، ص278؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج39، ص290.**

[92] **ابن الأبار، التكملة، ج3، ص30.**

[93] **المصدر نفسه، ج3، ص30.**

[94] **المصدر نفسه، ج2، ص275.**

[95] **الذهبي، سير، ج21، ص177؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص269.**

[96] **ابن سعيد، المغرب، ج1، ص66.**

[97] **المصدر نفسه، ج2، ص163.**

[98] **ابن الأبار، التكملة، ج2، ص100؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج43، ص343.**

[99] **ابن الأبار، التكملة، ج1، ص162.**

[100] **ابن الأبار، التكملة،ج3، ص183؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ج1، ص183.**

[101] **هو إبراهيم بن الحاج عبد الرحمن بن عثمان الأنصاري(ت:627هـ= 1229م) نشأ في غرناطة، وأخـذ عن علماء قرطبة وغرناطة والمرية ومالقة، القراءات السبعة، واستقر بجزيرة ميورقة فـي جـوار أميرهـا اسحق بن محمد بن غانية، وتصدر للإقراء وأخذ الناس عنه وانتفعوا به، استشهد عند تغلب الروم على مدينة ميورقة(ينظر: ابن الأبار، التكملة، ج1، ص155؛ ابن الأبار، المعجم، ص315).**

تولى القضاء فيها إلى أن تغلب الروم على ميورقة، فاستشهد عـــام(627هـــــ= 1229م)([102])، وولي أبو الربيع الكلاعي الخطبة بالمسجد الجامع من بلنسية في أوقات، وكان رئيساً في الحديث والكتابة؛ لذا استخدمه الملوك للحديث نيابة عنهم في المجالس، وتوصيل رسائلهم إلى الجمهــور على المنبر وفي المحافل([103])، ثم ندب إلى ديوان الإنشاء فاســتعفى([104])، واستقــضى فعــرف بالحزم والعدل([105]).

وفي عهد مملكة غرناطة، تولى عبد الله بن أبي العلاء رياسة مشيخة الغزاة، بهدف تقديم العون والحماية لمملكة غرناطة، ورفع راية الجهاد([106])، ثم تولى المــشيخة مــن بعــده أخــوه الصالح المجاهد أبو سعيد عثمان ابن أبي العلاء، وبرز لقتال النصارى حتى استشهد([107])، وكان أبو جعفر بن بصلة يعقد الشروط، ويقرأ الحديث بالجامع، وكان محمــود الــسيرة([108])، وتقــدم القاضي أبو عبد الله محمد بن بكر الأشعري المالقي(ت:741هــ=1340م) للشياخة ببلده مالقــة ناظراً في أمور العقد والحل، ومصالح الكافة، ثم ولي القضاء بها، واهــتم بــالقراءة والإقــراء، وحرص على إفادة الجمهور، ثم ولي القضاء والخطابة بغرناطة([109])، واستمر على عمله مــن الاجتهاد والرغبة في الجهــاد، إلــى أن استــشهد فــي مــصاف المــسلمين بظــاهر طريــف عام(740هــ=1339م)([110])، وكان أبو القاسم محمد بن جزي قاضياً مهتمــاً بالتــدريس، تقــدم خطيباً بالمسجد الأعظم من بلده، فاتفق على فضله([111])، واستشهد يوم الكائنة بطريــف، وهــو يحرض الناس عام(741هــ=1340م)([112])، وكان ابن خالد البلوي خطيباً مفوهاً، ولي القــضاء ببلدة تلعة، واستشهد في كائنة طريف، من قوله يخاطب الشيخ أبا الحسن بن الحباب فــي شــأن كتاب، كان وجه به إليه بين يدي عيد النحر، فضاع في الطريق:

زَعِموا بأنَ الهُدى هُدى الولـــي للمجــدِ ضـــاعَ فَقُلــتُ ذَلكَ دِينُــهُ

---

[102]ابن الأبار، التكملة، ج1، ص133؛ النباهي، المرقبة العليا، ج1، ص116.

[103] الذهبي، سير، ج23، ص136 النباهي، المرقبة العليا، ج1، ص119؛ ابن العماد، شذرات، ج5، ص164.

[104] الذهبي، سير، ج23، ص136.

[105] ابن فرحون، الديباج، ج1، ص122.

[106] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص6؛ ابن خلدون، تاريخ، ج7، ص491.

[107] الناصري، الاستقصا، ج3، ص139.

[108] ابن حجر، الدرر، ج1، ص102.

[109] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص176.

[110] النباهي، المرقبة العليا، ج1، ص141.

[111] المقري، نفح الطيب، ج5، ص514.

[112]ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص46؛ المقري، أزهار الرياض، ج3، ص187؛ المقري، نفح الطيب، ج5، ص605.

طــوراً شَطْـــهَ الحَيـــاءُ وتارةً بعــدَ المزارِ لوعتـــهُ وحـــزونـــهُ
مهابـــةُ البيتِ المؤمـــلِ رُكنُـــهُ ومقامُهُ السامي الذري وحُجونهُ([113]).

وشغل العديد من العلماء الشهداء مناصب آخرى منها: خطة الكتابة والإنشاء، وهي مـــن المراتب العالية في الدولة، وكان صاحبها من المقربين للسلطان، وكان ممن يقابل السلطان كـــل يوم؛ ليعرض الرسائل المختلفة، وقصص أصحاب المظالم، وقد يأمره السلطان بالمبيت عنده في الحالات المهمة([114])، وأسندت هذه الوظيفة إلى عدد كبير من الأندلسيين، ممـــن يحـــسنها مـــن أرباب الفكر والقلم([115])، فقد كتب الشهيد أحمد بن عبد الولي البتي لبعض الوزراء([116])، وكـــان ابن تيفلويت أحد أمراء المرابطين، والياً على سرقسطة، وهو ممدوح الفيلـــسوف الـــشهيد ابـــن باجة([117])، كما تولى الشهيد أبو محمد اللمتوني غرناطة عام(533هـــ=1138م)، ومـــا لبـــث تاشفين بن علي أمير قرطبة أن رحل إلى مراكش ولياً للعهد، فتولى اللمتـــوني إمـــارة قرطبـــة وغرناطة معاً، في السنة نفسها، واستمر إلى أن استشهد في حرب مع الفرنج في موقع يقال لـــه وادي الدروع([118])، وأنشد فيه أبو بكر بن الأبيض قائلاً:

يا خيـــرَ مُعنٍ وأولاها بعارفـــهِ للهِ نعماءَ عنها الدهـــرُ قـــدْ نَعســـا
ليَهنَكَ الفارسُ الميمـــونُ طائرهُ لَـــكَ أنـــتَ لقـــدْ أذكيتُـــهُ قَـــبَســـاً
أصاحتْ الخيلُ أذَاناً لصرخَتِـــهِ واهتزَ كُلَ هِزَبرٍ عندمـــا عَطَســـا
تعشـــقُ الدرعَ إذ شُـــدَتْ لفائفُهُ وأنْكَرَ المهدَ لمَّا أبصرَ الفَرسا([119]).

وولى الشهيد محمد بن غانية ميورقة، وبايع لـــه أهـــل بلنـــسية، بعـــد ابـــن خـــضاب عام(520هـ=1126م)، وأصلح شأنها حتى استشهد([120])، وكان الشهيد أحمد بن أحمد بن خلف طالباً فاضلاً ذكياً عقد الشروط، وتأدب، وبرع في فك المعمى، وأتقن الخـــط، ثـــم انتقـــل إلـــى غرناطة، فارتسم بها في كتاب الإنشاء([121])، وولى الشهيد علي بن محمد بن عبد الملـــك خطـــة

---

[113] ابن حجر، الدرر، ج1، ص245.
[114] القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص139.
[115] ابن خلدون، المقدمة،ج1، ص242.
[116] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص30.
[117] ابن سعيد، المغرب، ج2، ص 119.
[118] الزر كلي، الأعلام، ج3، ص43.
[119] الأصبهاني، خريدة القصر، ج3، ص43؛ ابن سعيد، المغرب، ج2، ص119.
[120] ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص213.
[121] ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص113.

الكتابة بمراكش، وكان كاتباً بليغاً مفوهاً([122])، وكان الكاتب الشهيد أبو محمد عبد الله بـــن عمـــر الأشبيلي الملقب بالمهيرس كاتباً عن ابن الشهيد، ومدبر دولة يحيى بن ناصر، ومن شعره يمـــدح الوزير أبا العلاء:

ألا خُــذْهَا إليــكَ أبــا العــلاءِ حُلى الأمداحِ ترفــلُ في الثنـــاءِ
وَهَبها قنيـــةً تهـــدي عَرُوســـاً خَضِيبُ الكـــفِ قـــانيـــةُ الرداءِ
لأَجْعلَهَا محـــلَ جليـــسِ أنسي وأغني بالهديـــلِ عنْ الغناءِ([123]).

---

[122] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج4، ص311.

[123] ابن سعيد، المغرب، ج1، ص253؛ المقري، نفح الطيب، ج3، ص431.

المبحث الثالث

دور العلماء الشهداء في تحقيق الوحدة والاستقرار السياسي

نتج عن سقوط الدولة الأموية أن انقسمت الأندلس إلـــى دويـــلات صـــغيرة متنازعـــة متصارعة، استقل كل أمير بناحية، وأعلن نفسه ملكاً عليها، ودخلت البلاد بذلك عصر جديد هـــو عصر ملوك الطوائف([1])، وفي ذلك يقول المقري :"وتقطعت الدولة الأموية من الأرض، وانتثـــر سلك الخلافة بالمغرب، وقام الطوائف بعد انقراض الخلائف، وانتزى([2])الأمراء والرؤساء مـــن البربر والموالي بالجهات، واقتسموا خطتها، وتغلب بعض على بعض، واستقل أخيـــراً بأمرهـــا منهم ملوك استفحل أمرهم، وعظـــم شـــأنهم، ولاذوا بـــالجزى للطاغيـــة أن يظـــاهر علـــيهم، أو ينثرهم ملكهم"([3]).

وحين تصدع بنيان ذلك الصرح الشامخ، وأعلن أهل قرطبة، وعلى رأسهم أبـــو الحـــزم جهور بن محمد بن جهور إلغاء الخلافة، وأسند القرطبيون أمرهم إلى شيخ الجماعة الوزير أبي الحزم ابن جهور في منتصف ذي الحجة سنة(422هـــ=1030م)([4]).

فلم يكن ابن جهور يعلن انتهاء الخلافة حتى استقل كثير من الأمراء بمدنهم، **ومقاطعاتهم** بالإضافة إلى من استقلوا من قبل، وأصبح في الأندلس سبعاً وعشرين إمارة تتنافس فيما بينها([5]).

ولقد وجد بين هذه الإمارات نوع من التنافس والصراع على السلطة، والتوســـع علـــى حساب بعضهم البعض، واتخاذ الألقاب والبعوث، بما استجلب نوعاً من السخرية منهم، وقد كان استقلال هذه الإمارات استقلالاً شكلياً، فقد كان كثير منها يدفع الجزية للأذفونش ملك قشتالة، كما كانت سياستها تتميز بالاستبداد، والاستهانة بالدماء، والإكثار مـــن أســـباب التـــرف وضـــروب العمران، واستجلاب المنافقين من الكتاب، والوزراء، والشعراء([6])، "وقد نشأ بينها من المفاســـد ما أعوز دفعه، وتعدد وتره وسفعه، واستحكم ضرره حتى لم يمكن دفعه"([7]).

وعوضاً عن أن تتحد قواهم في مواجهة عدو صليبي مشترك، تـــشتتوا وتقـــاتلوا حتـــى ضعفت قواهم، فلم يستطيعوا أن يصمدوا أمام هجمـــات النـــصارى، كـــذلك كانـــت حـــروبهم، وصراعاتهم الداخلية سبباً في أن يستنجد بعض هؤلاء الملوك، والأمراء بقوات من النـــصارى؛

---

[1] **ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص139.**

[2] **انتزي: من نزا بمعنى وثب، وهنا المعنى استقل وثار(انظر: الفيروز أبادي، مختار الصحاح، ص563).**

[3] **نفح الطيب، ج1، ص438.**

[4] **ابن عذارى، البيان والمغرب، ج3، ص150 ؛ ابن الخطيب، أعلام الأعلام، ج2، ص139.**

[5] **أبو خليل، عوامل النصر والهزيمة، ص101؛ شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج4، ص68.**

[6] **عويس، عبد الحليم، ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، ص26.**

[7] **المقري، أزهار الرياض، ج1، ص60.**

ليستعينوا بها على منافسيهم من الملوك المسلمين، مما أتاح الفرصة للنصارى، أن يبدأوا في استقطاع أجزاء من أرض الأندلس الإسلامية([8]).

وهكذا وجدت في الأندلس أوضاع يحكمها أمراء، اتصف عدد منهم في بعض تصرفاته، بصفات الأثرة والغدر، هانت لديهم معه مصالح الأمة، وتركت دون مصالحهم الذاتية، باعوا خلقهم وبلادهم للعدو المتربص، ثمناً لبقائهم في السلطة، أصاب الأمة الضياع بقدر ما ضيعوا من الخط الخلقي المسلم، انحرف هؤلاء المسؤولون عن النهج الحنيف الذي به كانت الأندلس وحضارته، في مثل هذه الحالة تظهر العصبية، والنزاعات التي تؤدي إلى التشتت والضياع([9]).

بعد نزول النكبة بالأندلس الإسلامية بسقوط طليطلة وما حولها، تصور ملك قشتالة أن أمراء الطوائف كافة غدوا رهن إشارته وطوع بنانه، وأنه سيقضي عليهم الواحد تلو الآخر؛ لذلك علت مكانته بين ملوك النصرانية([10])، وبدأ يسعى لأخذ ما تحت أيديهم بكل وسيلة، و نشر عتوه في الأرجاء دون التزام بعهد، أو صيانة لخلق، أو رعاية للإنسان" وعتا الطاغية أدفونش لحين استقراره بطليطلة واستكبر، أخل بملوك الطوائف في الجزيرة وقصر، وأخذ يتجنى ويتعتب، وطفق يتشوق إلى انتزاع سلطانهم، والفراغ من شأنهم ويتسبب، ورأى أنهم قد وقفوا دون مداه، ودخلوا بأجمعهم تحت عصاه"([11]).

وإذا كانت حادثة بربشتر (456هـ=1063م) قد حركت أبو الوليد الباجي، وأرت حقيقة الحال، وأوجبت الهروع للقيام بعمل من شأنه توحيد الأندلس، فإنه لم يكن الوحيد في هذا المجال([12])، بل إن عدداً من العلماء الشهداء أعطى اهتمامه بهذا الأمر، على تفاوت في همتهم وجهدهم، سرعة ومقداراً، وترددت استجاباتهم بالكلام المبثوث في رسالة موجهة، أو كلمة للبيان الوصفي للحال، أو الحزن عليهم، والشكوى منهم، أو الدعوة لجمع الصف، ونبذ التفرق، وصفاً للداء، وبياناً للعلاج، أو يكون في دعوة عملية آخذة بالتنفيذ، وبذل الجهد والمجهود([13]).

ومن العلماء الشهداء الذين دعوا إلى توحيد الأندلس أيام الطوائف أبو حفص عمر بن حسن الهوزني([14]) الذي سبق الإشارة إليه في الفصل الأول([15])، حيث وجه رسالة فيها نقداً

---

[8] المقري، أزهار الرياض، ج1، ص60.

[9] الحجي، التاريخ الأندلسي، ص325.

[10] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص230.

[11] ابن بسام، الذخيرة، ق4، مج1، ص167.

[12] ابن سعيد، المغرب، ج1، ص404؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ج2، ص231؛ النباهي، المرقبةالعليا، ج1، ص6.

[13] الحجي، التاريخ الأندلسي، ص345.

[14] عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص81؛ ابن سعيد، المغرب، ج1، ص239.

[15] ينظر: ص40 من البحث.

واضحاً لكثير من حكام الطوائف؛ لعدم طاقتهم بالقتال، وتخاذلهم عنه جبناً وخوفاً من ويلات الحرب وشدتها، ثم يستنكر على المسلمين، وكثير من فقهائهم تخاذلهم عن النفير، ثم يحذرهم من التقاعس؛ لأن ذلك يجلب سخط الله وعقابه، كما الأمم السابقة، ومما قاله:

ومَنْ يَجهدْ لدنياهُ حريصاً فليسَ بحائزٍ غيرَ العناءِ

ومَنْ يتقْ الزمانُ يجدهُ خَباً ويصرعُهُ على حينِ الرجاءِ

إذا كانَ الدواءُ بِهِ اعتلالي فأيُ الخلقُ أرجو للشفاءِ[16].

كما دعا أبو عبد الله البزلياني[17] إلى لمِّ الشعث، وتوحيد الجهات، حيث أثارته الخصومات السياسية، ودفعه حرصه على مصلحة المسلمين إلى تنبيه الحكام بالخطر الكامن وراء اختلافهم، وعدم توحيد كلمتهم، ويلمح بذلك برسالة سطرها إلى مظفر ومبارك العامريين[18]، حاكمي شاطبة وبلنسية، يدعوهما فيها إلى التعاون والوحدة، وتوحيد الجهود للتصدي للنصارى، متمنياً أن تتم الوحدة والمصالحة على يديهما بقوله: "يتلاف الله الخلل بسديد نظركما، وينعش الأمل بحميد أثركما، فينظم الشمل، ويصل الحبل، ويسد الثلم، ويشد الحزم، ويرفع المنخرق، ويجمع المفترق، ويعيد الكلمة متفقة، والأمة متسقة"[19]، ثم يشير إلى حرب وقعت بينهم وبين المظفر أبي محمد، ويبين خشيته من استمرار النزاع، ويدعوه إلى إصلاح الأمر، ويحضهم على توحيد الصف، ورأب الصدع، ويذكرهم بالله فيقول: "ولم يخف عليكما ما في صلاح ذات البين، من الفوز بخير الدارين، وأمن العباد، وخصب البلاد، وإعزاز الدين وإذلال القاسطين، وتوهين المشركين، وقوة العضد، ووفور العدد، وستر العورات، وحفظ الحرمات، والانتهاء إلى حدود الله، فإنه يقول عز القائل: "**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ**"[20] وقال سبحانه: "**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ**

---

16 ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج1، ص93.

17 هو أبو عبد الله بن أحمد البز لياني، أصله من مالقة، قتل على يد المعتضد، قال عنه ابن بسام: "وأبو عبد الله كان في ذلك الأوان، أحد شيوخ الكتاب وجهابذة أهل الأدب، ممن أدار الحكام ودبرها، طوى الممالك ونشرها"(انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق1، مج2، ص624).

18 مبارك ومظفر حاكما مدينتي بلنسية وشاطبة كلاهما من موالي المنصور العامري، ويعد ابن حيان توليهما الحكم من غرائب الزمان، كلاهما امتهن الظلم والاستبداد، كانا لا يعبأن مما نال الناس من الأذى والفقر، ويعد ابن حيان موت مبارك العامري من نعم الله على أهل البلد(ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص158).

19 ابن بسام، الذخيرة، ق1، مج2، ص637.

20 سورة الأنفال، الآية 1.

إِخْوَاناً"([21])([22])، ثم يخوفهم الفتنة ونتائجها المدمرة المهلكة" وقد علمتم أنه لم يهلك من هلك من الأمم الماضية والقرون الخالية إلا بتقاطعهم، وتحاسدهم، وتدابرهم، وتخاذلهم، وأن الهوى آفة العقل، والحمية من أسباب الجاهلية، والعصبية من العنجهية، والحرب تؤتم الأطفال، وتلتهم الرجال، سوق لا ينفق حاضروها غير النفوس والأرواح، مصروعهم دائر، وصارعهم خاسر، ماضيهم نادم، وباهيهم واجم"([23])، ويلوم البزلياني على الحاكمين قيامهما بالاستعانة بالنصارى أعدائهم على إخوانهم من المسلمين، ويحذر مما ستجره مثل هذه السياسات المنحرفة من العواقب العظيمة على المسلمين فقال: "فقد بلغني أن مذهبكم الاستجاشة بالنصارى إلى بلاد المسلمين، يطؤون ديارهم، ويعفون آثارهم، ويجتاحون أموالهم، ويسفكون دماءهم، ويستعبدون أبناءهم، ويستخدمون نساءهم، وإن نفذ هذا وأعوذ بالله، فهي حال مؤذنة بالذهاب، وجريرة تؤذن بالخراب"([24])، ثم يخوفهم من نتائج سياستهم القائمة على الاستجاشة بالنصارى، حيث أنهم سيطَّلعون على أحوالهم، وسيعرفون مواطن الضعف في الولايات الإسلامية، فيطمعون في أخذها، ويتجرؤون عليهم، فيقول: "ولم نأمن من أن يظهر لهم من الخلل في بلادنا، والقلة في أعدادنا، ما يجرئهم علينا، ويجرهم إلينا، بما لا نقدر على مكاثرتهم فيه، ولا نقوى على مصابرتهم به، فتلك الواقعة التي ينتعش عثورها، والقارعة التي لا ينجبر كسيرها"([25]).

ولم يقتصر دور البزلياني على مظفر ومبارك العامريين؛ بل مضى في مشروعه الهادف إلى إنهاء الصراعات، والدعوة إلى التصالح والتعاضد، إذ كتب رسالة إلى يحيى بن منذر التجيبي([26])أمير سرقسطة، يدعوه فيها إلى توحيد صفوف المسلمين، والإقلاع عن الفتنة، ويعظم له حساسة المصاب، في اقتتال المسلمين بعضهم مع بعض، فكيف وقد استعانوا بأعدائهم ؟ فذلك كمن يقتل نفسه: "ولو ما تكن الفتنة يا سيدي إلا بين المسلمين، لكانت القارعة العظمى، والداهية الكبرى، فإذا تأيدنا بالمشركين، واعتضدنا بالكافرين، ومنحناهم قوتنا، وقتلنا أنفسنا بأيدينا... وأنت يا سيدي للمسلمين الحصن الحصين، والنصيح المأمون، والسبب المتين، فأجر

---

[21] سورة أل عمران، الآية03

[22] ابن بسام، الذخيرة، ق1، مج2، ص638.

[23] المصدر نفسه، ق1، مج2، ص639.

[24] المصدر نفسه ، ق1، مج2، ص639.

[25] ابن بسام، الذخيرة، ق1، مج2، ص64.

[26] هو يحيى بن منذر بن يحيى بن عبد الرحمن التجيبي، حكم سرقسطة، حيث خلف والده على حكمها عام(441هـ= 1023م) وتلقب بالمظفر، وفي زمانه تعرض لهجمات النصارى، فاستولوا على العديد من القلاع والمناطق المهمة في إمارته(انظر:ابن سعيد، المغرب، ج2، ص436).

في جمع كلمتهم"([27]) وبدلاً من أن يستجيب الحكام لدعواته، استدرجه المعتضد بن عبـــاد، وقتلـــه بيده بعد أن اتهمه بالتحريض ضده([28]).

ولا يمكن إغفال دور القاضي الفقيه ابن جحاف الذي سبق الإشارة إليـــه فـــي الفـــصل الأول، في تحقيق الوحدة والاستقرار، حيث توجه على رأس وفد مـــن علمـــاء بلنـــسية للقائـــد المرابطي محمد بن عائشة، وطلبوا منه المساعدة العسكرية، فلم يتوان القائد المرابطي محمد بـــن عائشة عن تلبية طلبهم، حيث كلف فرقة من جنود المرابطين للسير نحو بلنـــسية([29])، وتمكنـــت هذه القوة العسكرية من هزيمة الحامية النصرانية في بلنـــسية، وفـــتح أهلهـــا أبـــواب المدينـــة للمرابطين، وعندما تطورت الأحداث فيما بعد، و سقطت بلنسية بيد النصارى، وأحرق القاضـــي ابن جحاف، أثار هذا الحدث موجة عارمة من السخط في صفوف مـــسلمي الأنـــدلس، فتوالـــت صرخاتهم على يوسف بن تاشفين، يطالبونه بوضع حد لظلم السيد القمبيطـــور، وســـرعان مـــا صدرت الأوامر للقائد محمد بن الحاج، بالتوجه لتخليص بلنسية مـــن ســـيطرة القمبيطـــور([30])، والتقى بجيش يقوده ابن السيد القمبيطور، فأوقع بهم ابن عائشة قتلاً وتشريداً، وكـــان مـــن بـــين القتلى ابن السيد القمبيطور نفسه، فلما وصلت هذه الأخبار إلى السيد، مات غماً وحسرة([31])، ثـــم تولت زوجة القمبيطور حكم بلنسية بعد موته، واستنجدت بألفونسو الذي وصل بجيشه، وأقام فيها شهراً، وبلغه وصول جيش المرابطين بقيادة مزدلي، والتقى الجيشان في معركة انتهت بهـــروب النـــصارى مـــن المدينـــة([32])، وهكـــذا دخلـــت بلنـــسية تحـــت نفـــوذ الدولـــة المرابطيـــة عام(495هـــ= 1102م)([33]).

وخاطب الفقيه ابن عطية أمير المسلمين علي بن يوسف برسالة، يدعوه بهـــا للنهـــوض لنصرة الدين، وتوحيد بلاد المسلمين، ورفع الظلم الواقع عليهم، وتَطلع أهل الجزيرة لاســـترجاع مدنهم التي سقطت في قبضة النصارى، وأتبع الرسالة بقصيدة، تكشف عن حالة الأمل في نجـــدة الأمير لهم جاء فيها:

لنْا اللهُ والملكُ الذي يُرتَجـــى بِهِ ... مـــنْ الزمنِ المرتابِ رَجعةُ تائـــبٍ
هُوَ الغوثُ فليعطفُ علينا بنظرةٍ ... منْ الحزمِ تحثو فيْ وجوهِ المَضاربِ

---

[27] **ابن بسام، الذخيرة، ق1، مج2، ص628 .**

[28] **المصدر نفسه، ق1، مج2، ص624، ابن سعيد، المغرب، ج1، ص444.**

[29] **ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ص96؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص103.**

[30] **ابن أبي زرع، روض القرطاس، ج2، ص77.**

[31] **ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص108.**

[32] **ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ص101؛ ابن الكر دبوس، تاريخ الأندلس، ص101.**

[33] **ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص109.**

عَهِدنَاهُ يفدي الخطبَ قبلَ نزولِهِ ويلبسُ وقــتَ السلمِ درعَ المحاربِ
ويَغزو فلاشيءٌ يقــومُ لعزمِـــهِ ولوْ أنَّــهُ يرمي بِهِ في الكواكبِ([34]).

وقد كانت استجابة أمير المسلمين لهذا الخطب سريعة، فأوصى بتعمير الأسطول، ووكل أمره إلى القائد محمد بن ميمون؛ ليطرد النصارى من ميورقة، وليحمي الشواطئ الإسلامية فـــي الأندلس([35])، وبالفعل تحرك الأسطول الإسلامي نحو ميورقة فلما سمع النصارى بهذه التحركات بدأت قواتهم في الحال بالانسحاب والفرار، فوجد القائد محمد بن ميمون ميورقة مدمرة، فــشرع في تعميرها، وأعاد إليها الفارين من سكانها وأمن أهلها([36]).

وحينما قام النصارى بمحاصرة مدينة سرقسطة عام(512هـــ=1118م)، أرسل الفقيه ثابــت بن عبد الله العوفي رسالة إلى الأمير علي بن يوسف يدعوه إلى سرعة إنقاذ سرقسطة، وهو في هذه الرسالة يثير نخوة الأمير الدينية، ويحرك غيرته الإسلامية من خلال عرض مظاهر لحيـــاة الذل والاستكانة، إذا ما سقطت بيد النصارى، ثم يدعوه دعوة صريحة للجهاد، وتحقيــق الوحـــدة والاستقرار قائلا: "فإلى الله بك أشتكي، ثم رسوله المصطفى، ثم ولـــي عهـــده أميـــر المـــسلمين المرتضى، حين ابتعثك بأجناده، وأمدك بالكم الغفير من أعداده، نادباً لك إلـــى مقارعـــة العـــدو المحاصر لها وجهاده، والذب عن أوليائه المعتصمين بحبل طاعته، ونحن نأمل منك بحـــول الله أسباب النصرة بتلك العساكر التي أقر بهاءها"([37])، ويحاول الفقيه استعطاف أمير المسلمين عساه أن يستنهض همم الأمير، ويدفعه إلى الاستجابة؛ ليهنأ أهل الجزيرة بالاستقرار والأمـــن فيقـــول: "قد ضمن تعالى لمن يجاهد في سبيله أن ينصره، ولمن حامى عن دينه أن يؤيـــده ويظهـــره ...، ألا ترغب في رضوانه، واشتراء جناته بمقارعة حزب شيطانه، والدفاع عن أهل إيمانه، ونحـــن مؤمنون، بل موقنون من إجابتكم إلى نصرتنا، وأنك لا تتأخر عن تلبية ندائنا ودعائنا، فـــدفاعك إنما هو في ذات الله ...، فالله الله اتقوه، وأيدوا دينه وانصروه، قد تعين عليكم جهاد الكفار"([38])، ولما وصلت هذه الرسالة إلى الأمير علي بن يوسف تاشفين، أجاب داعي الجهـــاد و صـــرخات أهل سرقسطة، واستنجادهم، فأصدر أمراً إلى قائده أبي تميم طاهر([39])؛ لإنقاذها إلا أنه هُزِم أمام جيش النصارى([40]).

---

34 ابن خاقان، قلائد العقيان، ج3، ص668 .

35 ابن القطان، نظم الجمان، ص20، ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص62.

36 ابن خلدون، تاريخ، ج6، ص 308 .

37 مؤنس، الثغر الأعلى، ص133.

38 المرجع نفسه، ص135.

39 هو تميم بن يوسف بن تاشفين(ت:520هـــ=1126م)، تولى حكم بلاد المغرب لكنه عزل منها، وولى مدينة غرناطة، وفي عام(502هـــ= 1109م) حاصر حصن إقليش وكان فيه عدد كبير من النـــصارى،= =فأرســـل

وقد أدرك الفقهاء طبيعة دورهم السياسي بجانب دورهم الديني، فكان الفقهاء عندما ينكرون سياسة الخليفة يمارسون شكل المقاومة، وجاهدوا من أجل العامة سواء كان ذلك في مجال الإفتاء، وفي الحياة العامة اليومية، أو التصدي للحكام، فقد استشهد ابن أبي مروان بلبلة عند ثورة أهلها، والتغلب عليهم([41])، وقتل محمد بن أحمد التجيبي القرطبي المالكي مظلوماً بجامع قرطبة، وكان من جلة العلماء وكبارهم مع الدين والخشوع([42])، وتوفي شعيب بن إسماعيل بن شعيب بن إسماعيل بن محمد الصدفي مقتولاً بداره بحومة مسجد الشهيد([43])، واستشهد ابن فيد الفارسي، في خروجه من ألش مع عامة أهلها، عندما خافوا على أنفسهم من الأمير محمد بن سعد، و كانوا قد خلعوا دعوته([44])، كما لجأ أبو عبد الله التجيبي إلى الاستخفاء، والطلب عليه شديد، إلى أن وجد سجياً في بعض المقابر، وقد استخرج من استخفائه ميتاً([45]).

كما ظهر أعداء العلماء من داخل العلماء أنفسهم، فتحولوا من علماء يعرفون دورهم الشرعي الذي ينبغي أن يقوموا به، إلى علماء سلطة يتصيدون مواقف تفيد السلطة، حتى يدخلوا العلماء إلى حلبة الصراع، فبالتالي يتحول من عالم إلى عالم سلطة، إلى عارف جاهل، إلى حاسد، إلى عدو يوظف علمه من أجل محاربة العلماء ومهاجمتهم، فعندما حل ابن باجة في فاس كان مكرماً في بلاط المرابطين، ولاسيما عند يحيى بن تاشفين([46])، حسده أطباء البلد فكادوه، ونالوا بقتله مسموماً([47])؛ لذلك هجا الوزير أبو الحسن بن الأمام الغرناطي مراكش المحروسة قائلاً:

يا حضرةَ المُلكِ ماأشهاكَ لي وطناً   لولا ضروبُ بلاءٍ فيكَ مَصبوبِ

ألفونسو السادس قوات كبيرة لنجدة المحاصرين، فجبن تميم عن مواجهة هذا الجيش غير أن القائد محمد بن عائشة شجعه على الثبات وهون عليه حجم النصارى، فدخل المعركة وانتصر على النصارى انتصاراً ساحقاً، وفي عام(511هـ=1116م) تولى حكم شرق الأندلس كلها وفي سنة(515هـ=1121م) ولاه أخوه حكم بلاد الأندلس كلها، وبقي حاكماً عليها حتى وافته المنية(انظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ج2، ص82؛ الناصري، الاستقصا، ج2، ص62).

40 ابن خاقان، قلائد العقيان، ج3، ص677؛ ابن الأبار، التكملة، ج3، ص184.

41 الذهبي، سير، ج2، ص249.

42 ابن الأبار، التكملة، ج1، ص71.

43 المصدر نفسه، ج4، ص137.

44 ابن الأبار، التكملة، ج3، ص 208 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج8، ص482.

45 عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص23.

46 فنديك، اكتفاء القنوع، ج1، ص66.

47 المصدر نفسه، ج1، ص66؛ الأصفهاني، خريدة القصر، ج3، ص68.

مـــاءٌ زعاقٌ([48]) وجـــوٌّ كُلهُ كَـــدَرٌ   وأكلةٌ من باذنجانِ ابنِ معيوبِ([49])([50]).

وفي عهد المرابطين كان الأمير المرابطي محمد بن الحاج داود اللمتوني تابعاً ليوســف ابن تاشفين، فلما توفي عام(500هـ=1106م)، رفض ابن الحاج أن يبايع علـــي بـــن يوســـف، وانحاز إلى الملأ من أهل قرطبة، ثم إن ابن الحاج نكب وفسد تدبيره، حتـــى إذا رضـــي أميـــر المسلمين عن ابن الحاج، ولي فاس وغيرها من أعمال المغرب، ثم سرقــسطة وبلنـــسية حتـــى استشهد سنة(508هـ=1114م) في معركة البورت([51]).

ولما مات ابن غانية بغرناطة لأيام قلائل، واختلف قومه قدم أبـــو مـــروان([52]) لنفـــسه، وعاهد القمط مرين ومن معه من الزعماء، على عهود أخذها عليهم، وعلى سلطانهم أن يعيـــشوا بأمان طول مدته، فأخذت القلعة الأمن والحماية، وكُفت أيدي النصارى، فـــشمل أهلهـــا الأمـــن، واتسعت فيها العمارة، ولم يزل أبو مروان بها إلى أن دخل في أمر الموحـــدين، ووصـــل هـــو وابنه إلى السيد أبي سعيد بغرناطة، وحضر معه غزوة المرية، ثم دخل بجملته فكمل له الأمـــن، وأقر على القلعة، وأمر بسكنى غرناطة بولده، ثم وصل ثانية إلى مراكش بصحبة الـــسيد أبـــي سعيد، ولقي من البر ولطف المكانة، واستكتب الخليفة ابنه أحمد بن أبي مـــروان، وانـــتظم فـــي جملة الكتاب والأصحاب، وعاد أبو مروان وبنوه إلى غرناطة في صحبة واليها السيد أبي سعيد، وعند دخول ابن مردنيش غرناطة، اضطربت الفتنة، وفسد ما بين السيد وبين أبي جعفر بن أبي مروان، ولما ظهرت دلائل التغيير، وخافوا على أنفسهم، أداروا الرأي في الانحياز إلـــى خدمـــة ابن مردنيش، ونهاهم والدهم أبو مروان، وأشار عليهم بمصابرة الأمر، فلحـــق عبـــد الـــرحمن بالقلعة، وفر أحمد لما انكشف الأمر، وعثر عليه بجهة مالقة فقتل، كما لحقت النكبة بأبي مـــروان وابنه محمد فقتلا([53]).

---

[48] ماء زعاق: مر غليظ، لا يطاق شربه من أجوجته(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص141).

[49] ابن معيوب هذا من خدام أبو العلاء بن زهر، يزعم أنه سم ابن باجة لعداوته لابن زهر في باذنجان(انظر: المقري، نفح الطيب، ج4، ص13).

[50] المقري، نفح الطيب، ج4، ص13.

[51] ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج2، ص533.

[52] هو عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعد بن ياسر، كان عيناً من أعيان الأندلس، مشاراً إليه في البيت والرأي والجزالة والفضل، علقت به الآمال، ورفعت إليه الممادح، وحطت لديه الرجال، وكان من أولي الجلالة والنباهة والطلب والكتابة الحسنة والخط الحسن، واستعمل على حظوة الأمير يحيى بن غانية اللمتوني، وبلده قلعة بن سعيد(انظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص46).

[53] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص46.

وعند قيام ابن الحاج أمير قرطبة على ابن تاشفين وثورته، التي نكب عنها ونجا، كان أبو عبد الله محمد بن أبى الخصال أوثق حاشية ابن الحاج، وألصق وزرائه به وكتابه، وحين انتقل الأمير ابن الحاج إلى سرقسطة أم الثغر الشرقي، انتقل ابن أبي الخصال، ولزم أبو عبد الله داره خائفاً من تلك الأحقاد القديمة، حتى استشهد في عام(540 هـ= 1145م)([54]).

ولما رغب يوسف بن تاشفين اللمتوني في جهاد النصارى بالأندلس، وقد دانت له بلاد العدوة، سأل سقوت بن محمد صاحب سبتة أن يتيح له فرص الإجازة إلى الأندلس فأبى، وتمنع من ذلك، فأفتى الفقهاء بقتاله؛ لصده عن سبيل الله، فقتل هو وابنه، وفتح الله على ابن تاشفين سبته، وأمكنه من الحصول على مراده بذلك([55]).

وعندما كان إبراهيم بن يوسف بن تاشفين والياً على مرسية، وسمع بها من أبى علي الصدفي، فشفع عنده في رد أملاك أبي محمد بن العربي([56]).

ظلت أشواق الوحدة تضطرم في نفوس العلماء الشهداء، وظلت أبصارهم مشدودة نحو العدوة المغربية، التي أصبحت قبلةً لهم، وممن وفد على الخليفة الموحدي الأول عبد المؤمن وهو بمراكش، ثلةٌ من علماء الأندلس يقدمون البيعة للخليفة، وخطب أبو بكر بن الجد، فأحسن وأجاد([57])، ولعل الكلمات التي ألقاها كانت تدور حول حالة التمزق السياسي في الأندلس، والصراعات الداخلية، وما تجره من نتائج في غاية السوء على مستقبل الإسلام في الأندلس،ووجوب التصدي لها([58])، كما أشار إلى ما أصاب المسلمين جراء الغارات، والهجمات النصرانية، التي لم تفرق بين شيخ وشاب وطفل،حتى الحجر والشجر لم يسلم من الاعتداء، وتركت هذه الخطبة أثراً كبيراً على الخليفة([59]).

كما سلك الطريق نفسه علماء قرطبة، فقد التقى وفد من أهل قرطبة ضم الفقهاء والقضاة، مع عبد المؤمن بن علي، وتحدث في البداية العالم أبو القاسم بن الحاج([60])، وشرح

---

[54] ابن الأبار، المعجم، ج1، ص63.

[55] ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج2، ص661؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص99.

[56] ابن الأبار، المعجم، ج1، ص24.

[57] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ج2، ص140.

[58] المصدر نفسه، ح2، ص147.

[59] الناصري، الاستقصا، ج2، ص119.

[60] هو محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي ويكنى أبا عبد الله، ويلقب بابن الحاج، وأحد أكبر فقهاء عصره، كان من جلة الفقهاء، معدوداً في المحدثين والأدباء، بصيراً بالفتيا، رأساً في الشورى، وكانت الفتيا في وقته تدور عليه، لمعرفته وثقته وديانته، وكان معنياً بالحديث والآثار، جامعاً لها مقيداً لما أشكل من معانيها، قتل نتيجة تدخله للدفاع عن أهل بلده من مظالم عام(446هـ=1045م)(انظر: ابن الأبار، المعجم،=

للخليفة الأوضاع الصعبة التي يعيشها المسلمون في قرطبة جراء اعتداءات النصارى المتكـررة عليها، وختم حديثه بضرورة تدخل الموحدين لدرء الخطر النصراني([61])، وبعد سماع الخليفة لهم، وصل الجميع، وقضى حوائجهم وأمرهم بالانصراف إلى الأندلس([62])، وأمر بتجهيز حملة قوية للتوجه إلى الأندلس([63])، وعلى إثر هذه المبايعة، أرسل عبد المؤمن بن علي جيشاً، يرمي إلى إعادة توحيد الأندلس، تحت زعامة الموحدين، والقضاء على الزعامات المحلية، التي ظهرت في نهاية الحكم المرابطي([64])، وتمكن هذا الجيش من إخضاع الجزيرة الخضراء، ثم تمكن من الوصول غربي الأندلس، التي خضعت له بسقوط أشبيلية(541هـ=1147م)، كما سقطت قرطبة وجيان في يدهم عام(543هـ=1148م)([65]).

ولما ولي يوسف بن عبد الله المؤمن، تحركت الفتنة بجبال غمارة، وصنهاجة التي تولى كبرها سبع بن سنقاد سنة(562هـ=1166م)، فكلف الشيخ أبي حفص بحربهم حتى كَمُلَ الفتح، وعندما غدر الطاغية بمدينة بطليوس، توجه أبو حفص عام(564هـ=1168م)إلى الأندلس لحمايتها، ونزل قرطبة، فاستنقذ بطليوس من هذا الحصار([66])، وعندما مهدت الأمور، دخل أمير المسلمين جزيرة الأندلس؛ لكشف مصالح دولته، وتفقد أحوالها، وكان ذلك في سنة(566هـ=1170م)، وفي صحبته مائة ألف من العرب والموحدين، فنزل بإشبيلية مخافة الأمير المعروف بابن مردنيش([67])، ولما مات محمد بن سعد، جاء أولاده إلى الأمير يوسف بن عبد المؤمن، وهو باشبيلية، فسلموا إليه جميع بلاد شرق الأندلس، التي كانت لأبيهم، فأحسن إليهم الأمير يوسف وتزوج أختهم، وأصبحوا عنده في أعز مكان([68]).

وبعد سقوط مدينة شاطبة وتدمير في يد النصارى، كتب الفقيه أبو المطرف بن عميرة رسائل عدة إلى القضاة، والعلماء، والأصدقاء، يحثهم على الوحدة، وجمع شمل المسلمين،

=ج1، ص14؛ الذهبي، سير، ج19، ص614؛ النباهي، المرقبة العليا، ج1، ص102؛ المقري، أزهار الرياض، ج3، ص62).

[61] الحميدي، جذوة المقتبس، ص108؛ المقري، نفح الطيب، ج3، ص199.

[62] ابن السماك العاملي، الحلل الموشية، ص148.

[63] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ج2، ص149.

[64] السامرائي، تاريخ العرب، ص265.

[65] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص271.

[66] ابن خلدون، تاريخ، ج6، ص372 .

[67] هو الأمير أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن سعد صاحب شرق الأندلس ومرسية وما انضاف إليها، مرض مرضاً شديداً ومات، وقيل إن أمه سقته السم، فمات(انظر:ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7،ص131؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص379).

[68] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص131.

ويذكرهم بالفضائع التي ارتكبها النصارى، فيمحو تاريخ وحضارة المدن المحتلة، ومثـل هـذه الرسائل كانت تحرك وجدان ومشاعر المسلمين؛ للدفاع عن المدن التي يستهدفها النصارى([69])، كما أكثر الفقيه من الدعوة إلى الوحدة، والتحريض على الجهاد بعد سقوط مدينة بلنسية عام(630هـ=1233م)، في أواخر عهد الموحدين، فكتب رسائل تفيض حسرة وألماً، يصف فيها واقع المدينة الأليم ومنها:

ألا أيُها القَلبُ المصـرحُ بالوجـدِ ... أمالُكَ منْ بادي الصبابةِ([70]) مـنْ بُـدِّ
وَهلْ مـنْ سلو يُرتَجـى لمتيمٍ([71]) ... لَهُ لوعَةُ الصادي وروعـةُ ذي الصـدِّ
يحنُ إلـىْ نجـدٍ وهيهاتَ حُرمـتْ ... صروفُ الليالـي أنْ يعـودَ إلىْ نجـدِ
أَمـنْ بعدَ رزءٍ فـي بلنسيةَ ثـوى ... بأحنائِنـا كَالنـارِ مضمـرةِ الـوَقـدِ
ألا ليتَ شعري هلْ لها مِنْ مطالـعٍ ... مُعادٍ إلـىْ مـا كَانَ فيها مـنْ السعـدِ
وهَـلْ أذنبَ الأبناءُ ذنـبَ أبيهـم ... فَصاروا إلى الإخراجِ مِنْ جَنةِ الخُلدِ([72]).

ويقول أيضا في حسرته على ضياع جزيرة شقر:

كَفـىْ حزناً نأي عنْ الأهلِ بَعدَما ... نأَينا عنْ الأوطانِ فهـي بلاقعُ([73])
نوى غربـةً حتـى بمنزلِ غربةٍ ... لقـدْ صَفعَ البينُ الذيْ هُوَ صانـعُ
وكَيـفَ بشقـرَ أو بزرقـةِ مائِهِ ... وفيـه لشقـرَ أو لزرقِ شـوارعُ
وعَادَ قلبـي مـن شـوقِ أندلسٍ ... عيـدُ أسـى فَتـهُ ومـا فـتـرُ
فَـأيـنَ مـنا مـنازلُ عصفـتْ ... ريحٌ عليها مـنْ العدا صَرصَـرُ
دُونَ شـقـرَ و دون زُرقَـتِـهِ ... أزرقُ يحكـي قناهُ أو أشقـرُ([74]).

وهذه الرسائل كانت تقرأ في المساجد أمام حشد كبير من المصليين([75]).

وعندما قامت دولة الموحدين على أساس دعـوة دينيـة إصـلاحية، طابعهـا التجديـد والعظمة، هدفت إلى تحقيق وحدة إسلامية شاملة، ظهر التركيز على الجانب الفقهي، ومحاربـة الفلاسفة، وظهر الصراع الواضح بين الفقهاء والفلاسفة، ولحسم الموقف كان أبو يعقوب بن عبد

---

[69] ابن سعيد، القدح المعلي، ص47؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص305.

[70] الصبابة: رقة الشوق وحرارته(ينظر الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص149).

[71] متيم: المتيم المضلل، والتيم: ذهاب العقل وفساده(ينظر: ابن منظور لسان العرب، ج12، ص75).

[72] المقري، نفح الطيب، ج1، ص305.

[73] بلاقع: الارض القفر التى لا شيء بها (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص21).

[74] الحميري، الروض المعطار، ج1، ص351.

[75] ابن السماك العاملي، الحلل الموشية، ص44.

المؤمن له دراية **بالصناعة**، وقَرَبَ إليه الفلاسفة أمثال أبي بكر بن الطفيل، وأبي الوليد بن رشد، الذي لخص له الكثير من كتب أرسطو طاليس، حتى استشهد رحمه الله في بلاد الروم([76]).

وقد تؤدي الصراعات الداخلية إلى هروب العلماء، كما حدث مع أبي الحسن المالقي، حيث هرب خوفاً من الخليفة الموحدي إثر مقتل الأمير يوسف بن عبد المؤمن في المعركة(580هـ =1184م)، ولجأ إلى ابن الريق، ثم أرسل كتاباً إلى الموحدين يدلهم على عورات الروم، فكُشِفَ أمره، وعُوقِبَ بالموت حرقاً([77])، وأدت الصراعات الداخلية إلى السجن والنفي للعلماء، فقد اتصل أبو بكر الغرناطي بصاحب غرناطة، ووقف إلى جانبه يشد أزره في محنته، وبذل كل ما في وسعه للتخفيف عنه، ثم تغير عليه، وأغري به لمكانته من الشهامة والرياسة، فقبض عليه وعلى ولده، فأودعهما السجن، وهم باغتيالهما([78])، ثم أخرجهما إلى بجاية في البحر مصفدين، ولما حلوا بها أقاموا تحت بر وتجلة، ثم ركبوا البحر إلى تونس، فقطع بهم أسطول العدو، ووقعت بينه وبين المسلمين حرب، فقاتل أبو بكر حتى استشهد، وأُسِرَ ولده ومن معه([79]).

وتستمر الدعوة إلى الوحدة على لسان "لسان الدين بن الخطيب"، بعد سلسلة متلاحقة من الهزائم، وسقوط المدن حيث وجه الدعوة إلى الناس بالوقوف صفاً واحداً في مواجهة المعتدين بقوله: "أعينوا إخوانكم بما أمكن من الإعانة، أعانكم الله عند الشدائد،جددوا عوائد الخير، يصل الله لكم جميل العوائد، صلوا رحم الكلمة، وآسوا أنفسكم وأموالكم تلك الطوائف المسلمة، كتاب الله بين أيديكم، وألسنة الآيات تناديكم، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمة فيكم"([80])، كما بذل جهده لرسم سياسة موحدة للمغرب والأندلس في عهد سلطان المغرب أبي عنان وسلطان غرناطة محمد الخامس([81]).

ويبدو واضحاً أن هذه الرسائل والدعوات المتتالية التي أطلقها علماء الأندلس لجهاد الأعداء، وقع كبير على الحكام، فقد استثارت حماستهم، وحفزت هممهم، وألهبت مشاعرهم، وجعلتهم يسترخصون الموت، ويقذفون بأنفسهم مجاهدين في سبيل الله، ولم يغفل العلماء الشهداء

---

[76] المراكشي، المعجب، ج1، ص243.

[77] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص136؛ المراكشي، المعجب، ج1، ص259؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص137.

[78] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص190.

[79] المصدر نفسه، ج2، ص190؛ ابن حجر، الدرر، ج5، ص45.

[80] سورة الصف، الآيات 10- 12 .

[81] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص146؛ ابن خلدون، تاريخ، ج7، ص333؛ المقري، نفح الطيب، ج5، ص98؛ الناصري، الاستقصا، ج3، ص195.

عن تمجيد بطولات المجاهدين وتضحياتهم، وأثنوا على جهودهم وشجاعتهم، وقرعوا المتخاذلين والمنهزمين.

وظل العلماء الشهداء يقومون بالنصح والإرشاد والوقوف على حدود الشرع ومحاربة البدع والمنكرات في سبيل تحقيق الوحدة والاستقرار السياسي، فعندما رأى عبد الله بن ياسين ([82]) البدع فاشية في صنهاجة، اشتد في وعظها، وإقامة حدود الشرع فيها، فأعرضت عنه، فاعتزلها مع بضعة أشخاص في جزيرة قريبة منها في النيجر، ولحق به جماعة ثم آخرون، حتى بلغ من عنده زهاء الألف سماهم المرابطين، وأخضع بهم قبائل صنهاجة كلها([83]).

وحكي أن أحد تلاميذ أبي علي الصدفي، ويدعى أبو بكر قال: "تعشيت ليلة عند أحد بني طاهر، أوغيرهم من أهل مرسية، فخشيت التخمة يريد كثرة الطعام، فقلت: في نفسي أصوم غداً، ثم نهضت إلى القراءة، يعني على يد أبي علي، وقلت للشيخ: تعشينا الليلة عند فلان فامتلأ بطني، وأخشى التخمة، وسأصوم غداً، فتعمر وجهه وقال: "هلا قلت لا آكل غداً شيئاً حتى يخف بطني، تمن على الله بمداواة تخمتك"([84]).

ويذكر أنه تأخر ليلة في عشائه، واضطر أبو علي لسؤاله عن إبطائه، وكان قد فرغ له ما بين المغرب والعشاء، زيادة إلى أوقاته من النهار، فقال: "كنت صائماً وأفطرت، ولأجل ذلك تأخرت فتعمر وجهه وقال :"اقرأ ثم قال له بعد أيام: في نفسي شيء إن قلته كنت جافياً، وإن سكت عنه كنت غاشاً، وأهون الأشياء عندي أن أكون جافياً لا غاشاً، أخبرتني منذ ليال أنك تأخرت لعشائك من أجل صومك، وأنا منذ صرت تقرأ بين العشاءين لا أفطر إلا بعد انصرافي من العتمة من أجل قراءتك، وأنت لم تترك إفطارك ليلة واحدة، وقد قلتها لك واسترحت"([85]).

ويبدو واضحا من خلال الرواية دور العالم في النصح والإرشاد، والدعوة إلى العلم والترغيب فيه، والحض عليه حتى ولو كان الأمر يتعلق بحاجة فسيولوجية مثل الطعام.

وكان أبرز الظواهر السلبية في عهد المرابطين، وخاصة عهد الأمير أبي الحسن يوسف بن تاشفين، تكفير كل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام، وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام، واستحكم في نفسه بعض علم الكلام وأهله، فكان يكتب عنه في

---

[82] هو عبد الله بن ياسين بن مكوك من بني سير بن علي الجزولي(ت:450هـ=1058م) أصله من قرية تماما ناوت في طرف صحراء غانة، درس على فقه أهل السوس، ورحل إلى الأندلس في عهد ملوك الطوائف وأقام بها سبع سنين ثم عاد إلى الملثمين وأخذ بعلمهم(عنان، دولة المرابطين، ج1، ص17).

[83] الناصري، الاستقصا، ج2، ص8؛ الزركلي، الأعلام، ج4، ص144.

[84] ابن الأبار، المعجم، ج1، ص134.

[85] المصدر نفسه، ج1، ص134.

كل وقت إلى البلاد بملاحقة الفلاسفة والتشديد عليهم وسفك دمائهم، واستئصال أموالهم ومعاقبة من وجد عنده شيئاً من كتبهم([86]).

وفي سبيل محاربة الفلاسفة والمتكلمين اشتد الأمير في إيثاره لأهل الفقه والدين، وكان لا يقطع أمراً في جميع مملكته دون مشاركة الفقهاء، فكان إذا ولى أحداً من قضاته، كان فيما يعهد إليه ألا يقطع أمراً في صغير من الأمور ولا كبير، إلا بمحضر أربعة من الفقهاء، فبلغ الفقهاء في أيامه مبلغاً عظيماً، لم يبلغوا مثله في الصدر الأول من فتح الأندلس، ولم يزل الفقهاء على ذلك وأمور المسلمين راجعة إليهم، وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم طول مدته، فعظم أمر الفقهاء، وانصرفت وجوه الناس إليهم وفي ذلك يقول أبو جعفر البتي:

أهلَ الرياءِ لبستُمُ ناموسكم　　كالذئبِ يُدْلِجُ في الظلامِ العاتمِ

فملكتمُ الدنيا بمذهبِ مالكٍ　　وقَسَمْتُمُ الأموالَ بابن القاسمِ

وركبتُمُ شُهُبَ البِغَالِ بأشْهبٍ　　وبأصبغٍ صبغت لكمْ في العالمِ([87]).

ومن الظواهر السلبية التي عالجها العلماء الشهداء الهزائم، التي منى بها جيش المسلمين أمام النصارى رغم توفر العدد والعدة اللازمة للمعركة، في وقعة القلاعة(523هـ= 1129م)([88])، التي هزم فيها جيش المرابطين، فكتب رسالة مليئة بالتقريع والتهجم أثارت حفيظة أمير المسلمين علي بن يوسف، فعزل ابن أبي الخصال بسببها عن عمله في الديوان؛ لأنه بالغ في إهانة المرابطين، ورجع إلى قرطبة، وأقام فيها إلى أن استشهد([89]).

كما انتقد أهل الأندلس وما هم فيه من ترف وانغماس بالذنوب، وبسط بين الذنوب والمصائب التي حلت بالأندلس، وأفضت إلى سقوط كثير من مدنها بأيدي النصارى، فحث المسلمين على الإقلاع عن المعاصي، فأرشد إلى وجوب تطهير النفوس، وتنقية الضمائر، وأظهر العلاقة بين الذنوب والهزائم المتكررة، ومما قاله: في إحدى خطبة "ألا تستوحشون

---

[86] المراكشي، المعجب، ج1، ص171.

[87] المصدر نفسه، ج2، ص50؛ المقري، نفح الطيب، ج3، ص488.

[88] موقعة نشبت في مكان يعرف بالقليعة أو القلاعة، القليعة هذه تقع على مقربة من جزيرة شقر جنوبي بلنسية، وكان ابن رذمير(الفونسو الأرجواني) يرابط بقواته بها، وهكذا نشبت في القليعة معركة عنيفة بين المرابطين والأرجوانيين في سنة(523هـ=1129م)، وكانت قوات المسلمين بقيادة ابن مجور، أصيب المسلمين فيها بهزيمة فادحة، وقضى معظمهم قتلاً وأسراً واحتوى العدو عل سائر أسلابهم ومتاعهم ودوابهم، وبلغت خسارتهم نحو أثنى عشر ألفاً بين قتيل وأسير(انظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص573؛ الناصري، الاستقصا، ج3، ص46 ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج4، ص118، 119).

[89] المراكشي، المعجب ، ج1، ص176.

لتباريح العصر، وركود ريح النصر، وتداعي أمم الكفر، وإجفالنا عن مقاومتهم إجفال العفر([90])، ألا نقلع عن الذنوب التي فتت أعضادنا، وقضت باهتضامنا... كلا لا عتب لكم عليها، قد رمـــتكم جهاراً بأحجارها، ولدغتكم جهارا من أجحارها، وعمتكم صغارا بأوتارها، وأنتم تتهافتون تهافت الفراش على حطامها ونارها... فاستقلوا رحم الله عثاركم، واستقبلوا عــدوكم، وخــذوا ثــأركم، وخلدوا في صحف القبول آثاركم، وأخلصوا لله طاعتكم، وحققوا إثابتكم وضراعتكم"([91]).

وهكذا يبدو واضحاً تصدي العلماء الشهداء للظواهر الــسلبية بطــرق مختلفــة، فتــارة بالنصح والإرشاد واستنهاض الهمم، وآخرى بالخطب والرسائل، وثالثة بتحميل الحكام المسؤولية على التقصير والتخاذل، ورابعة بالتقريع و التهجم، مما أدى في النهاية إلى تعرض فئــة مــنهم للتعذيب والسجن والنفي والقتل علي أيدي الحكام الظلمة.

---

[90] **العفر: الخنزير الذكر، وهو أيضاً الرجل الخبيث الداهي(ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص185).**

[91] **حمدان، أدب الزهد في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة عين شمس، ص324، 325.**

الخاتمة ونتائج البحث

نتائج الدراسة

توصل الباحث من خلال دراسته إلى العديد من النتائج أهمها:

*المجتمع الأندلسي مجتمع مسلم، نشأ محباً للعلم، وفطر أبناؤه على ذلك؛ لأن العلم فرض في العقيدة الإسلامية علي كل مسلم ومسلمة، فالعلم والمعرفة بكل أوجهها كانت مزدهرة، ومصدر فخر وعامل تقدير.

*مكانة الشهداء عند أهل الأندلس كبيرة، وتقدير الشهداء لا يوصف؛ لذلك خلدوا آثارهم وصفاتهم البطولية، وذكروا فضلهم وقيمهم النبيلة.

* إن دوافع العلماء الشهداء للجهاد دوافع إنسانية حضارية، تمثلت في نشر الدعوة الإسلامية، ورد العدوان، ودرء الفتنة، ونصرة المظلومين.

* لعب العلماء الشهداء دوراً كبيراً في تحريض المجتمع الأندلسي والحكام على الجهاد؛ لصد الغزو الصليبي لبلادهم بأساليب مختلفة .

*كان للعلماء الشهداء دوراً بارزاً في تحريض الحكام في عصور الطوائف، والمرابطين، والموحدين، ومملكة غرناطة.

*شارك العلماء الشهداء في معظم المعارك التي دارت على أرض الأندلس، بحيث لا تكاد معركة تخلو من سقوط عالم شهيد، سقط وهو رافعُ الراية، واقفاً في المقدمة، يحث المسلمين على الصبر والثبات.

* شارك العلماء الشهداء في الدعوة ونشر العلم، وتعددت لديهم طرق التعليم وأساليبه؛ لتحقيق الفائدة المرجوة لطلبتهم.

*أسهم العلماء الشهداء في علو الحركة العلمية، ووفرة إنتاجها في الكم والنوع، في مختلف العلوم النقلية والعقلية، الأمر الذي أدى إلى ازدهار هذه العلوم، وكثرة الإقبال عليها، إضافة إلى كثرة التصانيف فيها.

* لوحظ اهتمام العلماء الشهداء بالرحلة، كمصدر مهم لتحصيل العلم والمعرفة، رغم ما كان يكتنفها من المشاق والمخاطر.

*تصدى العلماء الشهداء للعديد من الظواهر السلبية التي عانى منها المجتمع الأندلسي، وخاصة في فترات الضعف والانحلال، ولم يدخروا جهداً في تقديم النصح والإرشاد للحكام والمحكومين.

*أسهم العلماء الشهداء بدور فعال في نصح السلطة الحاكمة عن طريق: الكتب والرسائل والخطب التي تشمل الوعظ والإرشاد حول فن الحكم .

*تعرض العديد من العلماء الشهداء لمضايقات وتعسفات من الحكام، بسبب مواقفهم التي لم تنل رضا الحكام؛ لما تحمله مواقفهم من مضامين سياسية معارضة من وجهة نظر الحكام.

*شارك العلماء الشهداء مشاركة فعالة في الحكم والإدارة، وشغلوا مناصب عدة أبرزها: الوزارة، وخطة القضاء، والصلاة، والخطبة، والكتابة، والإنشاء.

*كان للعلماء الشهداء الدور الرئيس في تحقيق الوحدة، والاستقرار السياسي، وفي إقناع المرابطين بضرورة القضاء على حكم الطوائف المتخاذلين، وإقناع الموحدين بالعبور إلى الأندلس، وتوحيدها مع المغرب.

*بذل العلماء الشهداء جهوداً كبيرة في الدعوة إلى نبذ الخصومات السياسية، والتنبيه إلى الخطر الكامن وراء الصراعات الداخلية.

الملاحق

ملحق (1)

جدول بأسماء العلماء الشهداء في الأندلس

الرقم	العالم	العلوم التي برع فيها	مؤلفاته	رحلاته	المهام التي تولاها	استشهاده	تاريخ استشهاده
1-	إبراهيم بن أحمد بن إبـــراهيم المعافري.	الفقه، الحـــديث، الأدب، اللغة.	محن الأنبياء والأولياء والأوصياء.	مكة والمدينة.	القضاء	وقيعة القلعة.	523هـــ= 1128م
2-	إبراهيم بن أحمد بــن عبــد الرحمن الأنصاري(أبو اسحاق الغرناطي).	القراءات السبع، الحديث، الفقـــه، الأدب، الوثـــائق المختصرة.	إيقاظ الكرام بأخبار المنام، الزهـــرات وإجالة النظرات، نزهة الحدق في ذكر الفرق.	مدن الأندلس.	قـــضاء ميورقـــة، والإقراء.	ســقوط جزيـــرة ميورقة.	627هـــ= 1229م
3-	إبراهيم بن الحاج احمد بـــن عبد الرحمن بن عثمان بـــن سعيد الأنصاري.	الفقـــــه، الأدب، الحـــــــديث، القراءات السبع.	مختصر في الفقه والشروط، الوثائق المختصرة.	مدن الأندلس.	الأحكـــــام، عقـــد الشروط، القــضاء، الإقراء.	اقتحـــام القـــوات الصليبية لميورقة.	627هـــ= 1229م
4-	أحمد بن إبراهيم بن بصلة بن عبـــدالله بـــن إبـــراهيم الأنصاري(أبـــو جعفـــر بـــن بصلة).	الحديث	_	مدن الأنـــدلس، مكة والمدينة، المشرق.	عقد الشروط.	ظاهر جبل الفتح.	734هـــ= 1333م
5-	أحمد بن أحمـــد بـــن خلـــف الجزيري.	الحـــــــساب، الفرائض، الشعر.	_	مدن الأندلس.	عقد الشروط، فـــك المعمى، والكتابة.	كائنة الصفتجة.	730هـــ= 1329م

6-	أحمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد الأميبي.	الفقه، الأدب، الطب، النظم والنثر.	_	مدن الأندلس.	عقد الشروط، التدريس، القضاء.	وقعة نيوط.	622هـ= 1225م
7-	أحمد بن ثابت بن عبدالله العوفي.	الفقه	الرسائل	مدن الأندلس.	الوزارة.	وقعة البورت.	508هـ= 1114م
8-	أحمد بن رضوان الجذامي بن عبد العظيم الغرناطي.	الشعر، الأدب.	_	مدن الأندلس.	الكتابة	الرباط على الثغور.	763هـ= 1361م
9-	أبو أحمد بن سيد أمون الأردي	الفقه	_	مدن الأندلس.	التعليم	وقعة البورت.	508هـ= 1114م
10-	أحمد بن طلحة بن أبي بكر محمد بن أحمد بن طاهر(ابن طلحة).	الفقه، الحديث.	_		الشورى، الفتيا.	دخول الملثمين غرناطة.	518هـ= 1124م
11-	أحمد بن عبدالله بن أحمد بن زيدون(أبوالوليد بن زيدون).	الأدب، الفقه، الشعر والنثر.	رسالة ابن زيدون، الرسالة الجامعة والتذكرة النافعة، الدر المخزون وإظهار السر المكنون، ديوان شعر.	مدن الأندلس.	الوزارة لبني جهور ثم للمعتمد بن عباد، الكتابة، سفيراً لبني جهور.	قتله المعتمد بن عباد.	463هـ= 1071
12-	أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي(أبو المطرف بن عميرة).	الفقه، الحديث، العربية، التاريخ، الأخبار، الأدب، الشعر، اللغة.	الرسائل، فاجعة المرية، التنبيه على المغالطة و التنويه، التنبيهات على ما في التبيان، بغية المستطرف، تأليف في كائنة ميورقة، تعقيب على الفخر الرازي في كتابه المسمى بالتبيان في	المغرب والأندلس وتونس.	الكتابة، القضاء.	قتله الروم في مرسى تونس.	658= 1259م

			علم البيان، المطلع على إعجاز القرآن، اختصار تاريخ بن صاحب الصلاة.				
13-	أحمد بن عبد السلام الجراوي(أبو العباس).	الشعر،الأدب.	صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، الحماسة المغربية، مختصر صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، ديوان شعر.	المغرب والأندلس.	الكتابة، مؤدب بني عبد المؤمن.	وقعة العقاب.	609هـ= 1212م
14-	أحمد بن عبدالولي البتي.	الشعر،الأدب، النحو، اللغة، الأنساب، الأشعار الجاهلية والإسلامية.	تذكرة الألباب بأصول الأنساب.	مدن الأندلس.	الكتابة	سقوط بلنسية أحرقه القمبيطور.	490هـ= 1096م
15-	أحمد بن علي بن خالد البلوي.	الفقه، الحديث، الشعر.	تاج المفرق في تحلية علماء المشرق.	مدن الأندلس، مكة والمدينة.	الخطابة والقضاء بتلعة، الكتابة.	واقعة طريف.	741هـ= 1340م
16-	أحمد بن علي بن يحيى بن عون الأنصاري(الحصار).	القراءات السبع، الحديث.	التيسير.	مدن الأندلس، مكة والمدينة.	الإقراء	وقعة العقاب.	609هـ= 1212م
17-	أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن الحسين(ابن خولة الغرناطي).	الحديث، الشعر.	_	العراق، فارس، كرمان، الهند، بخارى.	_	استشهد في بغداد عند دخول التتار.	618هـ= 1221م
18-	أحمد بن محمد بن فرج الأنصاري (ابن رميلة).	الفقه، الشعر	شعر في الزهد	المغرب والأندلس	القضاء	وقعة الزلاقة	479هـ= 1086م

19-	أحمد بن محمد بن محمد القيسي القرطبي(ابن أبي حجة).	القراءات، الحديث، النحو.	مختصر التبصرة، تفهيم آيات علام الغيوب، الجمع بين الصحيحين، تسديد اللسان في النحو، مختصر التبصرة.	المشرق	الإقراء، تعليم اللغة العربية.	أسره الروم في البحر وقتلوه بعد خروجه من قرطبة.	643هـ= 1245م
20-	أحمد بن محمد بن وسيم.	الفقه، الشعر، النحو، الحديث.	_	مدن الأندلس.	التعليم	صلبه بنو عبيد الله.	بعد 530هـ= 1194م
21-	أحمد بن أبي مروان عبدالملك بن محمد الأنصاري الأشبيلي(ابن أبي مروان).	الحديث، الفقه.	النتخب المنتقى، الأحكام، الجمع بين الصحيحين، الجمع بين المصنفات الستة، القائق المخرجة من الصحاح، كتاب التهجد، كتاب فضل الحج.	مدن الأندلس.	القضاء.	كائنة لبلة.	549هـ= 1154م
22-	أحمد بن معد بن عيسى بن وكيع التجيبي(أبو العباس الإقليشي).	القراءات، الفقه، الشعر، اللغة.	كتاب تفسير العلوم و المعاني المستودعة في السبع المثاني، النجم في كلام سيد العرب والعجم، ضياء الأولياء، الكوكب الذري، الحقائق الواضحات، الغرر من كلام سيد البشر.	المشرق، مدن الأندلس، مكة والمدينة.	القضاء والخطابة.	الرباط على الثغور.	551هـ= 1156م
23-	أحمد بن هارون بن أحمد النفزي(أبو عمر بن عات).	الحديث، الأدب، الأسانيد، المتون، الفقه، معرفة المسائل، تراجم	التعريف بشيوخ الوجهة، ريحانة التنفس وراحة الأنفس، الطرر على الوثائق المجموعة.	مكة،المدينة، المشرق.	التدريس.	وقعة العقاب.	609هـ= 1212م

		الرجال، الشعر.					
24-	إسحاق بن إبراهيم بن يغمور المجابري.	الفقه، الحديث.	_	المغرب والأندلس.	قضاء سبتة وبلنسية وفاس وجيان.	وقعة العقاب.	609هـ= 1212م
25-	اسحاق بن محمد بن علي بن غانية المسوفي.	الأدب	_	المغرب والأندلس.	أمير ميورقة.	استشهد في بلاد الفرنج غازياً.	578هـ 1182م
26-	أيوب بن عبدالله الفهري(أبو الصبر) .	الفقه، الحديث، القراءات.	برنامج أبو الصبر أيوب.	المغرب والأندلس، مكة، المدينة، الإسكندرية.	التدريس.	وقعة العقاب.	609هـ- =1212م
27-	أبو بكر بن إبراهيم المسوفي(ابن تافلويت).	الفقه	_	المغرب والأندلس.	والي سرقسطة.	غزوة برشلونة.	510هـ= 1116م
28-	أبو بكر بن حباسة الأزدي.	القراءات، الحديث.	_	مكة و المدينة.	القضاء	وقعة المرية.	542هـ= 1147م
29-	تاشفين بن محمد المكتب.	القراءات، قرض الشعر.	_	قرطبة	تعليم القرآن.	وقعة العقاب.	609هـ= 1212م
30-	جعفر بن عبدالله بن جحاف.	الفقه، الحديث.	_	مدن الأندلس.	القضاء، صاحب الأحكام، رياسة بلنسية.	سقوط بلنسية أحرقه القمبيطور.	488هـ= 1095م
31-	أبو جعفر الغرناطي.	الفقه، الحديث.	_	مكة والمدينة.	كتابة الشروط، القضاء.	عند دخول اللمتونيين غرناطة.	539هـ= 1144م

32-	جعفر بن محمد بن يوسف بن سليمان بن عيسى(أبو الفضل الشنتمري).	الحديث،الفقه، الإفتاء، الشعر.	روايات وتواليف.	مدن الأندلس والمغرب.	قضاء لبلة وشنتمرية والصلاة، والخطبة، الكتابة.	كائنة شنتمرية.	546هـ= 1151م
33-	الحسين بن حي بن عبد الملك بن حي (ابن الحزقة، أبو عبدالله القرطبي)،	الفقه، الإفتاء.	_	مدن الأندلس، مكة والمدينة، المشرق.	القضاء، الإفتاء، الوزارة.	وقيعة قنتيش.	400هـ= 1009م
34-	الحسين بن محمد بن فيرة بن حيون(الصدفي).	القراءات، الحديث، الفقه، الأسانيد، الجرح والتعديل.	التعليقة الكبرى في مسائل الخلاف، المعجم.	مكة والمدينة، مصر، العراق، واسط، الشام.	قضاء مرسية.	وقعة قتندة.	514هـ= 1120م
35-	أبو الحسن غلندة.	الفقه	-	مدن الأندلس	التعليم	وقعة البورت	508هـ= 1114م
36-	الزبير بن عمر(أبو محمد اللمتوني).	الفقه، الأدب، القراءات، العربية.	_	المغرب والأندلس.	الكتابة، إمارة قرطبة وغرناطة.	وادي الدروع.	537هـ= 1142م
37-	سعيد بن عمر المعلم(أبو عمر المعلم)	الحديث، الأدب.	_	مدن الأندلس.	تأدية الشهادات عند الحكام، التعليم.	وقعة قنتيش.	400هـ= 1009م
38-	سليمان بن سالم الحميري الكلاعي(أبو الربيع الكلاعي).	الحديث، البلاغة، الشعر، علم الأدب، الجرح والتعديل، إنشاء	مصباح الظلام، الأربعون، الأربعون السباعية، السباعيات، حيلة الأماني، تحفة الوارد ونخبة الرائد، المسألة والإرشادات، الإكتفا، ميدان السابقين	الأندلس، المغرب، المشرق.	القضاء، والكتابة، ورئاسة الحديث، الخطابة بجامع بلنسية.	وقعة أنيشة.	634هـ= 1236م

		الرسائل، الخطب.	وحياة الصادقين، الإستيعاب، المعاجم، الإعلام بأخبار البخاري، المعجم في مشيخة ابن حبيش، جني الطب،نكتة الأمثال، نفثة السحر الحلال، اختراع الأمثال، معارضة القلب العليل، منابذة الأمل الطويل، مجاز فتيا اللحن الاحن، زكاة المنظوم والنثور، الصحف المنتشرة، ديوان رسائل، ديوان شعر.				
39-	سعيد بن عثمان ابن أبي سعيد البربري الأندلسي القرطبي (ابن القزاز).	الحديث، اللغة، الأدب، العربية، الموشحات.	كتاب الرد على فصوص صاعد في النوادر والغريب.	مدن الأندلس.	التعليم.	وقعة قنتيش.	400هـ= 1009م
40-	شعيب بن إسماعيل بن شعيب بن إسماعيل بن محمد الصدفي (ابن سكر).	القراءات.	مصنف في المناسك.	المغرب، مكة والمدينة	الإقراء.	مقتولاً بداره.	580هـ= 1184م
41-	أبو عامر بن المرشاني.	الفقه.	_	مدن الأندلس.	التعليم.	وقعة البورت.	508هـ= 1114م
42-	عبد الحق بن غالب بن عطية (ابن عطية).	علم الأدب، النثر، الفقه، الحديث، التفسير.	الوجيز في التفسير، الرسائل.	مدن الأندلس والمغرب، أفريقية، مكة والمدينة.	الكتابة، الوزارة، القضاء.	استشهد في ميورقة.	539هـ= 1144م
43-	عبد الرحمن بن أحمد بن	الحديث، الأدب،	استخراج الدرر، عيون الفوائد،	تونس، مكة	قضاء توزر من	مرسى تونس،	576هـ=

	أحمد بن محمد الأزدي(ابن القصير)	الفقه،النثر، البلاغة، الحساب، الفرائض.	الخبر، مناقب أهل عصره، اختصار كتاب الجمل لابن خاقان، برنامج يضم رواياته، رسائل و مقامات، الألفاظ متساوية العيان.	والمدينة، بلاد الأندلس، فاس وأفريقية.	قسطيلية، عقد الشروط، الكتابة.	قتله الروم في البحر.	1180م
44-	عبد الرحمن بن أحمد بن خلف بن أحمد بن رضا(ابن رضا).	القراءات، الأدب، الفقه، الموشحات.	_	مدن الأندلس.	الإقراء والخطبة بقرطبة، وصاحب صلاة الفريضة، الأحكام، الكتابة.	استشهد بدانية	590هـ= 1194م
45-	عبد الرحمن بن حيوة الأنصاري.	القراءات، النحو.	_	مدن الأندلس.	الإقراء.	كائنة سرقسطة.	503هـ= 1109م
46-	عبدالسلام بن محمد الكومي.	الأدب.	ـ	المغرب والأندلس.	الوزارة.	سمه عبد المؤمن بن علي.	555هـ 1160م
47-	عبدالله بن أحمد بن خلف المعافري.	الحساب، الفرائض.	ـ	مدن الأندلس.	عقد الوثائق.	وقعة فحص مدينة.	443هـ= 1051م
48-	أبو عبدالله البكري.					سقوط ميورقة.	627هـ= 1229م
49-	أبو عبدالله بن الحاج الطرطوشي.	الفقه	_	مدن الأندلس.	الوزارة.	وقعة البورت.	508هـ= 1114م
50-	أبو عبدالله بن الحاج اللمتوني.	الفقه.	_	المغرب والأندلس.	التدريس.	كائنة سرقسطة.	503هـ 1109م
51-	عبدالله بن سعيد السلماني.	الأدب، الطب،	أشعار.	مدن الأندلس.	الكتابة، الوزارة.	وقعة طريف.	741هـ=

		الشعر، التاريخ، اللغة.					1340م
52-	أبو محمد عبدالله بن علي بن عبدالله بن علي بن خلف بن أحمد بن عمر اللخمي (الرشاطي).	الحديث، التاريخ، الأنساب، الجرح والتعديل.	اقتباس الأنوار والتماس الأزهار، الإعلام مما في كتاب الختلف والمؤتلف، اظهار فساد الإعتقاد، كتاب انتصاره من القاضي بن عطية.	مدن الأندلس.	القضاء، التدريس	وقعة المرية.	542هـ= 1147م
53-	عبدالله بن سعيد بن مردنيش.	الأدب والشعر.	_	مدن الأندلس.	أمير شرق الأندلس.	الحرب ضد النصارى.	540هـ،= 1145م
54-	أبو عبدالله بن عبد العزيز.	القراءات السبع.	_	المغرب والأندلس.	الوزارة.	وقعة البورت.	508هـ= 1114م
55-	عبدالله بن أبي العلاء.	الفقه.	_	الغرب والأندلس.	رياسة مشيخة الغزاة.	قرب غرناطة.	693هـ= 1293م
56-	عبدالله بن عمر الإشبيلي(ابن المهيرس).	الشعر، الأدب.	_	الأندلس والمغرب.	الكتابة.	إحدى المعاري المراكشية.	
57-	عبدالملك بن سعيد بن خلف (ابن مروان).	اللغة، الأدب.	_	المغرب والأندلس.	الكتابة.	قتل في الفتنة عند دخول ابن مردنيش غرناطة.	549هـ= 1154م
58-	عبد الملك بن محمد بن أبي الخصال(أبو مروان).	الفقه، الحديث، النثر.	سراج الأدب.	مدن الأندلس.	التعليم.	الرباط على الثغور.	530هـ= 1135م
59-	عبدالملك المصمودي(أبو مروان).	الفقه، الحديث.	_	المغرب والأندلس.	قاضي الجماعة بمراكش.	وقعة الزلاقة.	479هـ= 1086م

60-	عبد الملك بن هارون العبدري.	القراءات، الحديث، النحو.	_	مكة والمدينة.	الخطابة في ميورقة.	سقوط جزيرة ميورقة.	627هـ= 1229م
61-	أبو شاكر عبدالواحد بن محمد بن موهب التجيبي(القبري).	القراءات،الفقه، الحديث، الشعر، الأدب، العربية، الكلام.	شعر، خطب، برنامج أبو شاكر.	مكة والمدينة.	القضاء والخطابة والحكم ببلنسية، ولاية المظالم بشاطبة.	استشهد في قرطبة.	456هـ= 1063م
62-	عبد الله بن محمد بن وقاص اللمطي.	الفقه، الأحكام.	_	مكة والمدينة، المشرق.	الصلاة والخطبة والإفتاء في ميورقة، يستحلف في الأحكام.	قصر ميورقة.	580هـ= 1184م
63-	عتيق بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن سلمون(أبو بكر البلنسي).	القراءات والأدب النحو والعربية، الفرائض، الحساب.	_	مدن الأندلس.	التعليم	كائنة غربالة.	580هـ= 1184م
64-	عثمان بن أبي العلاء إدريس بن عبد الله بن عبد الحق.	الفقه.	_	المغرب والأندلس.	مشيخة الغزاة، الوزارة.	معركة المرية.	730هـ= 1329م
65-	علي بن أحمد العبدري الميورقي(أبو الحسن المطرقة).	القراءات، الحديث.	_	مكة،والمدينة والمشرق.	خطابة جامع ميورقة، الإقراء.	سقوط جزيرة ميورقة.	627هـ= 1229م
66-	علي بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن يوسف(	الفقه، الأدب، النحو.	_	مدن الأندلس.	التدريس.	كائنة بلنسية.	568هـ= 1172م

	ابن مرطير).						
67-	علي بن صالح بن أبي الليث بن أسعد بن الفرج بن يوسف(ابن عز الناس).	الفقه، الأصول، الأدب، الشعر، العربية.	كتاب العزلة، كتاب شرح معاني التحية.	مدن الأندلس.	رئيس الفتوى في دانية، خدم الأمير أبو زكريا يحيى بن غانية، التدريس.	قتله الأمير محمد بن سعد.	566هـ= 1170م
68-	علي بن عبدالله بن ثابت بن محمد الخزرجي العبادي(أبو الحسن الأنصاري).	القراءات، الفقه.	الإستذكار في شرح رقائق ابن المبارك سماه رمز الحدائق.	دانية، شاطبة، مكة والمدينة، مرسية، بلاد المشرق.	الصلاة و الخطبة بغرناطة.	ظاهر غرناطة.	539هـ= 1144م
69-	علي بن عبدالله بن عبد الرحمن الخطيب المالقي(أبو الحسن المالقي).	الفقه، الحديث، الشعر.	_	مدن الأندلس.	خطيب الخلافة، الكتابة، معرفة أسرار الدولة.	قتل حرقاً على يد ابن الريق.	580هـ= 1184م
70-	علي بن عمر بن محمد بن شرف بن أحمد بن أضحى(ابن أضحى).	الحديث، الفقه، الأدب، الشعر.	فوت النفوس وإنس الجلوس.	الأندلس و المغرب	قضاء غرناطة و المرية، الوزارة.	الثورة على المرابطين	540هـ= 1145م
71-	علي بن محمد بن أحمد بن فيد الفارسي(ابن فيد الفارسي).	الفقه، الحديث.	كتب سيرة ابن هشام، كتاب المجاسة، وكتاب مشكل القرآن.	مكة، المدينة، الإسكندرية.	الصلاة والخطبة في ألش.	استشهد في خروجه من ألش عندما خلع دعوة الأمير محمد بن سعد.	567هـ= 1171م
72-	علي بن محمد بن لب بن	القراءات،	_	مدن الأندلس.	إماماً في صلاة	كائنة إشبيلية،	535هـ=

	سعيد القيسي(أبو الحسن الباغي).	الحديث.			الفريضة، الإقراء.		1140م
73-	أبو يحيى بن الشيخ عمر الهنتاتي.	الفقه.		المغرب والأندلس.	الوزارة.	معركة الأرك.	609هـ= 1212م
74-	أبو حفص عمر بن الهوزني.	الفقه، الشعر والنثر، علم الأدب، الحديث.	الرسائل، شرح الجامع الصحيح للبخاري، مختصر القراءات.	مدن الأندلس، المشرق، مكة والمدينة، الإسكندرية، صقلية.	الوزارة.	قتل على يد المعتضد بن عباد.	460هـ= 1068م
75-	الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي(ابن خاقان).	الشعر، علم الأدب.	قلائد العقيان ومطمح الأنفس، بداية المحاسن وغاية المحاسن، رسائل.	الأندلس والمغرب.	الكتابة	قتل في مراكش وأشار بقتله يوسف ابن تاشفين.	529هـ= 1134م
76-	الفضل بن أبي محمد بن حزم.	الفقه.	أكمل كتاب المحلى، الهادي في معرفة النسب العبادي.	بلاد الأندلس.	خدمة المعتمد بن عباد.	وقعة الزلاقة.	479هـ= 1086م
77-	محمد بن إبراهيم الحضرمي(أبو عبد الله الحضرمي).	الحديث، اللغة العربية، الفقه، الإفتاء.	الدرة الوسطى في السلك المنظوم، تأليف في رجال الموطأ.	المشرق.	قضاء إليسانة، الصلاة والخطبة بجامعه.	وقعة العقاب.	609هـ= 1212م
78-	محمد بن إبراهيم بن يحيى بن محمد الأنصاري الخزرجي(أبو عبدالله الغلاظي).	النحو، الفقه.	_	المغرب، أفريقية.	التدريس.	قتله الروم عند تغلبهم على المركب الذي ركب	642هـ= 1244م

						فيه مـن سـاحل قرطاجة.	
79-	محمد بن أحمد بن خلف بـن إبراهيم(أبو عبدالله بن الحاج الشهيد).	الفقه، الحـديث، الأدب، الأنساب، اللغـة، الـشعر، التاريخ، السير، الآثار.	نوازل الأحكام.	مدن الأندلس.	قـضاء الجماعـة، الإفتاء، الشورى.	وقعة البورت.	508هـــ= 1114م
80-	محمد بن أحمد بن خلف بـن عبيد الله السكسكي	الفقه، الحـديث، القراءات السبع.	_	مدن الأندلس.	التدريس، القضاء.	وقعة الأرك.	591هـــ= 1194م
81-	محمد بن أحمد بن زيـد بـن الحسن بن أيوب بن حامد بن زيد بن منجل الغافقي(أبو بكر الغرناطي).	الفقـه، الـشعر، التـــواريخ، الأشعار الجاهلية، الأمثال.	ديوان شعر، مصنف في الشروط.	مدن الأنـدلس، أفريقية.	الوزارة	قتله الـروم فـي البحـر عنـدما أخرج إلى بجاية.	702هـــ= 1302م
82-	محمد بن أحمد بن عون(أبـو اسحاق الغرناطي).	القراءات السبع، الحديث	إيقاظ الكرام بأخبار المنام، الزهـرات وإجالة النظرات، نزهة الحدق في ذكر الفرق.	مدن الأندلس.	قـضاء ميورقـة، والإقراء.	سـقوط جزيـرة ميورقة	627هـــ= 1229م
83-	محمد بن أحمد بن مروان بن عبد العزيز.	القراءات، الفقه.	_	مدن الأندلس.	قضاء بلنسية.	قتله أبو مـروان عبد الملـك بـن شلبان.	547هـــ= 1152م
84-	محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن يحيى بـن عبـد	الفقـه، الـشعر، التدريس، الأدب	وسيلة المسلم فـي تهـذيب صـحيح مسلم، الأنوار السنية فـي الكلمـات	مدن الأندلس.	القضاء، والخطابـة والتقيد والتدوين.	واقعة طريف.	741هـــ= 1340م

	الرحمن بن يوسف(ابن جزي الكلبي).	العربية، الحديث القراءات، التفسير.	السنية، كتاب الدعوات والأذكار.				
85-	محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني(ابن حفيد الأمين).	الفقه، العربية، الفرائض.	تقييد في الفرائض، جزء في تفضيل التين على التمرن نوازل من الفقه.	مدن الأندلس، مكة والمدينة، المشرق.	التدريس، الإقراء.	واقعة طريف.	741هـ= 1340م
86-	محمد بن الحاج داود اللمتوني.	الفقه.	_	المغرب والأندلس.	أمير المرابطين.	وقعة البورت.	508هـ= 1106م
87-	محمد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن خلف الأنصاري(أبو عبدالله الأنصاري).	الحديث، الفقه، الأدب، القراءات.	مصنف في الحديث، أربعون حديثاً مسلسلة.	مكة والمدينة، بجاية، الإسكندرية، المشرق.	قضاء بلده، الصلاة والخطبة، التعليم.	وقعة العقاب.	609هـ- =1212م
88-	محمد بن حماد العجلاني.	الحديث.	_	مدن الأندلس، والمغرب.	قاضي الجماعة،قضاء سبتة.	وقعة العقاب.	609هـ= 1212م
89-	أبو بكر محمد بن خلدون.	الحديث، الأدب.	_	المغرب	وزير المال.	قتله السلطان اب أبي عمارة.	682هـ= 1283م
90-	محمد بن أبي الخيار العبدري.	الحديث، علم الرأي، الفقه.	كتاب الشجاح، كتاب أدب النكاح، تنابيه على المدونة.	مدن الأندلس.	الندريس.	استشهد بقرطبة	529هـ= 1134م
91-	محمد بن عامر البزلياني(أبو عبدالله البزلياني).	الفقه، الحديث، الأدب.	رسائل.	مدن الأندلس.	الوزارة.	قتل على يد المعتضد بن عباد.	462هـ= 1066م

92-	محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم الرندي(أبو عبدالله).	القراءات السبع، الحديث، العربية، النحو، الشعر.	شعر و رسائل.	مدن الأندلس، مكة والمدينة، مصر، المغرب، تونس، العراق.	الكتابة، الوزارة.	قُتل على يد السلطان نصر أبو الجيوش.	708هـ= 1308م
93-	محمد بن عبدالله بن أبي بكر بن عبدالله بن عبد الرحمن القضاعي(ابن الأبار).	القراءات، اللغة العربية، الفقه، البلاغة،الإنشاء، الشعر والنثر، التاريخ، تراجم الرجال، الأدب.	التكملة لكتاب الصلة، تحفة القادم، الحلة السيراء، إعتاب الكتاب، إيماض البرق، درر المط في خبر السبط، معادن اللجين في مراثي الحسين.	تونس، مدن الأندلس.	وزير الفضل، قضاء دانية.	قتل مظلوماً علي يد صاحب تونس السلطان المستنصر.	658هـ= 1259م
94-	محمد بن عبدالله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني(لسان الدين بن الخطيب).	الشعر، الكتابة، الخطابة، فن الموشحات، الطب النثر، الفلسفة.	جيش التوشيح، عمل من طب امن حب، اليوسفي في صناعة الطب، الإحاطة في أخبار غرناطة.	الأندلس، المغرب.	الوزارة لملوك بني الأحمر.	قتله ابن الأحمر، قتل خنقاً في سجنه.	776هـ= 1274م
95-	ابن الجد، محمد بن عبدالله بن يحيى بن فرج الفهري.	الفقه، الفصاحة، البلاغة، الأدب العربية، النحو، اللغة الشعر، الحديث.	رسائل، قصائد شعرية.	المغرب والأندلس	الشورى، رئاسة الفتيا، الخطابة، رئاسة الفقه، الوزارة.	كائنة لبلة.	586هـ= 1190م
96-	أبو بكر محمد بن عبد النور	القراءات، الفقه،	_	مدن الأندلس.	الإقراء، التعليم.	وقعة قصر أبو	614هـ=

	بن أحمد السبئي.	الحديث.				دانس.	1217م
97-	محمد بن عتيق بن عبد الله التجيبي(أبو عبدالله التجيبي).	الأدب، الحديث.	أنوار الصباح في الجمع بين الكتب الستة الصحاح، المسالك النورية إلى المقامات الصوفية، مطالع الأنوار في شمائل المختار، النكت الكامنة في أحاديث مسائل الخلاف، منهاج العمل في مسائل الجدل.	مكة والمدينة، المشرق.	الشورى، القضاء، المظالم.	مهاجمة الصليبين مسجد قرطبة.	647هـ= 1249م
98-	محمد بن علي بن محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز أبو بكر(ابن المرخي).	الفقه والحديث والأدب والنسب و اللغة وأيام العرب.	درة الملتقط، حلية الأديب في اختصار الغريب المصنف، كتاب في الخيل.	مدن الأندلس.	الوزارة، الكتابة وتعليم الناس.	قُتل على يد أبو يعقوب بن عبد المؤمن.	536هـ= 1141م
99-	أبو بكر محمد بن عمار0 ابن عمار).	الشعر، الأدب.	ديوان شعر.	مدن الأندلس.	الوزارة.	قتل على يد المعتمد بن عباد.	479هـ= 1086م
100-	محمد بن طاهر القيسي التدميري(أبو عبدالله التدميري).	الحديث	الإجابات والكرامات.	مكة و المدينة، العراق، واسط.	التعليم	مرابط على الثغور	409هـ= 1018
101-	محمد بن قاسم بن محمد الفراء(أبو عبدالله الجالطي).	الفقه، الحديث، الأدب	_	المشرق، مدن الأندلس.	الشرطة، الصلاة والخطبة والشورى، القضاء، رئاسة مذهب أبي حنيفة.	قتله البربر يوم دخولهم قرطبة.	403هـ= 1012م
102-	محمد بن محمد بن أحمد بن	القراءات السبع،	_	مكة، المدينة،	الإقراء.	استيلاء الفرنج	633هـ=

	عبـــدالله الفريـــــشي(ابـــن الفريشي).	الحديث.		مصر.		على قرطبة.	1235م
103-	محمد بن مسعود بن خالصة بـــن فـــرج بـــن مجاهـــد الغافقي(ابن أبي الخصال).	الفقه، الحـديث، الأثار والـسير، علـــم الأدب، الأشعار، اللغـــة العربية، النسب، التاريخ، النحـو، النثر.	منهاج المناقـب ومعـراج الحاسـب الثاقب، رسـالته الـسراجية(سـراج الأدب)، ديوان شعر.	المغـــرب والأندلس، مكة والمدينة.	الكتابة في مراكش.	قتله رجـال ابـن غانية.	539هـــ= 1144م
104-	محمد بن يحيى ابن عبـدالله بن زكريا(ابن الفراء).	الفقه، الحديث	_	مدن الأندلس	قاضـــي المريـــة، الإفتاء.	وقعة قتندة.	514هـــ= 1120م
105-	محمد بن يحيى بن الـصائغ (ابن باجة السرقسطي).	العربيـة، الأدب، الفلسفة، الطب، الموســــيقا، الهندســة، علـم الهيئة.	رسالة الوداع، كتاب السماع الطبيعي لأرسـطوطاليس، فـصول الـسياسة المدنية، اتصال العقل بالإنسان، تدبير المتوحد، كتـاب الـنفس، اختـصار الحاوي للرازي، التجربتين على أدوية ابن واقد، كتاب النبات، رسـائل فـي الفلك، ديوان شعر.	الأنـــــدلس والمغرب.	وزيــــر والــــي سرقــسطة، وزيـر ليحيى بن يوسف بن تاشفين.	قتل مسموماً.	533هـــ= 1138م
106-	محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن أحمد بن بكـر بـن سعد الأشعري المـالقي(أبـو	القــــراءات، الحديث، التاريخ الأنساب العربية،	التمهيد والبيان فـي مقتـل الـشهيد عثمان بن عفان.	مدن الأنـدلس، مـصر، مكـة والمدينـــة،	قـضاء مالقـة، والقضاء والخطابـة بغرناطة، مـشيخة	واقعة طريف.	741هـــ= 1340م

	عبدالله المالقي).	اللغة، الأصول والفروع، الفرائض والحساب، الأحكام، الشعر، العروض.		المغرب، أفريقية، الشام.	بلده، الحل والعقد، الإقراء.		
107-	موسى بن قاسم بن خضر.	الحديث، الآثار.	_	مدن الأندلس.	التعليم.	وقعة فحص مدينة.	443هـ= 1051م
108-	هشام بن إبراهيم بن هشام التميمي.	الأدب، الأحكام.	_	مدن الأندلس.	شوور في الأحكام.	مرابط على الثغور.	419هـ= 1128م
109-	أبو الوليد التدميري.	الحديث، القراءات، علم الرأي.	_	مكة و المدينة.	التعليم.	وقعة قنتيش.	400هـ= 1009م
110-	الوليد بن محمد ابن يوسف الأزدي(ابن الفرضي،).	الفقه، الحديث، علم الرجال، الأدب، علم الفروض، الحساب، التاريخ، الشعر.	كتاب علماء الأندلس، حسن المؤتلف والمختلف، جامع أحكام القرآن، أخبار شعراء الأندلس.	المشرق، مكة، المدينة.	قضاء بلنسية.	وقعة قنتيش.	403هـ= 1012م
111-	يحيى بن خلدون(أبو زكريا).	الفقه، الشعر، الأدب، التاريخ.	بغية الرواد في أخبار بني عبدالواد و أيام أبي حمو الشامخة الأطواد.	أفريقية و المغرب.	الكتابة للسلطان أبو حمو، الحجابة.	قتله السلطان أبو تاشفين.	780هـ= 1378م

112-	يعلي المصمودي(أبو محمد).	الفقه.	_	المغرب والأندلس.	القضاء.	وقعة الزلاقة.	479هـ= 1086م
113-	أبو الوليد يحيى بن محمد الأموي(ابن قبروق).	الحديث.	_	مدن الأندلس.	قضاء شاطبة، قضاء بلنسية، إمام في صلاة الفريضة.	وقعة البورت.	508هـ= 1114م
114-	يوسف بن عبدالله بن سعيد بن أبي زيد ابن عياد(أبوعمر بن عياد).	القراءات، الفقه والحديث، تراجم الرجال.	كتالب الكفاية في مراتب الرواية، المرتضى في شرح المنتقى، بهجة الألباب في شرح الشهاب، المنهج الرائق في الوثائق، بهجة الحقائق في الزهد والرقائق، طبقات الفقهاء، الأربعين في الحشر، الأربعين في العبادات، تذييل صلة ابن بشكوال.	مدن الأندلس.	شيخ القراء والمحدثين.	كائنة لرية.	575هـ= 1179م
115-	يوسف بن عبد المؤمن(أبو يعقوب).	الفلسفة، الفقه،الأدب، الجمع بين علم الشريعة والحكمة والحديث.	_	المغرب، الأندلس.	أمير السلمين.	وقعة شنترين.	580هـ= 1184م
116-	يوسف بن علي بن محمد بن عبدالله بن علي بن محمد القضاعي (أبو الحجاج القضاعي الأُندي).	الفقه، الحديث، العربية، النحو، المقامات، الشعر.	أسماء الحفاظ.	الأندلس مكة والمدينة، مصر الاسكندرية، العراق،المغرب.	التدريس، رأس المحدثين في عصره.	وقعة المرية.	542هـ= 1147م

المصـادر والمراجـع

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر العربية.

ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي(ت:658هـ= 1269م).

1- إعتاب الكتاب، تح: صالح الأشتر، دمشق، مطبوعات اللغة العربية، ط،1380 هـ= 1960م.

2- التكملة لكتاب الصلة،4ج، تح: عبدالسلام الهراس، لبنان، دار الفكر،1995م.

3- الحلة السيراء، جزءان، تح: حسين مؤنس، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط1،1963م.

4- المعجم في أصحاب الصدفى، ج1، لبنان، بيروت، دار صادر، 1885م.

ابن الأثير،أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد(ت:630هـ=1233م).

5- الكامل في التاريخ، بيروت، ط8،1965م.

الإمام أحمد، أبو عبد الله الشيباني(ت:241هـ=855م).

6- مسند الإمام أحمد بن حنبل، 6أجزاء، مصر، مؤسسة قرطبة.

الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الإدريسي الحسني الطالبي(ت:560هـ= 1165م).

7-نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، روما، 1592م.

الأصفهاني، أبو عبد الله محمد بن محمد(ت:597هـ= 1200م).

8- خريدة القصر وجريدة العصر، تح: أحمد أمين، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة،1951م.

ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي(ت:668هـ =1269 م).

9-عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ضبطه وصححه ووضع فهارسه محمد باسل عيون السود،ط1، بيروت، دار الكتب العلمية،(1419هـ=1998م)

الألبيري، أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي.

10 -ديوان أبي إسحاق الألبيري، ج1، تح: محمد رضوان الداية، دمشق، دار قتيبة، ط2، (1401هـ = 1981م).

الأيوبي، محمد بن تقي الدين(ت:617هـ =1220م).

11-مضمار الحقائق وسر الخلائق، ج1، تح: الدكتور حسن حبشي، القاهرة،

عالم الكتب، د.ت.
البابانى، إسماعيل باشا(ت: 1339هـ =1920م).
12- هدية العارفين، طبعة كشف الظنون، قام بها محمد شرف الدين بالتقيا، استنبول، 1941م.
البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة(ت:256هـ= 869م).
13- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تح: مصطفى ديب البغا، بيروت، دار ابن كثير، ط3،1407هـ= 1987م.
ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام(ت:542هـ= 1147م) .
14- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، لبنان، دار الثقافة للنشر والتوزيع،1979م.
ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك الخزرجى الأنصاري(ت:678هـ=1182م).
15- الصلة، قسمان، تح: إبراهيم الأبياري، القاهرة، دار الكتاب المصري، ط1، بيروت، دار الكتاب اللبناني، (1410هـ= 1989م).
البغدادي باشا.
16- إيضاح المكنون، طبعة كشف الظنون، قام بها محمد شرف الدين بالتقيا، استنبول،1941م.
ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتي الطنجي(ت:779هـ= 1377م).
17-رحلة ابن بطوطة(تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، بيروت، (1384هـ=1964م).
أبو بكر، زيد.
18- طبقات النسابين، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء، السعودية.
ابن بلقين، الأمير عبد الله بن باديس ين حبوس بن زيري ملك غرناطة في عصر الطوائف (انتهى حكمة لغرناطة سنة 483هـ= 1090م).
19- التبيان، حققه و نشره: إ.ليقي بروفنسال، تحت عنوان: مذكرات الأمير عبد الله، أخر أمراء بني زيري بغرناطة، القاهرة، دار المعارف، 1955م.
البيهقي(ت:458هـ=1065م).
20- السنن الكبرى، إشراف: البحوث والدراسات، بيروت، دار الفكر، د.ت.
الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي(ت:279هـ= 892م).

21- الجامع الصحيح سنن الترمذي،5 أجزاء، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.

ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف بن ثغري بردي الأتابكي(ت: 874هـ=1469م).

22- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، د.ت.

الحاكم النيسابوري(أبو عبد الله محمد بن عبد الله).

23- المستدرك علي الصحيحين،4أجزاء، تح: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1،(1411هـ=1990م).

ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني(ت:852هـ= 1449م).

24- إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ،9 أجزاء، تح: محمد بن المعيد خان، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، (1406هـ = 1986م).

25- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، 6 أجزاء، تح: محمد بن عبد المعيد خان، الهند، حيدر أباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية،(1392هـ=1972م).

26- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تح: أحمد بن علي بن حجر،13 جزء بيروت، دارالمعرفة،(1379هـ=1959م).

ابن حزم، أبو محمد علي بن محمد(ت:465هـ =1063م).

27-رسالة أبي محمد بن حزم في فضائل الأندلس، قدم بها ونشرها مع رسائل أخرى صلاح الدين، تحت عنوان فضائل الأندلس وأهلها، دار الكتاب الجديد، ط1، (1387هـ= 1968م).

28- رسائل ابن حزم الأندلسي،4أجزاء، تح: إحسان عباس، لبنان، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1،(1401هـ=1980م).

29- قلائد الذهب في جمهرة أنساب العرب، بيروت، دار الكتب العلمية،(1403 هـ =1983م.

30- المحلي بالآثار،11جزء تح: لجنة إحياء الثرات العربي، بيروت، دار الأفاق الجديدة، د.ت.

الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي.

31- معجم البلدان، 5 أجزاء، بيروت، دار صادر، (1404هـ= 1984م).

32- معجم الأدباء، بيروت، دار الفكر، د.ت.

الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر(ت:488هـ=1095م).

33- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب اللبناني،1975م.

الحميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم(ت: بعد 727هـ= 1326م).

34- الروض المعطار في خبر الأقطار، جزء واحد، تح: إحسان عباس، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، دار السراج، ط2، 1980م.

35- صفة جزيرة الأندلس، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، ط1، 1981م.

ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد القيسي الأشبيلي(ت:529هـ= 1134م).

36-قلائد العقيان، تح: حسين يوسف خربوش، الأردن، مكتبة دار المنار،1989م.

37- مطمح الأنفس ومسترح التأنس، جزء واحد، تح: محمد علي شوابكة، بيروت، دار عمار، مؤسسة الرسالة، ط1،(1403هـ=1983م).

الخزاعي، أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن موسى بن مسعود(ت:789هـ=1387م).

38- تخريج الدلالات السمعية له(ص) من الحرف و الصنائع و العملات، تح: إحسان عباس، لبنان، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1،1985م.

ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله التلمساني(ت:776هـ= 1374م).

39- الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبةالخانجي، 1973م.

40- أعمال الأعلام في من بويع الاحتلام من ملوك الإسلام، حققه ونشره، ليفي بروفنسال، تحت عنوان: تاريخ أسبانيا الإسلامية، بيروت، دار المكشوف، ط2، 1956م.

41- خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1، د.ت.

42- ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تح: محمد عبدالله عنان جزءان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1، 1980م.

43- الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تح: إحسان عباس، لبنان، بيروت، دار الثقافة، ط1،1963م

44- اللمحة البدرية في الدولة النصرية، بيروت، دار الأفاق الجديدة(1400هـ= 1980م).

45- نفاضة الجرب في علالة الاغتراب، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1، د.ت

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد،(ت:808هـ= 1406م).

46- التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، تح: محمد بن تاويت الطنجي، القاهرة،(1370هـ=1951م).

47- المقدمة، بيروت، ط3، 1967م.
48- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، مؤسسة جمـــال للطباعـــة والنـــشر،(1301هــــ= 1071م).
ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد(ت:681هـ=1284م).
49- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 7 أجزاء، تح: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط1،1994م.
الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو الدارمي.
50-سنن الدارمي، جزءان، تح: فواز أحمد رمزي، خالد السبع العلمي، بيروت، دارالكتاب، العربي، ط1، 1407هـ.
أبو داود، سليمان بن إسحاق الأزدي السجستاني(ت:275هـ= 888م).
51 سنن أبي داود، 4 أجزاء، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الكتاب العربي، وزارة الأوقاف المصرية، د.ت.
الذهبي، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز(ت:748هـ=1347م).
51- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، (1407 هـ=1987م).
52- تذكرة الحفاظ، 4 مجلدات، تح: زكريا عميرات، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، (1419هـ=1998م).
53- سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط9، 1985م.
54- العبر في خبر من عبر، 4 أجزاء، تح: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1984م.
55- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، جزءان، تح: بشار عواد ومعروف وشعيب الأرناؤوط و صالح عباس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1،1404هـ.
56- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، بيروت،1995م.
الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر(ت:721هـ=1321هـ).
57- مختار الصحاح، جزء واحد، تح: محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، طبعة جديدة، (1415هـ=1995م).
ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد(ت:520هـ= 1125م).

58-البيان والتحصيل، تح: أحمد الحيابي، بيروت، دارالغرب الإسلامي، ط2، (1408هـ =1988م).
59-المقدمات الممهدات، تح: محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، د.ت.
ابن رشد(الحفيد)، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد(ت:595هـ= 1200م).
60- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تح: عبد الله العبادي، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط4،(1395هـ=1975م).
الرعيني، علي بن محمد بن علي الإ شبيلي(ت:661هـ= 1263م).
61- برنامج شيوخ الرعيني، تح: إبراهيم شبوح، دمشق، مطبعة إحياء التراث القديم،1962م.
ابن أبي زرع، عبد الله بن محمد بن يوسف الفاسي(ت:741هـ= 1341م).
62- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس علق عليه:محمد الهاشمي الغيلاني، الرباط، المكتبة الوطنية، 1355هـ= 1936م.
63-الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، الرباط، 1392هـ=1972م.
الزرنوجى، برهان الدين(ت:593هـ=1196م).
64- تعليم المتعلم طريق التعلم، تح و دراسة: محمد عبد القادر أحمد، القاهرة، مطبعة السعادة،(1406هـ=1986م).
ابن الزقاق، علي بن إبراهيم بن عطية البلنسي(ت:529هـ= 1034م).
65- ديوان ابن الزقاق، تح: عفيفة محمود، بيروت، دار الثقافة، د.ت.
السبكي، أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي(ت:771هـ= 1370م).
66 – معيد النعم ومبيد النقم، تح: محمد علي النجار وآخرون، مصر، مكتبة الخانجي، ط1،(1420هـ= 1999م).
السخاوى، علم الدين أبو الحسن، علي بن محمد السخاوي(ت: 643هـ=1245م)
67- التحفة اللطيفة في تاريخ المدنية الشريفة، د.ت.
ابن سعيد الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك(ت:685هـ= 1286م).
68-اختصار القدح المعلي في التاريخ المحلي، اختصار أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل، تح: إبراهيم الأبياري، القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، (1413هـ= 1992م).
69- المغرب في حلى المغرب، جزءان، تح وتعليق: شوقي ضيف، مصر، دار المعارف، ط2،1964م.
السلفي، أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني(576هـ= 1178م).

70- معجم السفر، تح: عبد الله البارودي، لبنان، بيروت، 1414هـ= 1993م، مكة،المكتبة التجارية، د.ت.).

71- الوجيز في ذكر المجاز والمجيز، تح: محمد خير البقاعي، لبنان، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1،(1411هـ = 1991م).

ابن السماك العاملي، أبو القاسم محمد بن أمي العلاء(ت: في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي).

72-الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمانه، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، ط1، 1979م.

السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي(ت:562هـ= 1167م).

73-أدب الإملاء و الإستملاء، تح: سعيد محمد اللحام، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ط1،(1409هـ= 1989م).

74-الأنساب، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ط1،(1409هـ= 1989م).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن سابق(ت:911هـ= 1505م).

75 -بغية الدعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، جزءان، لبنان، صيدا، المكتبة العصرية، د.ت.

76- طبقات الحفاظ، مجلد واحد، تح: زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1983م.

77- الإتقان في علوم القراءات، جزءان، د.ت.

ابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن محمد الباجي(ت:594هـ= 1198م).

78- تاريخ المن الإمامة وتاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تح: عبد الهادي التازي، بيروت، دار الأندلس،1963م.

الصالحي الشامي، محمد بن يوسف

79- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله و أحواله في المبدأ والمعاد، طبقة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر.

الصفدي،أبو الصفاء خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي الفلسطيني(ت:764هـ=1363م).

80-الوافي بالوفيات، تح: أحمد أرناؤوط، تركي مصطفى، بيروت،دار التراث، بيروت،1420هـ=2000م.

الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة(ت:599هـ= 1202م).

81-بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، القاهرة، دار الكتاب المصري، د.ت.
الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم(ت:360هـ= 1971م).
82-المعجم الكبير، 20 جزء، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الموصل، مكتبة العلوم والحكم، ط2،(1404هـ= 1983م).
الطرسوسي، نجم الدين إبراهيم بن علي الحنفي(ت: 758هـ=1357م).
83- تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك،جزء واحد، تح: عبد الكريم محمد، الرياض، مطبعة الحمداوى، مكتبة عارف حكمت، د.ت.
الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري(ت:520هـ= 1125م).
84-سراج الملوك، تح: شوقي ضيف، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، (1414هـ=1994 م).
أبو الطيب المكي، محمد بن أحمد بن علي تقي الدين(ت: 382هـ=992م).
85-ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، تح: كمال يوسف الحوت، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، (1410هـ =1990م).
ابن عابدين، محمد أمين.
86 -حاشية رد المحتار على الدر المختار(شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، ويليه تكملة ابن عابدين لنحل المؤلف،مصر، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2،(1386هـ= 1966م).
ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي(ت:463هـ=1070م).
87-الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، تح: محمد محمد أحيد، السعودية، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، ط2،(1400هـ= 1980م).
عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني.
88- مصنف عبد الرزاق، 11جزء، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، المكتب الإسلامي، ط2،1403م.
ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله بن محمد بن محمد(ت:703هـ= 1303م).
89- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، الأسفار من 4-6، تح: إحسان عباس، لبنان، بيروت، دار الثقافة، ط1،(1368هـ= 1949م).
العجلوني، اسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي(ت:1162هـ=1749م).
90-كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس،

جزءان، بيروت، دار إحياء التراث العربي،ط3،(1408هـ=1988م).
ابن عذاري، أبو عبد الله محمد المراكشي(ت: بعد 712هـ= 1175م)
91- البيان المغرب في أخبار أهل الأندلس والمغرب، تح: ج. س.كولان وليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، د.ت.
ابن العربي، محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد المعافري(ت:542هـ=1146م).
92-العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة، تح: محب الدين لخطيب، محمود الإستانبولي، لبنان، بيروت، دار الجيل، ط1،(1406هـ =1986م).
ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم(ت:571هـ = 1176م).
93-تاريخ دمشق وذكر فضلها وتسمية من وحلها من الأماثل واجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تح: علي شيري، لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (1419هـ=1998م).
ابن العماد،أبو الفلاح عبدالحي بن علي بن كثير الحنبلي(ت:1089هـ=1678م).
94-شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 10 أجزاء، تح: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دمشق، دار ابن كثير، 1406هـ .
عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض(ت:544هـ=1149م).
95- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مالك، تح:أحمد بكير محمود، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1384هـ=1965م.
ابن غالب، محمد بن أيوب(من أهل القرن السادس الهجري=الثاني عشر الميلادي).
96-فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تح: لطفي عبد البديع، القاهرة، مطبعة مصر، 1956م.
ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد(ت: 799هـ=1396م).
97- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح:محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، د.ت.
الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب(ت:817هـ= 1415م).
98-البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، جزء واحد، تح: محمد المصري، الكويت، جمعية أحياء التراث الإسلامي، ط1،(1407هـ =1986م).
فنديك، أدورد(ت:1313هـ=1895م.)
100- اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، جزء واحد، بيروت، دارصادر، 1896م.
ابن الفرضي، أبو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف الأزدي(ت:403هـ=1012م).
101- تاريخ علماء الأندلس، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة،1966م.

ابن قدامه، أبو محمد عبد الله أحمد بن قدامه المقدسي(620هـ=1223م).

102- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، 10 أجزاء، بيروت، دار الفكر، ط1، 1405هـ.

القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي(ت:671هـ =1272م).

103- الجامع لأحكام القرآن، تح: هشام سمير البخاري، المملكة العربية السعودية، الرياض، دار عالم الكتب، ط1،(1423هـ=2003م).

ابن القطان،أبو الحسن علي بن عبدالملك بن يحيى الكتامي الفاسي(ت:628هـ=1230م).

104- نظم الجمان، تح:محمود علي كرد، بيروت،دار الغرب الإسلامي،1990م.

القلقشندى، أحمد بن علي بن أبي اليمن(ت:821هـ=1481م).

105-صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، 14جزء، تح: يوسف علي طويل، دمشق، دار الفكر، ط1، 1987م.

ابن قنفذ القسنطيني، أبوالعباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب(ت:807هـ=1467م).

106- الوفيات، حققه وعلق عليه: عادل نويهض، بيروت، منشورات دار الأفاق الجديدة، ط3،(1400هـ=1980م).

القنوجي، صديق بن حسن القنوجي(ت:1307هـ =1890م).

107-أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، ثلاثة أجزاء، تح: عبد الجبار زكار، بيروت، دار الكتب العلمية،1978م.

ابن القيم الجوزية.

108-زاد المعاد في هدي خير العباد، 5 أجزاء، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، ط27، بيروت، مؤسسة الرسالة، الكويت، مكتبة المنار، (1415هـ =1994م).

الكتبي، محمد بن شاكر الكتبي(ت:764هـ=1662م).

109- فوات الوفيات والذيل عليها، 4 أجزاء، تح: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط1974،1م.

ابن كثير، عماد الدين إسماعيل أبو الفداء(ت:774هـ=1372م).

110- البداية والنهاية في التاريخ، 14 جزء، تح: علي شيري، بيروت، دار إحياء التراث، ط1، 1408هـ=1988م.

كحالة، عمر رضا.

111- معجم المؤلفين، 13 جزء، بيروت، دار إحياء الثراث العربي، مكتبة المثنى،

د.ت.
ابن الكردبوس،أبو مروان بن عبدالملك بن الكردبوس التوزي(ت: بعد713هـ=1313م).
112- الإكتفا في أخبار الخلفاء، قطعه منه، نشر تحت عنوان تاريخ الأندلس، ابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، تح: محمد كمال الدين علي، بيروت، عالم الكتب، ط4، 1417هـ.
ابن ماجة، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني(ت:273هـ=886م).
113- سنن ابن ماجة، جزءان، تح: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار الفكر، د.ت.
المراكشي، عبدالواحد علي(ت:647هـ=1249م).
114- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،1963م.
مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري(ت:261هـ-874م).
115- صحيح مسلم، 8 أجزاء، تح: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار الجيل، بيروت، دار الفاق الجديدة، د.ت.
ابن مفلح، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد (ت:884هـ=1479م).
116- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الأمام أحمد، ثلاثة أجزاء، تح: عبد الرحمن ابن سليمان العثيمين، السعودية، الرياض، مكتبة الرشد،(1410هـ=1990م)
المقري، شهاب الدين أحمد التلمساني(ت:1041هـ=1631م).
117- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تح: مصطفى السقا،القاهرة، 1940م.
118- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها ابن الخطيب، تح: إحسان عباس، بيروت، دار صادر،(1388هـ= 1968م).
المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر(ت:845هـ=1441م).
119-المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1985م.
ابن منظور،محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت:711هـ=1311م).
120- لسان العرب،15 جزء، بيروت، دار صادر، ط1،(1414هـ=1994م).
الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي(ت:1279هـ=1863م).
121- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، 3 أجزاء، تح: جعفر ومحمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، ط1،(1418هـ=1997م).
النباهي، أبو الحسن عبدالله بن الحسن(ت:776هـ=1374م).
122- تاريخ قضاة الأندلس(المرقية العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، ونزهة

البصائر والأبصار، جزء واحد، تح: لجنة إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، دار الأفاق الجديدة، ط5، (1403هـ=1983م).
ابن النحاس، أحمد بن إبراهيم الدمشقي الدمياطي(ت:814هـ=1411م).
123- مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق في فضائل الجهاد، هذبه وانتقاه: صلاح الخالدي، الأردن، عمان، دار العلوم للنشر،1423هـ=2003م.
النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب(ت:303هـ=916م).
124-المجتبي من السنن، تح: عبدالفتاح أبو غدة، ط،6، حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية.(1402هـ=1986م).
النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت:733هـ=1332م).
125- نهاية الإرب في فنون الأدب، 33جزء، تح: مفيد قمحية وجماعة، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، (1424هـ=2004م).
الوادي أشي، محمد بن جابر الوادي أش(ت:749هـ =1348م).
126-برنامج الوادي أش، جزء واحد، تح: محمد محفوظ، بيروت، أثينا، دار المغرب الإسلامي،(1400هـ =1980م).
أبو الوليد الباجي، سليمان بن خلف بن سعد .
127- التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، تح: الدكتور أبو لبابة حسين، دار اللواء للنشر والتوزيع، ط، 1986م.
اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد(ت: 768 هـ=1366م).
128- مرآة الجنان، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، 1423هـ.

ثالثاً: المراجع العربية والمترجمة.

أرسلان، شكيب.

1- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية،القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ت.

أيوب، حسن.

2- فقه الجهاد في الإسلام، مصر، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1،(1422هـ=2002م)

بدوي، أحمد أحمد.

3- الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، القاهرة، دار نهضة مصر، للطبع والنشر، د.ت.

آل البعاج، عبد الغني.

4 - أهمية النسب عند العرب قبل الإسلام وفي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، الأردن، عمان، دار اليراع للنشر والتوزيع، ط1،(1426هـ=2006م).

البغدادي، إسماعيل

5 - هدية العارفين، طبع أوخسيت، 1967 م

البوطي، محمد سعيد

6- الجهاد في الإسلام، كيف فهمه ؟و كيف نمارسه، لبنان، بيروت، المطبعة العلمية دار الفكر المعاصر، ط2، سورية، دمشق، دار الفكر، 1997م.

البيضاني، هناء.

7- الوظيفة السياسية للعلماء في الخبرة الإسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة، د.ت.

التكروري، نواف.

8- العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي، تقديم: محمد الزحيلي وأحمد الخطيب، دمشق، دار الفكر، ط2،(1418هـ=1997م).

ابن تيمية.

9- موسوعة فقه السنة، فقه الجهاد لشيخ الإسلام، تهذيب وتعليق: الشيخ زهير شفيق الكبي، بيروت، دار الفكر العربي، مطابع يوسف بيضون،1412هـ= 1992م.

أبو جيب، سعدي.

10- القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، دمشق، سوريا، دار الفكر، ط2،(1408هـ =1988م).
الحيلاني، عبد الرحمن.
11- تاريخ الجزائر العام، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط7،1994م.
الحجي، عبد الرحمن.
12- التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة،القاهرة، دار الاعتصام، ط1،(1403هـ=1983م).
حسان، حسان.
13- ابن حزم الأندلسي، القاهرة، دار الفكر العربي، مطبعة الاستقلال، د.ت.
حسن، حسن.
14- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي(العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب و الأندلس)، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط15، (1422هـ=2001م).
حسين، أحمد.
15- العقيدة العسكرية الإسلامية(دراسة و منهج مقارنة)، القاهرة، مكتبة وهبة، ط1،(1419هـ=1998م).
الخطيب، ابراهيم ياسين.
16- دور التعليم في تحرر بيت المقدس إبان العصر الأيوبي، عمان(1414هـ= 1993م).
أبو خليل، شوقي.
17-عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي، دمشق، دار الفكر، ط1، (1399هـ= 1979م).
زبيب، نجيب.
18- الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، تقديم سعادة المستشار أحمد بن سودة، لبنان، بيروت، دار الأمير للثقافة والعلوم، ط1،(1415هـ=1995م).
الزرقاني، محمد عبد العظيم(ت:1367هـ=1947م).
19- مناهل العرفان في علوم القرآن، ط3، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، د.ت.
الزركلي، خير الدين.
20- الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط5، 1980م.

سابق، سيد.
21- فقه السنة، طبعة خاصة بالمؤلف، الفاتح للإعلام العربي،(1409هـ=1988م).
السامرائي، خليل إبراهيم.
22- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، لبنان، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1،2000م.
السر خسي، محمد بن أحمد.
23- شرح كتاب السير الكبير، تح: عبدالعزيز أحمد، د.ت.
السويدان، طارق محمد.
24- الأندلس التاريخ المصور، الكويت، شركة الإبداع الفكري، مطابع المجموعة الدولية، ط1،(1426هـ= 2005م).
سيسالم، عصام.
25- جزر الأندلس المنسية(التاريخ الإسلامي لجزر البليار)، لبنان، بيروت، دار العلم للملايين، ط1،1984م.
شبير، محمد.
26- حكم الاستعانة بغير المسلمين في الجهاد الإسلامي، الأردن، عمان، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط1،(1424هـ=2003م).
ابن شريفة، محمد.
27- ابن مغاور الشاطبي، حياته و آثاره، د.ت.
الشكعة، مصطفى.
28-المغرب والأندلس آفاق إسلامية وحضارية وإنسانية ومباحث أدبية، دار الكتب الإسلامية، ط1، 1957م.
شلبي، أحمد.
29- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج4، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط5،1979م.
شلبي، مصطفى.
30-الجهاد والنظم العسكرية في التفكير الإسلامي، مصر، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1974م.
الشيال، جمال الدين.
31-أبو بكرالطرطوشي، سلسلة أعلام العرب، القاهرة، دار الكاتب العربي،1968م.
الصيداوي، يوسف.

32 -قواعد اللغة العربية(الكفاف)، لبنان، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1978م.

عاشور، سعيد.

33 - دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية،1995م.

العبادي، أحمد مختار.

34 - مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة،1983م.

عبد الرحمن، أحمد.

35 - الإسلام والقتال، القاهرة، مدينة نصر، دار الشرق الأوسط للنشر،1990م.

عبد اللطيف، كمال.

36 - في تشريح أصول الاستبداد: قراءة في نظام الآداب السلطانية، بيروت، دار الطليعة، ط1، 1999م.

عبد الله، عبد الرحيم.

37 -فريضة الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، الأردن، عمان، ط1، 2001م.

عبد المهدي، عبد الجليل حسن.

38 - الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي و المملوكي، عمان، مكتبة الأقصى، ط1،(1400هـ=1980م).

العسلي، بسام.

39 - المذهب العسكري الإسلامي، لبنان، بيروت، دار النقائس للطباعة والنشر و التوزيع،1413 هـ=1993م.

عنان، محمد عبدالله.

40 - دولة الإسلام في الأندلس، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب المصري مكتبة الأسرة، جمعية الرعاية المتكاملة، طبعة خاصة،2001م.

41 - عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القاهرة،(1384هـ =1964م).

عويس، عبدالحليم.

42 - ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، الزهراء للإعلام العربي، ط2،(1409هـ=1988م).

الغضبان، منير.

43- التحالف السياسي في الإسلام، القاهرة، دارالسلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط 2،(1408هـ= 1988م).

ف. ويستنفلد.

44-جدول السنين الهجرية بلياليها و شهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها، ترجمه: د. عبد النعم ماجد و عبد المحسن رمضان، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت.

القضاعي، أبو عبد الله القضاعي، محمد بن سلامه بن جعفره.

45- مسند الشهاب، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2،(1407 هـ =1986م).

القطان، مناع.

46- مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،ط3،(1423هـ= 2000م).

كحيلة، عيادة.

47-القطوف الدواني في التاريخ الأسباني، ط1، 1998م.

الكشناوي، أبو بكر حسن الكشناوي.

48-أسهل المدارك وشرح إرشاد السالك في فقه إمام الأئمة مالك، بيروت، دار الفكر،(1420هـ= 2000م).

محفوظ، جمال الدين.

49- النظرية الإسلامية في العقيدة العسكرية: سلسلة الدراسات الإستراتيجية، مصر الجديدة، 1403هـ =1983م

محمود، حسن أحمد.

50-قيام دولة المرابطين، صفحة مشرفة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، القاهرة، دار الفكر العربي، د. ت.

محمود، علي عبد الحليم.

51- ركن الجهاد أو الركن الذي لا تحيا الأمة إلا به، ط1، دار التوزيع، النشر الإسلامية، القاهرة،(1415هـ=1995م).

مصطفى، إبراهيم.

52-المعجم الوسيط، جزءان، تح: مجمع اللغة العربية، القاهرة، دار الدعوة، د.ت.

مؤنس، حسين.

53- شيوخ العصر في الأندلس، القاهرة، دار الرشاد، ط2، 1997 م.

الميداني، عبد الرحمن.

54- مفهومات يجب تصحيحها، لبنان، بيروت، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط1،(1418هـ =1997م).

نافع، محمود.

55- اتجاهات الشعر الأندلسي، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة،ط1،1990م.

هيلات، عبد الله.

56- الأمن الجماعي في الإسلام، الأردن، إربد، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، ط1، 2006م.

رابعاً: الرسائل العلمية

الثلاثيني، نهاد.

1-الأمن العسكري في السنة النبوية،رسالة ماجستير غير منشورة، غزة، الجامعة، الإسلامية،(1428هـ=2007م).

الجدي، أحمد.

2-دور المرأة الجهادي في الإسلام(12ق هـ-132هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة،غزة، الجامعة الإسلامية،(1426هـ=2005م).

حمدان.

3- أدب الزهد في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، رسالة دكتوراه غير منشورة، غزة، جامعة عين شمس بالاشتراك مع كلية التربية،1998م.

الخالدي، خالد.

4- اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس، رسالة دكتوراه منشورة،غزة، دار الأرقم،2000م.

زعرب، خالد.

5- الخداع والحرب، رسالة ماجستير غير منشورة، غزة، الجامعة الإسلامية، (1428هـ=2007م).

عطية، سليمان إسحاق.

6- تاريخ التعليم في فلسطين من الفتح العربي إلى أخر الأيوبيين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة،(1373هـ=1953م).

المدني، رشاد.

7- الحياة العلمية في فلسطين في مرحلة الصراع الصليبي الإسلامي(491-690هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، غزة، الجامعة الإسلامية،2005م

أبو ندى، محمود.

8- الدور الجهادي للعلماء في الأندلس(422-609هـ=1031-1212م)، رسالة ماجستير غير منشورة، غزة، الجامعة الإسلامية،(1426هـ=2006م).